اتحاد الجامعات العربية

الجامعة الاردنية / مركز صندوق ايداع الرسائل الجامعية

نموذج تفويض

أنا علي عيظه صالح الحوالي

أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي / أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الجهات أو الاشخاص عند الطلب .

التوقيع :

التاريخ :

Association of Arab universities (AArU)

The University of Jordan

Authorization form

I ______________________________

Authorize the University of Jordan to supply copies of my thesis / dissertation to libraries or establishments or individual on request.

Signature: ______________

Date : ______________

الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية التربية
قسم أصول التربية

التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية

للفترة (٤٣٩- ٥٣٢هـ)- (١٠٤٧- ١١٣٧م)

بحث تكميلي مقدم للحصول على درجة الماجستير في التربية
تخصص (أصول تربية)

إعداد الطالب

علي عيظة صالح الحوالي

إشراف

د/ أحمد أحمد الآنسي
الأستاذ المشارك بقسم أصول التربية
مشرفاً أولاً

د/ فاروق أحمد حيدر
الأستاذ المشارك بقسم أصول التربية
مشرفاً ثانياً

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
الإدارة العامة للدراسات العليا
إدارة الدراسات العليا

رقم القرار (1) لسنة ٢٠١٠ م
تاريخ القرار ٢/١/٢٠١٠م
مكان المناقشة : علي ولد زايد

قرار لجنة المناقشة والحكم رقم (١) لسنة ٢٠١٠ م

إنه في يوم السبت ١٧/محرم/١٤٣١ هـ الموافق ٢/١/٢٠١٠م اجتمعت لجنة المناقشة والحكم على رسالة الماجستير المقدمة من الطالب/ **علي عبيضه صالح الحوالي** المسجل بكلية/ **التربية** قسم/ **أصول التربية** المشكلة بقرار من مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في محضر اجتماعه (الأول) بتاريخ ١٠-١٦/١١/٢٠٠٩ م بتشكيل لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة:-

١- د/ أحمد احمد الانسي	المشرف الرئيس على الرسالة	رئيساً
٢- د/ علي عبدالرحمن آل باعلوي	ممتحناً خارجياً - جامعة تعز	عضواً
٣- د/ أحمد الدغشي	ممتحناً داخلياً - جامعة صنعاء	عضواً

في رسالته الموسومة بـ (التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية في الفترة ٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٧-١١٣٧م)

قام الطالب بعرض موضوع رسالته بشكل ....ممتاز..........

ناقشت اللجنة الطالب. وبناءً على ما تقدم توصي اللجنة بالآتي:-

منح الطالب/ علي عبيضه صالح الحوالي، درجة الماجستير في التربية

تخصص / أصول تربية مع التوصية بطباعة الرسالة ونشرها وتبادلها مع الجامعات العربية والإسلامية مع الأخذ بتعديلات المناقشين الأساتذة المناقشة

توقيعات أعضاء لجنة المناقشة والحكم على القرار:-

١- أ. د/ أحمد احمد الانسي
٢- د/ علي عبدالرحمن آل باعلوي
٣- د/ أحمد الدغشي

مدير عام الدراسات العليا
أ/ علي محمد الحبيشي

نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
أ.د/ حاتم محمد الصباحي

صورة طبق الأصل

ملاحظة : الدرجة تمنح بناءً على النظم بأن عرض الطالب لموضوع رسالته أثناء المناقشة لا يعتبر تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾[1]

١- يوسف،آية،٨١.

الإهـــداء

إلى من علمني كيف تكون الحياة ثم رحل عنها؛ والدي العزيز، إلى روحك الطاهرة أهدي ثمرة جهدي.

ثم إلى من تحملت بُعدي وتقصيري نحوها؛ والدتي الحبيبة رعاها الله، وإلى إخواني وإلى أولادي

وأولادي أهدي جهدي المتواضع.

الباحث

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره الذي أعانني وهداني لإتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله المعلم الأول للبشرية محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه إلى يوم الدين،وبعد:

فإنه من الواجب أن أعترف لكل ذي فضل بفضله، ومن الحق العرفان بالجميل والشكر عليه، فإني أتقدم بالشكر والعرفان إلى الدكتور الفاضل أحمد بن أحمد الآنسي المشرف الأول على الرسالة والذي ما بخل عليّ بجهد ولا وقت في سبيل إنجاح هذا العمل، فكان خير معين بتوجيهاته، ونعم المشرف بإرشاداته، وأجود أخ بنصائحه، وله الفضل الكبير بعد الله تعالى في خروج هذه الرسالة إلى حيز الوجود/ كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور الفاضل فاروق أحمد حيدر المشرف الثاني على الرسالة على سعة صدره وتواضعه ،فقد ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى الواقع بملاحظاته وتوجيهاته القيمة، فكان نعم الأستاذ والمرشد، فله منّي الشكر الجزيل/ كما أتقدم بالشكر إلى رئيس القسم الدكتور طاهر الأهدل على ما بذله من جهد ووقت وتيسير المعاملات لنا / والشكر موصول لجميع أعضاء هيئة التدريس بقسم أصول التربية، وأخص بالذكر الأب المربي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الغني قاسم الشرجبي على نصحه وتوجيهه وسعة صدره أثناء إعداد الخطة وبعدها، كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل الزملاء والأصدقاء الذين أعانوني في إنجاز هذه الرسالة، وأخص بالذكر الأستاذ سلطان عبد الله محمد.

الباحث

ملخص الدراسة

التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية

في الفترة (٤٣٩- ٥٣٢هـ)

إعداد: علي عيظة الحوالي

إشـــــــراف

د/ أحمد أحمد الآنسي　　　　د/ فاروق أحمد حيدر

هدفت الدراسة إلى التعرف على جوانب الحياة العلمية في اليمن خلال الفترة (٤٣٩- ٥٣٢هـ) وهي فترة حكم الدولة الصليحية لليمن، فقد تناول الباحث هذه الفترة بالدراسة والتحليل، ومن أجل ذلك حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الفرعية التي تحقق الهدف، وجاءت الدراسة في ستة فصول مع فصل تمهيدي وخاتمة.

وقد خصص الفصل الأول للحديث عن العوامل المجتمعية التي أثرت على التعليم في اليمن خلال فترة حكم الدولة الصليحية، وبيان أثرها على المعلمين والمتعلمين والعملية التعليمية عموماً سلباً وإيجاباً.

أما الفصل الثاني فخصص للحديث عن فلسفة التعليم وأهدافه في اليمن خلال فترة حكم الدولة الصليحية، والتي تم النظر إليها من خلال المقررات الدراسية التي كانت تدرس في تلك الفترة.

وخصص الفصل الثالث لدراسة المقررات التعليمية في مؤسسات وأماكن التعليم في اليمن خلال تلك الفترة، والتي تناولها الباحث من خلال النظر إلى ما كان يدرسه الطالب سواء في المرحلة الأولى أو الثانية .

وخصص الفصل الرابع من هذه الدراسة للحديث عن طرق وأساليب التعليم في كل من المرحلة الأولى والمرحلة العليا، والتي استخدمت في تلك الفترة.

وخصص الفصل الخامس للحديث عن المؤسسات التعليمية التي كانت فاعلة وموجودة في اليمن خلال تلك الفترة، مع التطرق إلى موضوع إدارة التعليم وتمويله في اليمن.

وفي الفصل السادس وقف الباحث على أوضاع المعلمين والمتعلمين وعلاقاتهم بالدولة والمجتمع وعلاقاتهم ببعضهم،ودورهم في عملية التغيير الاجتماعي،مع التطرق إلى تعليم المرأة في تلك الفترة في اليمن.

وفي خاتمة الدراسة أورد الباحث ملخصاً لكل ما احتوته هذه الدراسة مع النتائج والتوصيات، والتي من أبرزها ما يلي:

١. فيما يخص المقررات الدراسية فإنها كانت تدور حول العلوم الدينية واللغوية والمذهبية، وقد تميز نظام التعليم بالانفتاح على جميع فئات المجتمع.

٢. فيما يخص طرق وأساليب التعليم فإنها كانت محددة لكنها شهدت اختلافاً وتنوعاً من مؤسسة إلى أخرى ومن معلم إلى آخر، كلٌ حسب اجتهاده وما تمليه عليه ظروف الحال.

٣. فيما يتعلق بمؤسسات وأماكن التعليم وجد الباحث أن دور المسجد هو الرائد لدى أغلب الفرق والمذاهب الموجودة في اليمن خلال تلك الفترة، يليه في الأهمية منازل العلماء والأمراء لما تقوم به من دور في عملية التعليم ونقل المعرفة.

٤. فيما يخص المعلمين والمتعلمين، فقد شهدت تلك الفترة وجود العديد من العلماء الذين تميزوا بحبهم للعلم والمعرفة، وقاموا بدور رائد في نقل العلم والمعارف بجهود خاصة دون أي تدخل للدولة المركزية ،سواءً في إعدادهم أو توجيههم والإشراف على أعمالهم، كما سادت روح التعاون والحب طبيعة العلاقة بينهم وبين أقرانهم وطلابهم والمجتمع الذي يعيشون فيه.

وقد خرجت الدراسة بعدد من التوصيات أهمها ما يلي:

١. تفعيل دور المسجد كمؤسسة علمية أثبتت فاعليتها عبر التاريخ الإسلامي في معالجة مشاكل المجتمع.

٢. العمل على الحد من بعض المظاهر المجتمعية التي تقف حائلا أمام تعليم بعض شرائح المجتمع وخاصة المرأة في المناطق الريفية، بما يساعد في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.

٣. تفعيل دور الأوقاف العامة ومراقبة مصارفها كي تقوم بدورها المشهور في دعم العلم والمتعلمين، خاصة تمويل المؤسسات التعليمية .

٤. تحييد المؤسسات العلمية من الصراع الفكري والمذهبي ، من خلال الرقابة على مناهجها وأنشطتها ،بما يحفظ توازن المجتمع .

الموضوع	الصفحة

الفصل التمهيدي

الإطار العام للدراسة

- مشكلة الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- منهج الدراسة وإجراءاتها.

مقـدمـة:

يعـد التـاريخ مـن أهـم العلـوم التـي تقـدم للباحـث حـصيلة معرفيـة لكثيـر مـن أنـواع العلـوم والأخبار والعلاقات؛ عن الدول والممالك الغابرة، وعما كان ينظم شؤونها ويدبر مجريات حياتها، والوقوف على أسباب نهضتها وعوامل ازدهارها، وكذا أسباب سقوطها أو ضعفها.

كما يعد التـاريخ مدرسـة الدهر، يعلمنـا مـا لم نكن نعلم، وهو كمـا قـال ابن خلدون:"هو فـي ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق... يؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض، حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظرة وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق ..."[١].

وفي التاريخ عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر، " لذلك رأينا أن نهتدي بعبر التاريخ، لتنير الطريق للحاضر وللأجيال القادمة"[٢] ولقد صدق الشاعر في قوله:

لَيْـسَ بِإنْـسَـانٍ وَلا عَـاقِـلٍ ... مَنْ لا يَعِي التَّاريخَ فِي صَدْرِهِ

وَمَـن دَرَى أخْبَـارَ مَـنْ قَـبْلَـهِ ... أضَـافَ أعْـمَـاراً إلَـى عُمُـرِهِ[٣]

كما يعد التاريخ من أهم ميادين المعرفة التي اهتم بها العرب وتدارسوها وألّفوا فيها، ويرجع اهتمامهم بها إلى ما قبل الإسلام ،حيث كانوا يعتقدون بأهمية الدم في تقرير خُلق الإنسان، ويؤمنون بأن أعمال الآباء والأجداد تسبغ على الأبناء مكانة في المجتمع، وهذا ما دفعهم إلى الاهتمام بالأنساب ومشجراتها وتدارسها[٤].

ثم جاء الرسول الكريم محمد ﷺ ليدعو الناس إلى الإسلام، وأنزل الله تعالى القرآن العظيم، وفيه آيات تذكر قصصاً وأخباراً عن الأولين والماضين، وتدعو إلى دراسة أحوالهم والتفكر فيها، وأخذ العبرة منها، كما تذكر الآيات الكريمة أخبار كثير من الأنبياء، وتؤكد أن جذور الإسلام قديمة، لها تاريخ طويل، فالإسلام دين الحنيفية، وهي دين إبراهيم الخليل قال تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[٥].

والإنسان ليس ابناً لأبويه فحسب، بل هو ابنٌ لعصره وزمانه، ابن التاريخ والزمن الماضي، ولا يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي، لأن معرفة الماضي تكسبه خبرة السنين الطويلة، والتأمل في الماضي يبعد الإنسان عن ذاته، فيرى ما لا يراه في نفسه من مزايا

١- عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، ص١٧.
٢- الحسين الهمداني ،الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص١.
٣- عبدا لرحمن الديبع،قرة العيون،ص١٣، من كلام المحقق محمد الأكوع الحوالي.
٤- [نشال رونز، علم التاريخ عند المسلمين، ص أ] من كلام المترجم صالح أحمد العلي.
٥- سورة الأعلى آية ١٨- ١٩.

الغير وأخطائه، ويجعل ذلك أقدر على فهم نفسه، وأقدر على حسن التصرف في الحاضر والمستقبل[١].

ولهذا ظل الاهتمام بدراسة تاريخ الأمم يتزايد، ولم تعد قراءته مقصورة على المتعة وإرضاء غريزة حب الاستطلاع، بل أدرك الناس أنه وسيلة المعرفة، وأداةٌ كبرى لكشف قابلية الأمة وطاقاتها الإبداعية، ومثير كبير للهمم[٢].

وعليه فإن العودة إلى ماضي المجتمعات لدراستها دراسة علمية، تعد إحدى اللبنات المساعدة في تحقيق نهضتها.

والمجتمع اليمني من المجتمعات المشهود لها بثراء تاريخها وعمقه وأصالة حضارته، التي تميزت في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والتربوية وغيرها من المجالات[٣].

وقد حظي تاريخ اليمن في الآونة الأخيرة باهتمام العديد من الباحثين العرب والأجانب، فظهرت عدة كتب وبحوث عن تاريخ اليمن، سواء في شكل دراسات جادة وممنهجة، لأساتذة وعلماء مختصين،أم في شكل رسائل علمية أكاديمية، ماجستير ودكتوراه، من جامعات مصرية وعراقية وسعودية وغيرها [٤].

وعلى الرغم من العناية الملحوظة بتراث اليمن في السنوات الأخيرة، وما لقي من اهتمام متزايد بتراثه، وكثرة البحوث المتخصصة في جوانب متعددة، إلا أن هذه الدراسات اهتمت في الغالب بالجوانب السياسية والأدبية،وقلما اهتمت بتاريخ التربية والتعليم، على الرغم من كون التربية عنصراً مشتركاً في الجوانب المختلفة التي يُعنى المؤرخون بدراستها[٥].

ولأن تاريخ اليمن - شأنه شأن كثير من قضايا التاريخ ومباحثه - يكتنفه الغموض، فإن البحث فيه يحتاج إلى جهد وصبر لإبراز معالمه، ومدلولاته، وكذا عامل الزمن وتقادم المخطوطات، وحفظها في بعض البيوت عن طريق التوارث وإخفائها، لجهل القائمين عليها، وصعوبة الحصول عليها سواء للاستعارة أو التصوير، مما تطلب من الباحث جهداً في الحصول على المادة العلمية، وجهداً في قراءة النصوص، و إعمال الفكر لنقدها وتحليلها ومقابلتها بالروايات المختلفة، وردها إلى المصادر الأصلية على الرغم من قلتها، حيث تعرض الكثير منها للتلف والضياع، نتيجة للحروب والفتن الداخلية بين الفرق المذهبية والقبلية المتناحرة، فكان يشكل إتلافها هدفاً لتلك القوى بغية إتلاف ما دوّنه الآخر.

١- سعد مرسي، تاريخ التربية، ص أ.
٢ - نشال رونز،التاريخ عند المسلمين ، ص د.
٣- ياسر الخطيب، التعليم في اليمن في العهد الأيوبي، ص٢.
٤- محمد الفرح، اليمن في العصر العباسي، ص٥.
٥- عبد العزيز المقالح ،عرض كتاب الحياة العلمية في اليمن،لمحمد الدجيلي، ص١٢.

من أجل ذلك كان لزاماً على الباحث في تاريخ التربية الإحاطة علماً بأحوال البلد السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتاريخية، والجغرافية، والدينية، وتحليلها تحليلاً يُظهر مدى تأثيرها على الجانب التعليمي بشكل عام.

وإذا كان هذا هو الحال في التاريخ اليمني بوجه عام، فإن الصعوبات تزداد مع تاريخ التربية والتعليم على وجه الخصوص، لأنه بمثابة بحث عن التاريخ الخاص في التاريخ العام الذي لا يتوفر منه الكثير[١].

وبما أن حظ الدراسات التربوية قليل وقليلٌ جداً، مقارنة بالدراسات التاريخية الأخرى في المجالات السياسية والاقتصادية والأثرية وشخصيات الحكام وجوانب حياتهم، على الرغم من أهميتها وحيويتها في نهضة الشعوب،فحرص الباحث أن يكون الجانب التربوي التاريخي هو مجال بحثه هذا.

ولما كانت اليمن محط أنظار الدول الإسلامية المتتالية[٢] (أموية ،و عباسية ،و فاطمية ،و أيوبية ،و عثمانية) فقد تعددت بها المذاهب والولاءات لهذه الزعامات المركزية، فكان ذلك من الأسباب الرئيسية لوجود الفرق والمذاهب بشكل ملفت للنظر، مما ساعد على قيام عدة دويلات تابعة لتلك الدول.

ولما كان الباحث قد اختار مجال تاريخ التربية، فقد كان عليه أن يحدد الفترة التاريخية والدولة التي حكمت فيها، وبعد استشارة بعض الأساتذة في قسم أصول التربية، وقع الاختيار على أن يكون موضوع رسالته للماجستير هو(**التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية للفترة ٤٣٩-٥٣٢هـ**) اعتقاداً من الباحث أن هذه الفترة جديرة أن يعكف العلماء والباحثون على دراسة كل جوانب الحياة فيها، وأهم هذه الجوانب هي جوانب التعليم المختلفة.

و الحركة الفاطمية حركة واسعة لم تقتصر على اليمن وحدها، بل امتدت إلى كثير من الدول الإسلامية، وكان هدف هذه الحركة هو قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي، ولتحقيق ذلك اتجهت أنظار الفاطميين إلى الأقطار الإسلامية النائية، من أجل تحقيق هذا الهدف السياسي، ولبلوغ أوج الزعامة في العالم الإسلامي، وكانت بلاد اليمن محط أنظارهم وقبلة آمالهم[٣].

وكان الإسماعيليون قد قسموا العالم إلى اثنتي عشرة جزيرة جزيرة دعوية[٤]، أخصها على الإطلاق جزيرة اليمن، وعلى ذلك فقد وجه الأئمة الإسماعيليون اهتمامهم إليها منذ القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي، وتجلى ذلك الاهتمام في إرسال الداعي أبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن

١- فاروق حيدر ، التعليم في اليمن في عهد بني رسول، ص١١.
٢- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص١.
٣- الحسين الهمداني،المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٤- جعفر بن منصور اليمن،أربع رسائل حقانية، ص٧، ١٤، ٢٦.

زادان الكوفي - منصور اليمن (ت/ ٣٠٢هـ) -، ورفيقه اليماني علي بن الفضل الجدني (ت/٣٠٣هـ)، لنشر الدعوة فيها[١].

وبما أن التربية عملية تعليمية اجتماعية، تتفاعل مع نظم المجتمع الأخرى المكونة له، إضافة إلى" أنها وسيلة النظم الاجتماعية في نقل هويتها الثقافية من جيل لآخر، فلا بد من أن تتأثر التربية بالفلسفة الاجتماعية... فهي التي توجه العمل التربوي وتهديه من حيث أهدافه ومحتواه وطرائقه"[٢].

ومما يبرر دراسة الجوانب المختلفة للتعليم في تلك الفترة، ما يلي:

١) توحيد اليمن من الطبيعية، حيث لم تخرج سنة (٤٥٥هـ) إلا وقد ملك علي بن محمد الصليحي[٣] (ت/٤٥٩هـ) اليمن كله، سهله و وعره، بره وبحره، وقيل بأن هذا أمرٌ لم يعهد مثله لا في جاهلية ولا في إسلام [٤].

٢) الحراك الفكري ففي ظل الدولة الصليحية انتقل التراث الفكري الإسماعيلي من مصر إلى اليمن، على يد قاضي الدولة الصليحية لمك بن مالك الحمّادي (ت/٥١٠هـ) والذي ظل في بعثة دراسية إلى مصر لمدة خمس سنوات،أخذ علومه عن المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي(ت/٤٧٥هـ)[٥].

وقد وفد إلى العراق في بداية القرن السادس عدد غير قليل من الطلاب اليمنيين فأخذوا عن عدد من علمائها مصنفاتهم ومروياتهم ،كما أتى إلى اليمن عدد آخر من علماء العراق وأدبائه فكانت لهم مساهمات فكرية وأدبية متنوعة [٦]، ولم تقتصر هذه العلاقات الفكرية على الأخذ فحسب بل ساهمت في العطاء الفكري، وكان لليمن دور رائد في نشر الثقافة العربية في إفريقيا والهند وغيرهما[٧].

٣) الخلاف والصراع المذهبي القائم بين الفرق المختلفة، التي كانت تتلقى دعما من القوى السياسية، بغية تبني أفكارها ونشرها، فقد كان هناك المذاهب السنية ويمثلها المذهبان الشافعي والحنفي، وأما الشيعة فيمثلهم الزيدية، والإسماعيلية[٨].

ومن ثم فإن دراسة الجوانب المختلفة لهذه الفترة ستكشف ما إذا كان لهذه الصراعات أثر على التعليم سلباً أو إيجاباً.

١- محمد بلعفير، العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية، ص١٥٢.
٢- محمد الخوالدة، مقدمة في التربية، ص٨٦.
٣- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي، وهو ينسب إلى قبيلة الأصلوح من بلاد حراز، وآل الصليحي من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود، ويلتقي نسب الهمدانيون والصليحيون عند جشم الأوسط، وآل الصليحي بيت بالأخروج، أنجاد كرماء من أشراف حجور[الحسن الهمداني، الإكليل، جـ١٠، ص٩٢].
٤- عمارة/الأكوع، تاريخ اليمن، ص٦٣، إدريس الأنف، عيون الأخبار، جـ٧، ص٢١، الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص١٣٠، الطيب بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص١٩٢، العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص٣٤.
٥- إدريس الأنف، عيون الأخبار، ص٣٤.
٦- محمد الدجيلي، الحياة الفكرية، ص٩.
٧- عمر الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص٢٠٩-٢١٠.
٨- النعمان التميمي ، افتتاح الدعوة، ص٧، ابن يعقوب، سيرة الإمام المنصور بالله العياني، ص١٩ - ٢٠- ٢١، علي العلوي، سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ص٧

ورغم أهمية الحركة العلمية إبان العصر الصليحي في اليمن الذي استمر زهاء قرن من الزمن، إلا أن الدراسات التي تناولت هذه الفترة في مجملها – حسب علم الباحث – لم تتحدث عن الجوانب المختلفة للتعليم بشكل مفصل، وقد وقف الباحث على دراسات سابقة مرتبطة بفترة الدراسة إلا أنها تركزت على الجوانب السياسية والاقتصادية والفكرية، وقد أشارت تلك الدراسات إلى التعليم بشكل موجز وعارض، ومن هذه الدراسات ما يلي:

- الدراسة الأولى: **الصُليحيون والحركة الفاطمية في اليمن[1] (٢٦٨ - ٦٢٦هـ)**، تناولت هذه الدراسة الحركة الفاطمية في اليمن في دورين اثنين هما:-

١) دور الستر والإعلان الأول متمثل في بداية تصدير الفكر الإسماعيلي[2] الفاطمي في اليمن، على يد السفيرين: أبي القاسم منصور اليمن المعروف بابن حوشب (ت/٣٠٢هـ) وزميله علي بن الفضل الجدني(ت/٣٠٣هـ)، وقد أطلق عليها الباحث اسم(الدولة الفاطمية الأولى) وخصص لذلك ثلاثة أبواب من الأول إلى الثالث.

٢) دور الإعلان الثاني، وبدأ مع ظهور الملك علي بن محمد الصليحي، وولده المكرم أحمد بن علي الصليحي(ت/٤٧٧هـ)، حتى نهاية عهدهم بوفاة الملكة سيدة بنت أحمد عام ٥٣٢هـ ، وما رافق ذلك من أحداث ووقائع، ثم عرّج الباحث قليلاً على أسباب سقوط الدولة وعلاقاتها التجارية والسياسية ببقية الدول، وكذا دور الستر بعد سقوط الدولة، وهذا ما تحدث عنه في الباب الرابع وما يليه وصولاً إلى الباب التاسع، ثم خصص الباب العاشر خصص للحديث عن النشاط العلمي للدعوة الفاطمية،الذي اقتصر على ذكر أسماء الدعاة الفاطميين في اليمن .

لكن هذه الدراسة لم تشر إلى التعليم في اليمن بشكل خاص، والعوامل المؤثرة عليه، وهو ما تحدث عنه الدراسة الحالية.

- الدراسة الثانية: **الملكة سيّدة بنت أحمد الصليحي[3](٤٤٠هـ -٥٣٢هـ)**، هدفت إلى الوقوف على حياة الملكة فقط، فتناولت حياة الملكة في جميع مراحلها، من الولادة حتى الوفاة، وعلى الرغم من تخصيص أحد فصولها، للحديث عن الدولة الصليحية، وفصل آخر عن الحياة الثقافية والفكرية والعلاقات الخارجية للملكة، إلا أنها لم تتطرق إلى الجانب التربوي والتعليمي في اليمن في عهدها بشكل خاص.

١- بحث عن الصليحيين والحركة الفاطمية في اليمن، تقدم به حسين بن فيض الله الهمداني، بالاشتراك مع الدكتور حسن سليمان الجهني، إلى المعهد الهمداني للدراسات الإسلامية القاهرة عام ١٩٥٥م.

٢- الإسماعيلية، هي فرقة من فرق الشيعة الإمامية، تنتسب إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، تتفق مع الإثنى عشرية في الأئمة إلى جعفر الصادق، ومن بعده ابنه موسى الكاظم، أما الإسماعيليون فيقررون أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل، وقالوا إن ذلك كان بنص من أبيه جعفر، وهم يقولون بعصمة الإمام [أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٥٢- ٥٣].

٣- رسالة تقدمت بها إيمان ناجي سعيد المقطري لنيل درجة الماجستير من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عدن، ٢٠٠٥م

- الدراسة الثالثة: **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة**[1]، خلال الفترة من (٤٢٩هـ - ٦٢٦هـ)، وتنقسم هذه الدراسة إلى قسمين : قسم التاريخ السياسي وفيه ثلاثة أبواب، ثم القسم الثاني خصص للحديث عن مظاهر الحضارة، وفيه أربعة أبواب، خصص منها باب واحد للحياة العلمية. وبما أن فترة تلك الدراسة شملت عدة دويلات، فقد تعذر على الباحث الإحاطة بكل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل دولة من الدويلات .
- الدراسة الرابعة: **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين**[2]، وتعد هذه الدراسة أقرب الدراسات إلى الدراسة الحالية، إلا أنها دراسة تاريخية اهتمت بالأحوال العلمية في ظل كثير من الدويلات التي حكمت اليمن في تلك الفترة، دون الدخول في تفاصيل العملية التعليمية في العهد الصليحي، وهو ما قامت به هذه الدراسة.

مما تقدم يتضح أنه ليس هناك دراسة مخصصة للحديث عن التعليم في اليمن في العصر الصليحي، وهو ما دفع الباحث لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه لتوضيح معالمه وإبراز جوانب التعليم في تلك الفترة التي حكمت فيها الدولة الصليحية .

- مشكلة الدراسة:

يتضح مما سبق أن تاريخ التعليم في اليمن في عهد الدولة الصليحية لا توجد فيه دراسة مركزة، حيث ركزت كثير من الدراسات على النواحي الحضارية والسياسية والاقتصادية ومآثر الحكام وتاريخهم ،مع إغفال الجوانب الأخرى وخاصة التعليم، من هنا تبرز أهمية الكشف عن الجوانب المختلفة للتعليم في عصر الدولة الصليحية في اليمن، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:-

- ما الجوانب المختلفة للتعليم في عصر الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ)؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:-

١. ما العوامل المؤثرة على التعليم في تلك الفترة ؟
٢. ما فلسفة التعليم وأهدافه في تلك الفترة ؟
٣. ما المقررات الدراسية في تلك الفترة ؟
٤. ما طرائق وأساليب التعليم في تلك الفترة ؟
٥. ما أهم المؤسسات التعليمية، وما النمط المتبع في إدارتها وتمويلها في تلك الفترة ؟
٦. ما وضع المعلمين والمتعلمين، وما طبيعة العلاقة بينهم ؟

١- أطروحة تقدم بها محمد عبده محمد السروري، لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.
٢- أطروحة تقدم بها عبدالرحمن المختار لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م

- **أهمية الدراسة:**

- أ - الأهمية النظرية:

وتتمثل في النقاط التالية:

١. دراسة التعليم في فترة مهمة من تاريخ اليمن، يقدر بقرن كامل، ويعد حلقة من حلقات التعليم في اليمن، لابد من الوقوف عليها، حيث أنه لم تسبق دراستها حسب علم الباحث.

٢. التعرف على دور اليمن في مراحل تطور الفكر التربوي والعلمي للأمة العربية والإسلامية جمعاء.

- ب - الأهمية التطبيقية:

تتمثل الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في النقاط التالية:

١. خدمة التراث اليمني بشكل عام والتربوي بشكل خاص، خدمة للأجيال القادمة وكل الباحثين والمهتمين بتراث وتاريخ اليمن خاصة، والعالمين العربي والإسلامي بشكل عام.

٢. تزويد المؤسسات التعليمية و التربوية برؤية تربوية واضحة تساعد في تفسير أحداث اليمن وأحواله في تلك الفترة.

- **منهج وإجراءات الدراسة :**

إن طبيعة هذه الدراسة تتطلب استخدام منهج البحث التاريخي، وعلى هذا الأساس استخدم الباحث المنهج التاريخي للإجابة عن أسئلة الدراسة بما يتفق معها في مضمونها وفق الخطوات الآتية:

١) جمع المادة العلمية من المصادر الأولية والمراجع ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

٢) نقد وتحليل المادة العلمية ،وفق أوضاع المجتمع اليمني بتياراته الفكرية والمذهبية التي كانت تسوده في تلك الفترة.

٣) فيما يرتبط بالمسائل العقائدية محل الخلاف بين الفرق والمذاهب الإسلامية، اقتصر الباحث على التوثيق والنقل الكامل للنص عندما يتطلب الأمر ذلك.

- **حدود الدراسة:**

يمكن تقسيم حدود هذه الدراسة إلى: حدود زمنية وحدود موضوعية وحدود مكانية، فأما الحدود الزمنية فإن الدراسة تقتصر على عصر الدولة الصليحية في اليمن، والتي تبدأ بقيام الداعي علي بن محمد الصليحي بالدعوة إلى نفسه في جبل مسار سنة(٤٣٩هـ - ١٠٤٧م)إلى نهاية الدولة الصليحية المحددة بوفاة الملكة سيّدة بنت أحمد الصليحي سنة(٥٣٢هـ - ١٠٩٨م).

أما الحدود الموضوعية؛ فتتمثل في الإجابة عن أسئلة الدراسة في اليمن بشكل عام،وتتمثل الحدود المكانية في جميع المخاليف اليمنية التي دخلت تحت حكم الصليحي (اليمن الطبيعي).

- **مصطلحات الدراسة:**

في اعتقاد الباحث أنه لا توجد مصطلحات تحتاج إلى تعريف، ما عدا مصطلح التعليم الذي ورد في عنوان البحث والذي يمكن فهمه من خلال التعريف الإجرائي الآتي :

التعليم : هو دراسة الأهداف التربوية ، والمقررات الدراسية ، وطرائق وأساليب التعليم،والمؤسسات التعليمية، والتمويل، والإدارة، والعلاقة بين المعلمين والمتعلمين، في تلك الفترة.

ومما ينبغي التنويه إليه: أن هذه الدراسة استندت إلى عدد من المصادر والمراجع المتنوعة بتنوع علومها ومعارفها،كان أهمها المصادر الخاصة بالطائفة الإسماعيلية،حيث عانى الباحث كثيراً في سبيل الحصول عليها،وإنني مخافة التطويل أحيل القارئ إلى صلب الرسالة وقائمة المصادر ليطلع عليها في مظانها،ونستثني من ذلك تاريخ اليمن المسمى بالمفيد في تاريخ صنعاء وزبيد للفقيه عمارة بن علي اليمني؛حيث رجع الباحث إلى طبعتين الأولى:بتحقيق القاضي محمد الأكوع الحوالي، ورُمِزَ لها بـ(عمارة/الأكوع)،والثانية:بتحقيق المستشرق الفرنسي "كاي"،ورُمِزَ لها بـ(عمارة/كاي).

الفصل الأول

العوامل المجتمعية المؤثرة على التعليم

المبحث الأولَ: العامل الديني.

المبحث الثاني: العوامل الجغرافية.

المبحث الثالث: العوامل السياسية.

المبحث الرابع: العوامل الاقتصادية.

المبحث الخامس: العوامل التاريخية.

المبحث السادس: العوامل الاجتماعية.

تمهيد:

بعد أن تقرر لدى الباحث تناول التعليم في اليمن في عهد الدولة الصليحية، وجد أنه لابد من الوقوف على الوقائع المؤثرة في النظام التعليمي و انعكاساتها على المجتمع اليمني في تلك الفترة.

فالتربية أداة المجتمع تتفاعل مع أوجه حياته وتتأثر بالمتغيرات الحاصلة فيه، سواءً ما اتصل منها بخبرات الماضي، أو قامت على معطيات الحاضر، أو أتت من التطلعات نحو المستقبل، وبالتالي فمن المجتمع تستمد التربية وجودها ومكونات عملها من مختلف زواياه وأبعاده، فتتمثل فيه التربية وتحافظ عليه وتطوره بما تمتلكه من فكر ومنهج(١).

والتربية الحرة لا تتحقق إلا في ظل وجود مجتمع متحرر من التسلط، لأن التربية تعد نسقاً فرعياً من النظم الاجتماعية تتأثر بها وتستجيب لها وتؤثر فيها أيضاً، والطلاب قطوف من شجرة مجتمعهم، والمجتمع المتسلط ينتج معلمين سلطويين، والمعلمون السلطويون ينتجون طلاباً متسلطين(٢).

فما شهده العالم ويشهده اليوم من تطور في نظامه التعليمي وحياته العملية لم يكن في يوم من الأيام وليد الفرصة الراهنة أو اللحظة، بل كان ناتجاً عن تعاليم سماوية ،و تطور في أفكار ورؤى بشرية صنعتها الأحداث والمتغيرات، فالبعض جاء نتيجة للرغبة في الإسراع بعملية التحول الاجتماعي من الداخل، والبعض الآخر جاء نتيجة لظروف معينة مرت بها الإنسانية، وهي كذلك في اليمن؛ أثرت فيها الأحداث العامة للأمة الإسلامية من سلم وحرب ومعتقدات وتطور في الأفكار والرؤى، كما تأثرت بعواملها الخاصة بها سواءً السياسية أو الجغرافية أو التاريخية أو الدينية أو المجتمعية، والتي كان لها الأثر الواضح في حياة المجتمع اليمني العلمية سلباً وإيجاباً.

وبما أنه لا يمكن لأي نظام تعليمي أن يسير دون أن يتأثر بالعوامل المختلفة المحيطة به، كان لزاماً على الباحث أن يسلط الضوء على كل الجوانب المؤثرة في النظام التعليمي في عصر الدولة الصليحية في اليمن والتي تختلف من حيث طبيعتها وتأثيرها وتأثرها على الحياة العلمية، قوةً وضعفاً، سلباً وإيجاباً، وبحسب المكان والزمان والاستقرار أو عدمه(٣).

---

١ - أحمد الحاج، فلسفة التربية،ص ٢٨.

٢ - يزيد السور طي ، السلطوية في التربية ، ص٩.

٣ـ تختلف هذه العوامل في مدى تأثيرها من منطقة إلى أخرى،و تتداخل العوامل فيما بينها، فهي تتأثر وتؤثر على التعليم بشكل عام، وعلى بعضها البعض أيضاً بشكل خاص.

المبحث الأولّ:العامل الديني:

إن الدين الإسلامي هو الدافع والداعي للبشرية جمعاء إلى التحضر والتقدم والرقي والنظام والنظافة والأدب وحسن التعامل، بل ذهب إلى أبعد من هذا فأعطى المشرّع أجراً لمن سن سنة حسنة، ورصد عقاباً على من خالف أو أخل بنظام الحياة المألوفة، أو عمل عملا يلحق ضرراً بأي أحد فرداً كان أو جماعة، لأنه في ذلك وما سواه يخاطب العقل في أرقى وأصفى لحظات كماله واعتداله، داعيا إياه إلى التأمل والتفكر في نواميس الكون وجمال الطبيعة، كيف وجدت وكيف تسير وكيف يمكن الاستفادة منها والعمل على تسخيرها وتطويع ما أمكن منها في سبيل خدمة الحياة الإنسانية نفسها، لأن الكون يعد كتاب الله المنظور بما فيه من آيات وعبر، والعبث به مخالفة لنواميس الكون[١].

ثم إن تنشئة الفرد باعتباره لبنة أساسية لبناء المجتمع الإسلامي المنشود على أساس ديني، مبني على التصديق واليقين والطمأنينة، وهو منهج أساسي للتفكير والسلوك والتعامل، كفيل بأن يميز هذا الناشئ ويوجهه، ويعطيه الثقة والمسؤولية والجدية والتضحية وحب الآخرين، والقدرة الكافية على استخدام العقل بصورة صحيحة، وتسخير الطبيعة واستخدامها على الوجه الذي يحقق التقدم والنمو للفرد والمجتمع[٢].

فالدين الإسلامي بمفاهيمه الشاملة والإلهية الكاملة يعد منهج حياة متكامل الجوانب، إذا ما تم فهمه الفهم الصحيح، فهو الباعث الحقيقي والمحرك الأول لمعظم الحركات السياسية والفكرية، سواءً في مقارعتها لما هو موجود ويخالف تعاليم الإسلام، أو في بسط نفوذها على بلدٍ من البلدان، وذلك لما يملي عليها دينها وتفرضه عليها ضرورات حياتها، إذ أن ذلك يعد من أسس كمال دينها وطرق إرضاء ربها ويحقق سعادتها في الدنيا والآخرة، لأن كمال الدين والتدين لا يتحقق إلا بسيادة كاملة على الأرض، كي يتسنى لها بسط نفوذها وتحقيق تعاليم ربها باعتباره منهجاً إلهياً مؤثراً في حياة البشرية[٣].

والدين الإسلامي بتعاليمه يعد من أقوى العوامل المؤثرة في حياة المجتمع العلمية، فعلى أساسه نشأت فكرة المدارس وتحديث محتويات المناهج ،وبواسطته يتم اختيار المعلمين والولاة والقضاة وإلزامهم بتعاليم معينة[٤].

فأي مجتمع يتحلى بهذا الفهم بعيداً عن الإفراط والتفريط ، سيرتقي بأفراده علمياً وعملياً، ويكون للتعليم فيه نصيب وافر من الدعم والاهتمام.

وفيما يتعلق بتأثير العامل الديني على اليمنيين، فمن المعلوم أنه بمجرد ظهور الإسلام وانتشار خبره بين الناس في جزيرة العرب، أقبل أهل اليمن على الدخول فيه طوعاً، ولم يأت العام

---

١. محمد بريغش، التربية ومستقبل الأمة ص١١٩-١٢٠،١٣٣.
٢. محمد بريغش المرجع نفسه ص١٢٩،١٣٠.
٣. علي الصلاح،كيف نربي أبنائنا،ص ٧ ،٨.
٤- محمد بريغش ،مرجع سابق،،ص١٢٠،١٣٣.

السادس من الهجرة إلا وقد انتشر بين أهلها، وفي هذا يصدق قول الرسول ﷺ:" أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان "(١)، وبعث الرسول ﷺ عماله إلى اليمن ليعملوا على تفقيه وتعليم أهله أمور الدين(٢).

ومما يدل على عظيم الأثر للجانب الديني في تلك الفترة عند اليمنيين وخاصة أهل العلم، أن العالم الذي ينقطع للعبادة كالتصوف وغيره يعده العلماء فرّاراً من العلم، فهذا ابن سمرة الجعدي يقول عن الفقيه إبراهيم بن علي بن الحسين الطبري: إنه كان فقيهاً مجّوداً لولا أنه اشتغل بالعبادة مع الصوفية وكان إماماً في الفقه والخلاف(٣)، وهذا ما يشير إلى عظيم اهتمامهم بالعلم والتعليم، وفهمهم الواضح لتوجيهات الدين الإسلامي وأوامره الجلية في طلب العلم ونشره.

وكذلك اهتم الأمراء والسلاطين وأولياء الأمور بتعليم أولادهم ،فأحضروا لهم المؤدبين والعلماء،إما بدافع عقائدي طلباً للأجر والثواب من الله ﷻ، أو رغبة في ما يتمتع به العلماء من مكانة في أوساط المجتمع(٤).

ولما لطلب العلم من أهمية أكد عليها الشرع، في مثل قول الرسولﷺ: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)(٥)، فأقبل الطلاب على العلم ،وشدوا من أجل ذلك الرحال متجاوزين كل العقبات التي تقف أمامهم أوقد تحول دون مواصلة تعليمهم وخاصة في المراحل العليا(٦).

وبظهور المذهبية كاجتهادات فقهية في إطار الكتاب والسنة،وُجد لها فيما بعد أتباع وطلاب، دخلت كذلك اليمن في هذا الطور لتستقر في أغلبها بعض المذاهب السنية ، الشيعية، تجذرت فيما بعد لتمثلها دول تنافست على حكم اليمن إبان هذه الفترة (القرنين الخامس والسادس الهجريين)، كانت في مجملها ذات أيديولوجيات مختلفة ومما ساعد على قيام هذه الدويلات المتنافسة طبيعة اليمن الجغرافية الصعبة، وأهم هذه الدويلات المتنافسة (النجاحية والصليحية و الزريعية وبنو مهدي)(٧).

وقد اصطلح المؤرخون اليمنيون على تقسيم اليمن مذهبياً إلى قسمين: يمن أسفل يغلب عليه مذهب أهل السنة، ويمن أعلى يغلب عليه المذهب الزيدي، والمذهب الإسماعيلي وجد في أواسط اليمن حول منطقة حراز وصنعاء وجبلة، فكانت كل من زبيد وعدن مراكز علمية للمذاهب السنية وفكرها وفقهها إلى جانب كون زبيد عاصمة لدولة سنية، وفي ذات الوقت مثلت صعدة مركزاً علمياً

---

١ - البخاري،الصحيح، كتاب المغازي باب قدوم الأشعريين،رقم ٤٠٣٧، ٤٠٣٨، ٤٠٣٩، من حديث أبي هريرة ، وزاد في رواية " والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم"رقم٤٠٣٨ ،ص٥٥٤.

٢- عمر الجعدي،طبقات فقهاء اليمن.ص ٥- ٦.

٣ - محمد الجندي، السلوك،جـ١ ص ٢٧٥.

٤- عمر الجعدي،مصدر سابق، ص١٠٣،٩٤، ١٠٦ ،أيمن سيد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ،ص٦٣، الطيب با مخرمة ،مصدر سابق جـ٣ص ٢١٠٠.

٥ - من حديث أنس بن مالك (المعجم الصغير للطبراني جـ١ ،ص٤١٥)ورمز له السيوطي في الجامع الصغير جـ٢،ص١٧٠بالصحة.

٦- عمر الجعدي ، مصدر سابق ،ص٩٨ ، ١١٧، ١٥٨.

٧ - عبد الرحمن المختار، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين،ص ٢، ٣، ٤.

للزيدية وعاصمة سياسية أيضاً، وكذا قامت بالدور نفسه جبلة وحراز باعتبارها مراكز علم ونفوذ للدولة الصليحية (الإسماعيلية) بينما كانت صنعاء في ذات الوقت تمثل مركزاً علمياً مهماً تتجاذبها كل القوى السياسية لتوسطها اليمن ومراكز النفوذ الأخرى[١].

- **المذهبية:**

اعتنق اليمنيون الإسلام طوعاً فلم يأت العام السادس للهجرة إلا وقد انتشر الإسلام في جميع أنحاء اليمن، فبعث الرسول ﷺ عماله إلى اليمن ليعلموا أهلها أمور دينهم من منابعه الصافية كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وظل اليمن على هذه الحال طوال القرنين الأول والثاني الهجريين؛ لم يجر فيه كثير من الأحداث التي تذكر في التاريخ، نظراً لبعدها وتطرفها عن مراكز الخلافة في دمشق وبغداد، فكان لليمنيين في هذه الفترة دورٌ كبيرٌ في حركة الفتوحات الإسلامية[٢].

وكان تفقه أكثر أهل اليمن في هذا العصر على مصنفات فقهاء مكة والمدينة، حتى ظهور تصانيف الشافعية، وكانوا قبل ذلك إما مالكية وإما حنفية[٣].

فظل أهل اليمن يأخذون فقههم من علماء أهل السنة ومصنفاتهم حتى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري، حيث يشير ابن سمرة أنه ":لحق اليمن كله ... فتنتان عظيمتان: فتنة القرامطة... ودخول الشريف يحيى بن الحسين بن القاسم إلى صعدة ومخاليف صنعاء، ودعوته إلى التشيع وهي أهون من الأولى... "[٤]، على حد قوله.

وقد شكل هذا بداية عصر جديد شهده اليمن، وهو بداية وجود المذهبية (سنة وشيعة)، والذي انعكس بدوره على الحياة العلمية في اليمن، فكان لها الدور الأساسي في مسار الحركة الثقافية في اليمن[٥]، ويمكن القول إن أهم المذاهب الموجودة في اليمن في فترة الدراسة هذه هي: السنة ويمثلها المذهب الشافعي والحنفي [٦] ، والشيعة (ويمثلها الزيدية الهادوية والإسماعيلية)، ويمكن الإشارة إلى أهم المذاهب التي أثرت في مجرى الحياة من حيث تاريخ دخولها اليمن وأثرها على الحياة العلمية.

وعليه سيعرض الباحث بشكل موجز لأكبر المذاهب الموجودة في اليمن في تلك الفترة وتاريخ دخولها إلى اليمن، وأثر ذلك على التعليم سلباً أو إيجاباً،على النحو التالي.

١- فؤاد سيد،تاريخ المذاهب، مرجع سابق،ص ١١-٢٩.
٢ - - فؤاد سيد، نفس المرجع ،ص ٤١-٤٢.
٣ - عمر الجعدي، الطبقات،مصدر سابق ،ص ٥٥، ٧٩.
٤ - عمر الجعدي ،المصدر نفسه،ص٧٥-٧٩.
٥ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق، ص٢١.
٦ - ولكن المذهب الحنفي اختفى بعد ظهور المذهب الشافعي وبقي ممثلا ببعض العلماء والرموز فقط[فؤاد سيد، تاريخ المذاهب،ص ٤١-٤٢].

١ ـ المذهب الشافعي:

ظهر المذهب الشافعي[١] في مطلع القرن الثالث الهجري مبتدئاً من المعافر([٢]) والجند، ثم أخذ ينتشر شمالاً وجنوباً حتى شمل معظم اليمن، وكان ذلك على يد الفقيه الحافظ موسى بن عمران المعافري (تـ/بعد٢٢٥هـ)، والذي أخذ العلم من أبي الوليد موسى بن أبي الجارود[٣]، وظل هو المذهب السائد في اليمن الأسفل[٤].

وقد شهد اليمن مع ظهور مذهب الشافعي وجود علماء كثيرين حملوا المذهب وتولوا نشره وتعليمه، ولا يتسع المجال لذكر كل من ساعد على نشره في اليمن، أو ألف في فقهه، فقد تحدثت الكتب الكثيرة، لكن الباحث يشير إلى كبار رجال المذهب وبعض مصنفاتهم في فترة الدراسة.

ومن أشهر علماء الشافعية في تلك الفترة: الإمام جعفر بن عبد الرحيم المحابي(تـ/٤٦٠هـ) كان فقيهاً ورعاً زاهداً، تصدر للفتوى والتعليم في الجند أيام آل الكرندي([٥]) بطلب منهم، من مصنفاته كتاب في الخلاف سماه (الجامع) استمر في التعليم والفتوى حتى أيام دخول علي الصليحي الجند فطلب منه أن يلي القضاء له، فقال:لست أصلح للقضاء، فأعرض عنه الصليحي،فخرج يريد اللحاق ببلده فتبعه بعض جنود الصليحي فألحقوا به الأذى[٦].

ومن علماء هذه الطبقة الشيخ أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي (تـ٥٠٠هـ)، تفقه على يد أبيه جعفر بمختصر المزني وبشرحه ومجموع المحاملي، وكان يحفظ المجموع في الفقه للنووي عن ظهر قلب ،وكتاب والده الجامع في الخلاف، وكان له رحلة إلى زبيد من كل عام للمناظرة مع أبي عوف الحنفي، وكان رئيساً في الدين والدنيا، صحب جياش بن نجاح كثيراً لشعره وأدبه وغيره من سلاطين آل الكرندي وبقية السلاطين والملوك السنة، وكان مجانباً ما عليه الصليحي من السمعلة[٧].

كما اشتهر منهم أيضاً الشيخ المحدث الحافظ عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة (تـ/٤٩٣هـ)، فقيه عالم نقالٌ للمذاهب عارف بطرق الحديث ورواياته كثير الرحلة في طلب العلم[٨]، أخذ (الرسالة الجديدة) للشافعي عن أبي بكر اليزدي سنة (٤٣٨هـ) بعدن [٩].

وصار مذهب الإمام الشافعي هو مذهب الدول السنية التي حكمت اليمن، وكان ملوك وسلاطين هذه الدول التي استقرت فيما يعرف باليمن الأسفل حريصين على تنشئه أولادهم على

---

١ ـأيمن سيد، تاريخ المذاهب، مرجع سابق،ص،٥٨.

[٢] نسبة إلى أولاد معاقر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة ،وهم مخلاف أهل الحجرية[محمد الحجري،المعجم،جـ٤،ص٧١١]

٣ ـ عمر الجعدي ،الطبقات،مرجع سابق، ص٨٠، والمعافري هذا هو راوي كتاب (المنتقى في السنن) عن مؤلفه ابن أبي الجاروذ.

٤ ـ أيمن سيد، تاريخ المذاهب، مرجع سابق، ص٧٩.

[٥]ـ آل الكرندي،ملوك المعافر والجند،بطن من بطون سبأ الأصغر ينتمون إلى ولادة الأبيض بن حمّال،كانت منازلهم بوادي جبا،[الحسن الهمداني،صفة جزيرة العرب،ص٥٠].

٦ ـ عمر الجعدي،المصدر السابق،ص ٩٤ـ ٩٥ .

٧ـ عمر الجعدي المصدر نفسه،ص١٠٣ـ١٠٦.

٨ـ عمر الجعدي ،نفسه،ص ٩٩ ، الطيب با مخرمة ، قلادة النحر جـ٢ص٢٠٩٠ برقم ٢٠٩٣.

٩ ـ الطيب با مخرمة ،المصدر السابق جـ٣ص ٢١٠٠.

اعتناق المذهب الشافعي ودراسة أصوله[١] يتجلى ذلك من خلال رسالة جياش بن نجاح (ت/ ٤٩٨هـ) إلى معلم ولده حيث قال: "وعلمه كتاب الله وقراءة أبي عمرو فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر... واختر له مذهب الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي"[٢]

وقد ظل علماء اليمن يتفقهون بكتاب المختصر للمزني والرسالة للشافعي وبمصنفات أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري[٣] (ت/٤٥٠هـ) إلى أن دخل اليمن كتاب المهذب للشيرازي (ت/٤٧٦هـ) فعكف عليه فقهاء اليمن بالشروح والتعليقات ليجمعها يحيى بن أبي الخير العمراني في كتاب "الزوائد"عام (٥٢٠هـ) ثم كتاب البيان الذي أصبح في عشرة مجلدات.

ولما كان تدريس علماء الشافعية لا يخلو في كل طبقة وحلقة من تدريس كتاب الحسين بن جعفر المراغي(توفي قبل القرن الخامس) " الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الظلال والبدعة" في علم الكلام[٤]، واهتمام فقهاء ومدرسي تلك الفترة بالمؤلفات الخلافية والكلامية يدل على احتدام الصراع بين المذاهب، مما جعل الرد ضرورة لا بد منها، وهذا بدوره شكل رافداً أساسياً للحركة العلمية والثقافية في اليمن بشكل عام.

٢- الزيدية(الهادوية):

بدخول الإمام علي رضي الله عنه إلى اليمن، وتجشمه عناء السفر ومشقته وإكرام أهل اليمن بهذه الزيارة، كل ذلك شكل ردة فعل خاصة لآل بيت رسول اللهﷺ لدى كل اليمنيين وخاصة قبائل همدان [٥] - حاشد وبكيل - وبوجود اليمن بعيداً عن مركز الخلافة ووعورة مسالكها وطبيعتها الجغرافية، كل هذا شجع العلويون أن يتطلعوا إليها لتكون مركزاً لنشاطهم الفكري[٦].

وفي العام٢٨٠هـ قدم إلى اليمن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي (ت/٢٩٨هـ)، بطلب من أهلها، ولكنهم خذلوه فعاد إلى موطنه في الحجاز، ثم راجعوه فعاد إلى اليمن عام ٢٨٤هـ فأسس ما يسمى بالدولة الزيدية الأولى في اليمن [٧]فضلت الإمامة في هذه الأسرة حتى قدوم الإمام المنصور بالله القاسم العياني(ت٣٩٣هـ) إلى اليمن بدعوة من اليمنيين سنة (٣٨٩هـ)، وكان كما يقول عنه صاحب سيرته: أعلم أهل زمانه، وأحقهم بالإمامة، وقد ترك كتباً عديدة في الفقه والأصول وعلم الكلام،وكان أكثر انفتاحاً على زيدية الشمال بالجيل والديلم [٨]من بلاد فارس.

---

١ - أيمن سيد، تاريخ المذاهب ،مرجع سابق ،ص٦٣.
٢ - الطيب با مخرمه،الطبقات،مصدر سابق،ص٢١٠٠،٢١٥٠.
٣ - هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر القاضي العلامة أبو الطيب الطبري من آمل طبرستان أحد أئمة المذهب وشيوخه والمشاهير الكبار ولد في آمل بطبرستان(ابن قاضي شهبه ،طبقات الشافعية،جـ١ ،ص٣٥،موقع الوراق http://www.alwarraq.com)
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٨٣.
٥ - همدان أشهر قبائل اليمن وهم ولد همدان بن زيد نو تنحصر قبائل همدان في البطنين حاشد وبكيل ابني جشم بن خيران بن نوف (محمد الحجري،مجموع بلدان اليمن،ص٧٥٢)
٦- محمد الدجيلي، الحياة الفكرية ،ص٥٢.
٧ - لتفصيل ذلك انظر (أيمن فؤاد سيد،تاريخ المذاهب ،ص ٢٦١)
٨ - حسين يعقوب ، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم العياني، ص١٢.

وفي العام (٤٣٧هـ) وصل إلى اليمن أبو الفتح محمد بن الحسين الديلمي(ت/٤٤٤هـ) فدعا لنفسه بالإمامة، و سيطرعلى بعض أقسام اليمن، وبعد هذا أخذ نفوذ الصليحي يقوى، فبدأ بينهما صراع مرير انتهى بمقتل الديلمي[١]، ومن تاريخ مقتله غابت الزيدية عن المسرح السياسي، حيث خرج الأمر من أيديهم إلى الصليحيين والهمدانيين حتى العام (٥٣٢هـ)، حيث ظهر الإمام أحمد بن سليمان(ت/٥٦٦هـ)[٢] .

وكان لهذه الفترة التي امتدت منذ(٤٤٤-٥٣٢هـ) أي قرابة قرن من الزمن والذي غاب خلاله الفكر الزيدي عن المسرح السياسي ـ كحكام ـ ؛ أثرها الكبير في انتشار المذهب الإسماعيلي، حيث تعد هذه الفترة هي مرحلة البناء الفكري له [٣].

وممن قام محتسباً وليس بإمام في تلك الفترة حمزة بن الحسن (ت/ ٤٥٩هـ)، حيث أنكر على المطرفية كثيراً مما هم عليه، وناهض الصليحي لمرات عدة حتى قتل [٤].

وترجح المصادر الزيدية أن زيدية اليمن افترقت إلى : مخترعة[٥] ومطرفية [٦] ، في زمن الإمام القاسم العياني، وذلك بسبب مناظرة حدثت بين رجلين عاملين هما : علي بن شهر وعلي بن محفوظ، في الخلاف حول وجود الأعراض، مما أدى إلى افتراق الزيدية الهادوية إلى فرقتين كما تمت الإشارة[٧].

وتشير المصادر التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها أن كلاً من المخترعة و المطرفية تباينوا في الآراء والأفكار، بل وصل الأمر بينهم حد الاحتراب والتصفية الجسدية، ناهيك عن المناظرات والردود الفقهية، ونلاحظ ذلك جلياً في وصف الإمام عبدالله بن حمزة(ت/٦١٥هـ) عن المطرفية :" ... إنهم زادوا على كفار المجوس والنصارى والمجبرة..."[٨]،وقتل منهم الآلاف المؤلفة وأخرب مدنهم وقراهم وسبى نساءهم و ذراريهم ومنعهم من دخول المساجد، وكتب على واجهة مسجده الذي بناه في ظفارقوله:

أقسمتُ قِسْمَةَ حَالِفٍ بر وَفِيْ   لَا يَدْخُلَنَّكَ مَا حَيِيتُ مُطَرِفِي [٩]

وبهذا أصبح لكل فرقة مراكزها الخاصة بها، فالمطرفية انتشرت في مناطق غرب صنعاء وهجرة وقش وسناع والرجو وبعض مدن تهامة ،والمخترعة سيطرت على صعدة و مخالفيها وأجزاء من صنعاء[١٠] .

١ - يحيى بن الحسين،غاية الأماني جـ١، ص٢٥٠؛حميد المحلي ، الحدائق الوردية جـ٢،ص ٩١-٩٥.
٢ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق، ص٤٩ .
٣ - محمد الدجيلي،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
٤ - حميد المحلي،الحدائق جـ٢،ص ٨٢.
٥ - المخترعة، سموا بذلك لقولهم باختراع الله للأعراض والأجسام، كان على رأسهم علي بن شهر، وكان في موضع بيت أكلب من جبل عيال يزيد شمال صنعاء [إسماعيل الأكوع- اليمن الخضراء ص،١١٢،عبد الرحمن الشجاع،مرجع سابق ،ص١٤٢].
٦ - المطرفية ،نسبة إلى مطرّف بن شهاب العبادي الشهابي الذي ظهر سنة(٣٨٨هـ)، وهم زيدية في الأصول، لهم أفكار فلسفية [الواسعي،التاريخ،مرجع سابق،ص١٥٩].
٧- أيمن سيد،تاريخ المذاهب،مرجع سابق ص٢٤٢، .
٨- يحيى بن الحسين ، الطبقات، ص٣٨ .
٩- قاسم غالب ،ابن الأمير وعصره ،ص٤٣.
١٠- أيمن سيد، تاريخ المذاهب مرجع سابق ص٢٤٢ .

ونظراً إلى عظيم الصلة بين هادوية اليمن ومعتزلة العراق ظل التواصل بين البلدين على أعلى مستوياته، فحفظ اليمن تراث المعتزلة الكبير بعد أن عمد أهل السنة إلى إتلافه في العراق على أيدي الأشاعرة والسلاجقة[١].

وكان الكثير من دعاة الجيل والديلم يصلون إلى أرض اليمن على هيئة أفراد وجماعات للقاء زيدية اليمن منذ أواسط القرن الخامس الهجري، فهذا داوود بن محمد الجيلاني[٢] يصل إلى اليمن قادماً من العراق،والعلامة عبدالله بن زيد العنسي" وصل بالكتب النفيسة ورد على المطرفية بدعتهم" ومحمد بن عيسى العراقي قادماً من الجيل بالكتب والموجزات،ووصل إلى مدينة وقش وهي مملوءة حينئذٍ بالتطرف فأثناهم عنه [٣].

ونظراً لاستقرار المذهب الإسماعيلي في المناطق الشمالية فقد شكل ذلك خطراً على وجود المذهب الزيدي القائم في تلك المناطق ، فكان من البديهي أن يتولى علماء الزيدية الرد عليهم وتفنيد آرائهم وأفكارهم ، فكتبوا في ذلك الكتب والرسائل[٤].

ومن الكتب التي تخصصت في الرد على أفكار الإسماعيلية ومعتقداتهم ؛ كتاب كشف أسرار الباطنية لابن أبي القبائل الحمادي (عاصر علي الصليحي)، والحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار لحميد المحلي (ت/ ٦٥٣هـ) وكتاب الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي (ت/ ٧٤٥هـ)، ومشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ليحي بن حمزة أيضاً ،وهذه المؤلفات وإن أتى البعض منها متأخراً إلا أن في ذلك دلالة واضحة على ضراوة المعركة الفكرية بين الطرفين، الأمر الذي يوحي بوجود ردود ومواقف وآراء في تلك الفترة ، والذي يعد جزءاً من الثراء العلمي والفكري في اليمن [٥] من ناحية،وسبباً في الصراع والانقسام من ناحية أخرى.

- **الإسماعيلية:**

اتسمت الدعوة الفاطمية الإسماعيلية بالسرية والكتمان، فكان أئمتهم يسيرون في البلاد سراً، خوفاً من العباسيين والسنة، وبغية الوصول إلى هدفهم في إقامة خلافة شيعية تحكم العالم الإسلامي، فتم تقسيم العالم الإسلامي إلى اثنتي عشرة جزيرة دعوية، كانت اليمن أخص هذه الجزر على الإطلاق، كما تميز الدعاة الفاطميون بالخبرة والدراية التامة في اختيار الرجال، حيث بلغوا درجة عالية في قوة ودقة اختيار من يصلح لهذا الأمر[٦].

ولما كانت اليمن قبلة للطامعين، نظراً لبعدها عن مركز الخلافة وطبيعتها الجغرافية؛ رأى فيها الإسماعيليون وسيلة لتنفيذ مشروعاتهم الطموحة، واليمن كما وصفها أبو العلاء المعري : كان

١- أيمن سيد، تاريخ المذاهب، مرجع سابق،ص ٢٥٤-٢٥٥.
٢- لم يعثر الباحث على تاريخ وفاته.
٣- يحيى بن الحسين ، الطبقات ، ص٥٦؛ حميد المحلي ،الحدائق جـ٢ ،ص١٠٧؛ أحمد بن أبي الرجال ، مطالع البدر جـ٣ ، ص٣٩.
٤- عبد الرحمن الشجاع ، الحياة العلمية في اليمن ١٥٣- ١٥٤ .
٥ - الحسين الهمداني ،الصليحيون، مصدر سابق ، ص ١٨- ٢٥ ، عبد الرحمن الشجاع ، الحياة العلمية،ص١٥٢-١٥٥.
٦- الحسين الهمداني ،نفس المصدر،ص ٢٧-٢٩ ؛ أيمن سيد، المرجع السابق،ص ٩١.

معدناً للمتكسبين بالتدين، والمحتالين على السحت بالتزين ، ولا تعدم وجود داع أو زعيم ،كل يدعي أنه القائم المنتظر؛ من أجل جباية المال والوصول إلى ما تطيب به الآمال[١].

فتم اختيار الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي (ت/ ٣٠٣هـ) المعروف بمنصور اليمن ورفيقه علي بن الفضل الجدني الجيشاني (ت/ ٣٠٢هـ)، ليمثلا السفارة الأولى إلى اليمن للدولة الفاطمية.

فاستطاع ابن حوشب وابن الفضل أن يحققا هدفهما ويقيما دولة المهدي العبيدي الأولى في اليمن للفترة (٢٦٨-٣٠٣هـ)، أخضعا خلالها جزءاً كبيراً من اليمن، وتمنع عليهما البعض الآخر، نظراً لمقاومة فكرتهم من قبل الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأنصاره في صعدة وما جاورها، ومقاومة فقهاء وزعماء الدويلات الموجودة آنذاك أمثال بني زياد واليعفريين[٢].

ثم نشأ الخلاف بين الزعيمين الإسماعيليين: علي بن الفضل وابن حوشب لخروج الأول عن طاعة الأخير، وتمنع كل منهما بما تحت يده من الحصون؛ الأمر الذي سهل مهمة المناوئين لهم في القضاء عليهم، ليعود بذلك المذهب الإسماعيلي في اليمن من دور العلن بالدعوة إلى دور الستر والخفية في المناطق النائية[٣].

وظل الإسماعيليون بعد ذلك في وضع صعب، وبقي نشاطهم الثقافي والعلمي محدوداً جداً رغم وجود الدعاة السريين، حتى ظهر نشاطهم من جديد عند قيام الدولة الصليحية التي يمكن تسميتها الدولة الإسماعيلية الثانية في اليمن، والممتدة بين عامي(٤٣٩-٥٣٢هـ)[٤].

وبدافع ديني خالص، عمد رئيس الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن سليمان بن عبدالله الزواحي[٥] إلى التنقيب عمن يكون خليفة له، ويحمل لواء دعوته، ويعيد لها مجدها المسلوب منذ زمن ابن حوشب (منصور اليمن)، فوجد بغيته لدى القاضي محمد الصليحي[٦] لما رأى من مخايل النجابة و دلائل الفضائل في ولده علي والذي كان لا يزال دون سن البلوغ (على حد تعبير عماد الدين إدريس الأنف)، فأخذ الزواحي يتصل به ويركب كثيراً إلى والده ويلاطفه، حتى استطاع أن يستميل ولده علياً سراً من أبيه[٧]، فغرس في قلبه ولبه من العلوم ما جعله مقتنعاً تماماً بما يملى عليه، وأسند إليه رئاسة الدعوة قبل وفاته، وأوصى له بجميع كتبه ،وقيل أمواله[٨].

١- المعري ، رسالة الغفران ،٤٤٢.
٢ - النعمان التميمي ، افتتاح الدعوة ، ١٨، إيمان المقطري ، الملكة سيدة بنت أحمد ، ٤٦-٤٧.
٣ - النعمان التميمي ، سابق ،ص ١٨-١٩.
٤ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق ،ص ٢٨.
٥- بلدة الزواحي ، ينتسب إلى قرية الزواحي وهي بلدة من ربع متوح في ناحية صعفان من مديرية حراز، وينسب إليها عامر بن عبدالله الزواحي صاحب الدعوة الفاطمية في اليمن[الحسن الهمداني، الإكليل جـ١ ،ص ٢٣٢].
٦- كان صاحب رياسة وطاعة في قومه من أهل حراز، وكان سني المذهب [إسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقله،ج٣ ض٩٣٠].
٧ - ما كان للزواحي أن يصل بعلي الصليحي إلى هذه المرتبة العلمية دون علم والده والذي تصرح أغلب مصادر التاريخ وخاصة الإسماعيلية أنه كان سني المذهب وصاحب علم ومطاع في قومه؛فما كان لقاض سني أن يترك ولده حتى يأخذ كل هذه العلوم دون علم والده ،وهذا ما يثير التساؤل ؛وهو إما إن يكون القاضي محمد إسماعيلي المذهب وكان سكوته تقية أو أن عمارة قد تعمد ذكر هذه الأمور وإخفاء بعض التفاصيل للغرض نفسه؛كتاريخ وفاة الزواحي وتفاصيل زياراته التعليمية المتكررة.
٨ - إدريس الأنف، عيون الأخبار ، جـ٧، ص٥-٦ ؛الحسين الهمداني،الصليحيون ،مصدر سابق،ص ٦٨.

وبهذا دخلت الحركة الإسماعيلية مرحلة جديدة في ظل الدولة الصليحية، حيث قامت هذه الدولة بدور كبير في نشر المذهب الإسماعيلي وكتبه وتراثه، حتى أنها صارت الوارث الفعلي للدولة الفاطمية المصرية في الحفاظ على التراث الإسماعيلي والذي ظل فترة طويلة في مصر بعد نقله من بلاد فارس على يد الداعي هبة الله الشيرازي(ت/ ٤٧٥هـ)، ثم نقل إلى اليمن عن طريق القاضي لمك بن مالك الحمادي الهمداني (ت/٥١٠هـ)، والذي بقي في سفارة علمية بمصر لمدة خمس سنوات[1].

وكانت إسماعيلية اليمن تواصل اتصالاتها بمراكز الخلافة والدعوة الفاطمية، في القيروان والمهدية ثم مصر من أيام ظهور المهدي (ت/٣٢٢هـ)[2]، وزاد هذا التواصل والعلاقات بين اليمن ومصر في عهد الخليفة المستنصر بالله العبيدي (ت/٤٨٧هـ)[3] حينما ظهر الملك علي بن محمد الصليحي (ت/٤٥٩هـ) في اليمن، حيث أرسل الأخير قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي (ت/٥١٠هـ) بوصفه أول مبعوث علمي خارج مملكته لمدة خمس سنوات، والذي كان يحضر مجالس هبة الله الشيرازي (ت/٤٧٥هـ) بدار العلم ويأخذ علوم الدعوة، حتى استوعبها ،ونقل على إثر ذلك تراث الدولة الفاطمية العلمي إلى اليمن[4].

وبدوافع دينية مذهبية أسند الخليفة الفاطمي إلى الحكام الصليحيين إدارة جزيرة اليمن الدعوية كاملة[5]، والتي تشمل اليمن وعمان والهند والسند، مما ساعد على وجود حراك فكري وثقافي متبادل من وإلى اليمن، تمثل في رحلات علمية وتبادل ثقافي كبير، وهذا كان سبباً رئيساً في زيادة بسط نفوذ الصليحيين على مناطق واسعة في اليمن وخارجها، ومن هذا المنطلق ازداد تركيز الفاطمية على اليمن لاعتبارات سياسية ودينية[6].

من هنا يجد الباحث أن العامل الديني كان الدافع الرئيس لدعاة الفاطميين، من أجل إقامة دولتهم الثانية في اليمن، كي يتسنى لهم نشر دعوتهم وممارسة معتقداتهم،وكذلك بقية المذاهب الأخرى.

يتضح مما سبق أن العامل الديني قام دوراً أساسياً في تنمية علاقات اليمن الخارجية مع بعض الدول، التي استقبلت العديد من الطلاب اليمنيين وأرسلت عدداً من طلابها إلى اليمن، وعلى أساس التنافس المذهبي شهدت كل من زبيد وعدن وصنعاء وجبلة وصعدة وكل الهجر والقرى العلمية نتاجاً علمياً ملحوظاً في هذه الفترة، إما خدمة للعلم والتعليم والذي يعد هدفاً لكل المذاهب،

---

١ - إدريس الأنف ، نزهة الأفكار ، ص١٥٠؛ محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق، ص٢٩.

٢ - هو عبيد الله بن الإمام رضي الدين عبدالله، ولد عام ٢٥٩هـ في مدينة سلمية، تسلم الإمامة بعد وفاة والده عام ٢٨٩هـ [مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ص٣٤٨].

٣ - هو معد أبو تميم ابن الظاهر، ولد عام ٤٢٠هـ، تولى الخلافة وهو في السابعة من عمره واستمر ستون عاماً [مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٥٢٠].

٤ - الحسين الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن،ص ٢٦١-٢٦٢.

٥ - قسم الإسماعيليون العالم إلى اثني عشر قسماً مثل السنة الزمنية، وأطلق على كل قسم (جزيرة)، وجعل على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً هو المسئول الأول عن الدعوة فيها ,ويلقب بداعي دعاة الجزيرة أو حجة الجزيرة [مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص ٢٨-٢٩].

٦ - الحسين الهمداني، المرجع السابق،ص٢٢٣-٢٣٠.

وإما بدافع الحفاظ على الكيان من الذوبان في الآخر ومواجهته، عن طريق المناظرات وعن طريق تأليف المؤلفات والردود العلمية والفقهية وغيرها ،وإما بهدف الهيمنة والاستحواذ أو بهدف القهر والسيطرة.

فكان للعامل الديني دورٌ مؤثرٌ على التعليم، الذي غلب عليه الطابع الفقهي، حيث كان أغلب رجال العلم هم من علماء الدين، والطلاب هم من طلاب الفقه، وأغلب المؤلفات تدور في إطار التدين أو الحركة الدينية وعلم الفقه، بالإضافة إلى العلوم المساعدة كاللغة والنحو والكلام[١].

المبحث الثاني:العامل الجغرافي:

جغرافية أي بلد تعد من أهم العوامل الطبيعية المؤثرة في حياة المجتمعات، إذ تطبعهم بطبائع تميزهم عن غيرهم من المجتمعات والشعوب، وقد فطن علماء التربية إلى ذلك منذ أمد بعيد وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون(تـ/ ٨٠٨هـ)[٢]، فأكدوا على ضرورة مراعاة المنطقة التي يعيش فيها المتعلم ومعرفتها، سواءً من ناحية الحرارة أو البرودة، والسهولة أو الوعورة ،والريف أو الحضر، ومدى تأثيرها على تحصيل الطالب ليلاً ونهاراً، فجعلوا لذلك نظماً تعليمية تتكيف مع هذه المتغيرات في وسائلها ووسائطها ومناهجها.

ويؤثر الموقع الجغرافي والمناخي في الإنسان تأثيراً مباشراً وبالغاً، فيتأثر بالجبل وبالسهل،والصحراء والغابة،والمرتفع والمنخفض، والوفرة المادية وعدمها، فيكون ابن الجبل أكثر شدة ومقاومة من ابن السهل والبيئة الساحلية، وكذا بالنسبة للبعد والقرب من المراكز العلمية، فقد عانى أصحاب المناطق النائية والبعيدة من مشاق السفر والاغتراب[٣] في طلب العلم.

وعليه فان الباحث معني بالنظر في مدى تأثير كل من الموقع الجغرافي والتضاريس على التعليم في اليمن خلال تلك الفترة.

أ - الموقع الجغرافي لليمن:

تقع اليمن جغرافياً بين خطي العرض(١٢،٣٠ْ) و (١٧،٣٠ْ) شمال خط الاستواء، وبين خطي الطول(٤٢،٣٠ْ) و (٥٦،٣٠ْ) شرق خط جرينتش، وهي في موقع وسط بين الهند والشرق الأقصى من جهة الشرق وعالم البحر المتوسط من جهة الغرب، وشرق إفريقيا من جهة الجنوب الغربي، هذا الموقع جعلها على طريق التجارة العالمية الذي جعل حركة التجارة في سواحل اليمن نشطة بحيث سيطر اليمنيون عليها لفترات طويلة، فكانت مصدراً للرخاء كما كانت سبباً للمحاولات الخارجية من أجل السيطرة على البلاد وعلى طرق التجارة المتصلة بها[٤].

١- محمد الدجيلي،االحياة العلمية،مرجع سابق، ص٢٢٠.
٢ - المقدمة ،ص،٥٤٤.
٣ - علي القائمي، أسس التربية،ص ١٢٣.
٤ - عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص٢٤

وقد استفاد اليمنيون من موقع بلادهم الجغرافي على الطرق التجارية العالمية حيث شكل اليمن حلقة وصل مهمة في هذه الطرق البرية والبحرية[١]، وارتحل اليمنيون بتجارتهم إلى الهند والصين و شمال وشرق إفريقيا وجنوب أوروبا، فأثرت هذه الرحلات على اليمن وتأثرت بها، مما جعلهم يحققون أرباحاً كبيرة زادت من إيرادات الدول اليمنية آنذاك، ومع هذا التبادل التجاري حصل احتكاك ثقافي مع تلك البلدان عبر القوافل التجارية من وإلى اليمن، وكان للتعليم نصيبه الوافر من هذا التأثير والتأثر خصوصاً في المناطق الساحلية مثل عدن وزبيد[٢].

وبذلك جذبت المناطق الساحلية اليمنية مثل عدن وزبيد الكثير من الوافدين من الشعوب المختلفة كإفريقيا والهند ومصر وبقية البلدان، مما قوى الاتصال التجاري والثقافي بينها وبين اليمن أخذاً وعطاءً، وهذا شكل منها منطقة جاذبة للعلماء والفقهاء والدارسين، فوفد إلى اليمن عدد من الطلاب الأفارقة والهنود، ونهلوا من معين العلم ،عن علماءاليمن فمن الطلاب ذكي بن عبدالله الحبشي وأحمد بن مطروح الحبشي وغيرهم ممن تتلمذوا على الفقيه الشافعي يحيى بن أبي الخير العمراني (تـ/٥٥٨هـ)[٣].

ومن العلماء الذين وفدوا إلى اليمن؛ الفقيه محمد بن عبدويه المهروباني[٤] (تـ/٥٢٥هـ)[٥] الذي استطاع أن ينشر علمه في عدن ثم زبيد، ولأسباب سياسية انتقل إلى جزيرة كمران، وكان له تجارة كبيرة تُجلب من الحبشة والهند، وكان أهل النواخيذ[٦] والتجار يأتون للسلام عليه والسماع منه، يأتون إليه من اليمن ومن بقيه بقاع الأرض، وقد سهل ذلك وقوع الجزيرة على الممر التجاري البحري[٧].

وقد ساعد ذلك على ازدهار الجوانب الأخرى كالزراعة والصناعة، خاصة المناطق الساحلية كعدن، وزبيد، ويتجلى ذلك مما كان يُفرض على حكام عدن وزبيد من ضرائب سنوية مقابل بقائهم حكاماً أو ممن يتولى أمرها من جديد، وخير دليل على ذلك ما تصالح عليه علي بن محمد الصليحي مع بني معن حكام عدن آنذاك من الأموال مقابل بقائهم سلاطين لعدن، وما دفعه أسعد بن شهاب الصليحي (تـ /٤٥٦هـ) مقابل توليه أمور زبيد بعد دحر بني نجاح منها[٨].

ووجود ميناء عدن على الخليج - المسمى باسمها - على مدخل البحر الأحمر، جعل منها مركزاً تجارياً يربط بين شرق إفريقيا وبلاد العرب، ونقطة ارتكاز بين مصر والشام وبين الهند

١- داوود المندعي، تاريخ اليمن الاقتصادي،ص ٣١، ٣٢.
٢ - الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص ١٧٨- ١٧٩.
٣ - عمر الجعدي،الطبقات، مصدر سابق ص٢٠٩.
٤- هو أبو عبد الله محمد بن عبد و يه المهروباني؛نسبة إلى بلد بساحل البصرة يقال لها مهروبان،دخل اليمن أواخر المائة الخامسة فوصل إلى عدن ثم زبيد ثم استقر في جزيرة كمران،[محمد الجندي،مصدر سابق،جـ ١ ص٢٧٩].
٥ - دخول مفضل بن أبي البركات إلى زبيد و انهب ماله وتجارته سنة ٤٩٧هـ.
٦ - المشهور ان النَّاخُذاه (النوخذة) هو المُتَصرِّف في السَّفِينة المُتَوَلي لأمْرِهَا (قائد السفينة أو القبطان) سواءٌ كان يَمْلِكُهَا أو كان أجيرا على النَّظر فيها وتَسْيِيرها وقد اشْتَقُّوا منها الفِعْل وقالوا، تَنَخَّذَ فلاناً كَتَرَأَسَ إذا صارَ نَاخُذاه أو رئيساً في السَّفِينة [الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، باب نخذ].
٧ - عمر الجعدي ،الطبقات، مصدر سابق ، ص١٤٤- ١٧٤.
٨ - الحسين الهمداني، الصليحيون،مصدر سابق،ص٧٥- ١٠٥.

والصين، ومحطة مهمة لانطلاق السفن التجارية في مواسمها المتعارف عليها، وهي كما وصفها القلقشندى" مدينة ذات حطٍ وإقلاع"، و وصفت بأنها ساحل صنعاء، فهي مرفأ لتصدير منتجاتها و إليها تأتي المراكب من موانئ الصين،و سلاهط المندب[١]، وغلافقة[٢]،و الحردة[٣]، وعثر[٤]،و الحسبة[٥]، و جدة، [٦].

وبتوسط اليمن بين الشرق والغرب وخاصة وقوعها في إطار ما يسمى بجزيرة دعوية إسماعيلية واحدة مع الهند وعمان وما جاورهما ـ حسب التقسيم الإسماعيلي للعالم ـ جعلها مركزاً علمياً نشطاً بالنسبة للفكر والفقه الإسماعيلي، ومستودعاً له أثناء محنة الفاطميين في مصر، فتتالت الرحلات العلمية من اليمن وإليها.

ب ـ التضاريس:

يحاول الباحث في حديثه عن تضاريس اليمن؛ بيان مدى تأثيرها على حياة المجتمع اليمني الاجتماعية والسياسية، ومن ثم أثر ذلك على الجانب العلمي سلباً أو إيجاباً.

تأثرت الحياة السياسية والاجتماعية في اليمن على مدى العصور المختلفة بالعوامل التضاريسية تأثراً واضحاً، وأبرز دليل على ذلك تأثير التضاريس؛ التي تتميز بوعُورَتِها على تفتيت اليمن إلى دويلات لفترة طويلة[٧].

لقد وجدت في تلك الفترة أكثر من دولة لكل منها عاصمتها وحدودها وحياتها الخاصة بها، وقد كانت هذه الدويلات تفتقد إلى أبسط معايير التعاون وحسن الجوار، بل كان يسود علاقاتها التناحر والعداء المستمر لبعضها البعض، كل ذلك أدى إلى عدم الاستقرار، الأمر الذي دفع اليمنيين إلى الهجرة خارج بلادهم، بحيث كانت هجرة اليمني صفة ملازمة لتاريخه الطويل خاصة عند ما لا توجد دولة مركزية قوية تتغلب على قسوة التضاريس[٨].

ويمكن النظر إلى أثر التضاريس على الحياة العلمية من خلال التقسيم الأتي:

(١)ـ السهل الساحلي الغربي: يمتد هذا السهل بمحاذاة البحر الأحمر من جازان في الشمال إلى باب المندب جنوباً، ويتميز بخصوبة تربته ووفرة المياه فيه مما جعله منطقة صالحة للزراعة[٩].

١ـ سلاهط جزيرة من جزر الهند، بها صندل كثير وسنبل وقرنفل، وكثير من التوابل، ونسبت إلى المندب بسبب مرور تجارتها عبره [الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، باب س، ل، ا، ص٣١٩].

٢ ـ قرية على ساحل البحر الأحمر من ساحل بلاد الزرانيق كانت من قبل فرضة زبيد[محمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ص٦٢٥] كانت مرسى مشهور وكان فيها حط وإقلاع وبها حط رحاله داعية القرامطة حسن بن حوشب مع علي بن الفضل عام ٢٦٨هـ وتسمى اليوم غليفقة [الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب،ص ٩٢].

٣ـ موقع هذا الميناء ما يزال مجهولاً، وبناءً على ما ورد لدى الهمداني أن الحردة وعطنة ساحلا المهجم والكدراء[الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب،ص ٢٢٣]، فإن الموقع المحتمل لهذا الميناء إلى الشمال من ميناء الحديدة، ميناء اليمن اليوم على ساحل البحر الأحمر.

٤ ـ مخلاف من عسير وتهامة عسير من بلاد اليمن بينها وبين مكة مسيرة عشرة أيام تعد في أعمال زبيد وهي معروفة بكثرة الأسود [محمد الحجري،مرجع سابق،ص ٥٧٩، ٥٨٠] وتعد اليوم من أراضي المملكة العربية السعودية.

٥ ـ.الحسبة، قرية بها آبار وزراعة على طريق التجار من عدن إلى مكة وهي من أعمال تهامة [محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص٤٥].

٦ ــ أحمد القلقشندي،صبح الأعشى، جـ٥ ص١٠.

٧ ـ فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص٢٧.

٨ ـ فاروق حيدر، المرجع السابق، ص٢٧.

٩ـ وزارة التربية والتعليم- جغرافية اليمن الطبيعية الفصل الثالث الثانوي، ط/عام١٩٩٦م،ص ٢٦.

ويظهر تأثيرها التضاريسي على التعليم في هذا السهل في عهد الدولة الصليحية؛ فقد كثرت المساجد التي بنيت في تلك الفترة وخاصة في عهد بني نجاح حيث بلغ عدد المساجد التي تقام فيها حلقات ومجالس العلم أكثر من خمسة عشر مسجداً في زبيد وحدها[١]،ولعل ذلك عائدٌ إلى ما لهذه المساجد من أوقاف ومرافق وضياع زراعية[٢].

ونظراً لكثرة محاصيل هذا السهل، وسهولة العيش فيه فقد امتاز بكثرة سكانه من العرب والأحباش، كما اشتهرت به عدد من المدن مثل زبيد والكدراء والمهجم، وعدد من الموانئ كسلاهط وغلافقة وعثر والحسبة[٣] وكمران[٤]، كل ذلك كان له عظيم الأثر في ازدهار الزراعة والتجارة والتي شكلت عائداتها رخاءً ووفرة مالية لدى سكان هذا السهل، وحكّامه آنذاك، وهذا انعكس على التعليم فكان لعلماء ومدرسي زبيد رواتب سنوية ترصد لهم في جريدة الصدقات، وصفها عمارة بقوله:" للفقهاء والعلماء والقضاة والمتصدرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع ؛اثنا عشر ألف دينار كل سنة"[٥].

(٢)- المرتفعات الغربية والوسطى: ويشكل هذا الجزء مساحة كبيرة من الأراضي اليمنية، فهو ممتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وقد امتاز هذا الجزء بشدة المرتفعات الجبلية وصعوبة المرتقى، فكثرت فيه الحصون والقلاع، كما تميز سطحه بوعورة التضاريس[٦]، الأمر الذي ساعد على بروز زعامات شخصية وقبلية ملحوظة، متأثرة بالموازين والقيم الثأرية تارة، والمذهبية تارة أخرى[٧]، وهذه التقلبات وتعدد الولاءات وغياب الدولة المركزية سبباً رئيس في تأثر الحركة العلمية سلباً بعدم مواكبتها للتطور العلمي والثقافي، والذي يتطلب استقراراً سياسياً ولو لبعض الوقت.

وقد تأثر التعليم ومؤسساته في هذا الجزء الكبير من اليمن في تلك الفترة، بحسب اختلاف التضاريس وشكلها من مكان إلى آخر، ففي البقاع المعتدلة المناخ والكثيرة الأمطار والخصبة في تربتها والمناطق قليلة الارتفاع نشأت العديد من المراكز والقرى العلمية المشهورة مثل الجند وذي جبلة وذي أشرق وأحاضة وسهفنة ومصنعة سير، وقد ارتبطت شهرة هذه المراكز بشهرة من يسكنها من العلماء المعلمين، كما تمتاز بعض هذه المراكز بكثرة العلماء والطلاب الوافدين إليها من اليمن ومختلف بلاد العالم كجبلة[٨]، والجند، وكثرة الأوقاف والنذور التي ساعدت في تمويلها والنفقة على طلابها.

---

١ - عمارة / كاي،المفيد ،مصدر سابق ص ١٢٦.
٢ - عمارة / كاي، نفس المصدر ص ١٢٦- ١٢٧.
٣ – أحمد القلقشندي،صبح الأعشى، مصدر سابق جـ٥،ص ١٠.
٤- عمر الجعدي ،الطبقات،مصدر سابق، ص١٤٤.
٥ - عمارة / كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ١٤٦.
٦ - وزارة التربية والتعليم، جغرافية اليمن الطبيعية، الفصل الثالث الثانوي ط ١٩٩٦م، ص٢٦.
٧ - عبد الرحمن الشجاع،الحياة العلمية، ص٢٥- ٢٦.
٨ - كونها عاصمة الدولة الصليحية ،فإليها وفد العديد من الدعاة وطلاب العلم من الهند وعمان والبحرين.

كما كانت حركة التعليم ضعيفة في المناطق المرتفعة وقليلة الأمطار بشكل عام، باستثناء صنعاء وحراز والبون كونها مناطق حراك وصراع فكري بين كل من الزيدية والإسماعيلية من جهة، وبين الزيدية المخترعة والزيدية المطرفية من جهة أخرى، ولأن هذه المناطق توجد على سهلين زراعيين واسعين فقد وجدت فيهما مراكز للعلم، وأهم هذه المراكز تتمثل في بعض الهجر كسناع ووقش وحيط عمران وجوب، وعانت هذه الهجر من قلة الطلاب وقلة التمويل، وانحصار العلم فيها على بعض الأسر المتوارثة للعلم.

(٣)- المرتفعات الشرقية: يغلب على هذه المناطق الشكل الهضبي مع وجود بعض المرتفعات فيها، خاصة في الأطراف الشمالية والجنوبية، وبها بعض السهول الضيقة والرملية[١] والتي سرعان ما تفقد مياهها.

هذه المرتفعات أدَّت تضاريسها القاسية وقلة الأمطار فيها إلى عدم الاستقرار بها،فتعود سكانها على الارتحال من مكان إلى آخر (البدو الرحل) من أجل العيش، وظهرت لديهم القيم والموازين الثأرية والولاءات المتقلبة مذهبياً وقبلياً، وسادت فيها التقاليد التي تنظر بازدراء وتحقير إلى أصحاب المهن والحرف، فغلب على أهلها الجهل والأمية والاعتقاد بأن العلم محصورٌ في أسر محددة، فانحصر العلم فعلاً في بعض الأسر التي تعيش في الهجر العلمية، ومن هذه الهجر: هجرة صعدة،وهجرة محنكة[٢].

(٤)- السهل الجنوبي والمرتفعات الجنوبية: يمتد هذا الجزء الكبير من الوطن اليمني من أقصى الشرق في حدود عمان إلى أقصى الغرب بمحاذاة البحر العربي وامتداد خليج عدن، ويلتقي مع السهل الغربي في باب المندب، وهو في الغالب قليل الأمطار محدود الزراعة، ويعتمد في زراعته على السيول الآتية من إقليم المرتفعات[٣].

وبسبب قلة الأمطار، وقلة الأراضي الخصبة وانحصارها في أماكن محدودة، فقد قلَّت الزراعة في هذا الإقليم، الأمر الذي جعل أغلب سكانه يعملون في التجارة ويسكنون المدن الساحلية نظراً لقربها من طرق التجارة، فلم تقم مراكز علمية مشهورة في هذه المنطقة إلا ما ذكر من دور للمدن الساحلية كعدن وأبين[٤] والشحر[٥].

إن مناخ هذا الإقليم القاحل كان سبباً في رحيل أغلب سكانه إلى كل من جاوة والهند وإفريقيا والعراق لغرض الاكتساب والتجارة، فاستوطن أغلبهم في هذه البلدان[٦].

١- وزارة التربية والتعليم،مرجع سابق، ص٢٦.

٢ - قرية عامرة في أسفل وادي حيدان من مخلاف خولان بن عامر من أعمال صعدة، تبعد مسافة ٥ كم جنوب بلدة حيدان [إبراهيم بن القاسم، الطبقات، جـ١،ص ٤٤٤، ٤٤٩؛إسماعيل الأكوع، الهجر، جـ٤،ص ١٩٦١].

٣ - وزارة التربية والتعليم، مرجع سابق، ص٢٧- ٢٨.

٤- مخلاف مشهور على ساحل البحر العربي وإليه تنسب عدن، وبها الكتَّاب الذي درس فيه أبو بكر العنذي وحفظ القرآن وهو لا يزال دون العاشرة من العمر.

٥ - هو ساحل حضرموت، والشحر الأرض السبخة [الحسن الهمداني، جزيرة العرب،ص ٨٤، ٩٠] وكان به سوق كبيرة تقام قبل شهر رمضان في تلك الفترة.

٦ - محمد الحجري، معجم البلدان، جـ٢،ص ٢٦٣.

أما المناطق البعيدة من السواحل فقد شكل بعدها عامل انعزال عن الحراك العلمي والثقافي، وجعلها مرتعاً خصباً للطائفية والمذهبية الضيقة[١]، وقد تأثرت الحركة التعليمية من منطقة إلى أخرى بحسب تضاريسها، فالمناطق الجبلية شديدة الارتفاع ضعفت فيها حركة التعليم وانحصرت فيها المراكز المشهورة بالعلم عدا مدينتي صنعاء وذمار اللتين كانتا من المراكز العلمية النشطة آنذاك، ولعله بسبب وقوعهما في سهلين متسعين وتخدمان مناطق واسعة، وقد نشط بهما علماء المذهب الزيدي ودعاته، كما كانت صنعاء وذمار من أهم مراكز الثقافة الإسماعيلية[٢].

لقد ساعدت الطبيعة الجغرافية لليمن على بروز زعامات شخصية وقبلية ملحوظة، متأثرة بالموازين والقيم الثأرية تارة، والمذهبية والمناطقية تارة أخرى، لتبرز على آثار ذلك ظاهرة التقلب السريع في الولاءات للزعامات القبلية تارة وللزعامات المذهبية تارة أخرى، وهكذا نجد التقلبات السياسية وتعدد الولاءات وغياب الدولة المركزية سبباً رئيساً في تأثر الحركة العلمية، ومواكبة التطور الفكري الذي يتطلب استقراراً سياسياً ولو لبعض الوقت [٣].

مما سبق يستطيع الباحث القول: إن العامل الجغرافي كان له أثر واضح على المجتمع اليمني سلباً وإيجاباً في عصر الدولة (الصليحية)، فالمناطق شديدة الارتفاع والوعورة، شكلت مرتعاً خصباً للنزاعات والصراعات القبلية والمذهبية لبعدها عن مصادر الحراك الثقافي، مما جعل الحركة العلمية فيها بطيئة ومحصورة في الهجر العلمية وعلى بعض الأسر فقط ،باستثناء مناطق النفوذ الإسماعيلي كحراز وجبلة وصنعاء وما جاورها، ولعل من أهم الأسباب أيضاً الفقر وقلة المئونة لدى سكان هذه المناطق مما جعل سكانها أشبه بمن يعيش في عزلة عن العالم.

بينما انعكس تأثير العامل الجغرافي إيجاباً على المناطق الساحلية والملتصقة بطرق التجارة والذي شكل عامل انفتاح على الخارج بما يخدم العلم والتعليم، لانشغال أغلب أهل هذه المناطق بالتجارة مما يسر لهم الإنفاق على التعليم وطلاب العلم، وكذا عمل بعض العلماء بالتجارة مما يسر لهم نشر علمهم والإنفاق على طلابهم في أغلب الأحيان، وسهولة التواصل شكل عاملاً مساعداً في التنقل بين المراكز و القرى العلمية الساحلية، باستثناء بعض المضايقات التي حدثت بين الفقهاء وحكام الدولة الصليحية.

لقد كانت المدن الساحلية تحوي الكثير من الأقوام ذوي الثقافات المتنوعة لاختلاف بلدانهم، فارتفعت نسبة المتعلمين بين الرجال والنساء، أما المناطق البعيدة عن السواحل خاصة الشمالية فقد عانت من ضعف حركة التعليم لبعدها عن الاتصال الخارجي المباشر وسيادة العلاقات المذهبية فيها[٤].

---

١ - الطيب بامخرمة، تاريخ ثغر عدن،ص ١٥٧-١٥٩؛ الجعدي، سابق،ص١٤٧-٢٣٠.
٢- الحسين الهمداني،الصليحيون،مرجع سابق ص١٢٧،٢٠٠.
٣ - عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص٢٥-٢٦.
٤ - يوسف بن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز،ص ١٢٦-١٣٠؛محمد السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن،ص٥٦ .

المبحث الثالث:العامل السياسي:

يؤدي العامل السياسي دوراً مهماً وبارزاً في تشكيل التعليم وتنظيمه ورسم أهدافه ،حيث إنه لا يمكن لأي نظام تعليمي أن يقف على قدميه ويحقق أهدافه بمعزل عن النظام السياسي ،فالاستقرار أو عدمه وعدل النظام أو جوره له أبلغ الأثر على العلم والتعلم، فالعامل السياسي من أهم العوامل المؤثرة في قيام نهضة علمية أو ركودها، ونجاح أي محاولة في تقدمها أو فشلها.

وكانت اليمن في الربع الأول من القرن الخامس الهجري تسير بخطى سريعة نحو التدهور والتفكك، وذلك بسبب استيلاء الموالي واستبدادهم بالحكم في الأقاليم؛ فعلى الرغم من أن الحسين بن سلامة (ت/٤١٢هـ) تمكن من الحفاظ على دولة بني زياد مدة ولايته ، لكن استبداد الموالي من الحبشة بالحكم مكنهم من تأسيس الدولة النجاحية في زبيد سنة (٤١٢هـ) على أنقاض دولة بني زياد، وكانت لها التهائم وزبيد وأعمالها، فتقطعت أوصال البلاد بعد موت الحسين بن سلامة، وتغلب الأمراء على جميع الجهات، فكان مخلاف جعفر بحصونه و مخلاف الجند و مخلاف المعافر وحصن السمدان لآل الكرندي، وكانت لهم مكارم ومفاخر، وأما عدن وأبين ولحج([1]) وحضرموت والشحر فقد استولى عليها بنو معن ، وحين استولى عليها الصليحي؛أبقاهم عليها وأخذ منهم ضريبة سنوية، وتغلب أسعد بن وائل على مخلاف أحاظة، وبنو عبد الواحد على مخلاف يربوع وأهم مدنه العمد وبرع وحصن مسار، واستولى بنو أصبح على حصون حب والشعر والسحول، وتغلب على وصاب ومخاليفها قوم من بكيل ثم من همدان[2] .

ومما يود الباحث أن يشير إليه وهو يتكلم عن التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية، أنه في أثناء الفترة الزمنية لحكم هذه الدولة، نشأت العديد من الدويلات والزعامات تولت حكم أجزاء من اليمن، وأن عدداً من المناطق خرجت عن حكم الدولة الصليحية، لسبب أو لآخر، ومن أجل الوقوف على المؤثرات الأساسية للتعليم كان لزاماً الإشارة إلى الحالة السياسية لليمن خلال الفترة الزمنية موضع البحث .

وبما أن موضوع البحث هو التعليم في اليمن في فترة حكم الدولة الصليحية، ونظراً لوجود دراسات علمية عن الحياة السياسية، فلا يرى الباحث حاجة إلى الاستفاضة والتوسع في دراسة بعض الجوانب السياسية والتاريخية، مقتصراً على الحديث عن تأثير العامل السياسي على التعليم في اليمن، أثناء حكم هذه الدولة، وعليه كان لزاماً الإشارة إلى الدويلات التي كانت موجودة عند قيام هذه الدولة، أو التي نشأت خلال فترة حكمها، بشكل موجز، ثم يتناول الدولة الصليحية بشيء من التفصيل ،خاصة علاقاتها الداخلية والخارجية بالدول المعاصرة لها، وبعامة المجتمع كونها

---

[1] ـ مدينة مشهورة على مقربة من عدن،بها قرى كثيرة ومزارع ونخيل،سميت بلحج نسبة إلى لحج بن وائل بن قطن بن عريب بن الهميسع[الحجري، المعجم،جـ٢ص٦٧٧]وهي اليوم إحدى محافظات الجمهورية اليمنية.

٢ - الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص٦٣،٦٢؛ عماره / كاي ،المفيد،مصدرسابق ص،٥٦،٥٧. .

الدولة الأكبر التي استطاعت السيطرة على معظم أنحاء اليمن، وتأثير هذه الأوضاع على التعليم سلباً أو إيجاباً، ويمكن ترتيبها على النحو الآتي :

١. الدولة النجاحية (٤١٢- ٥٥٤هـ)

مؤسس هذه الدولة هو نجاح مولى حسين بن سلامة (تـ/٤٥٢هـ)[١]، الذي استولى على مدينة زبيد وأعمال تهامة، سنة ٤١٢هـ ، فأقام الخطبة لخلفاء بني العباس، ونعت بالمؤيد نصير الدين ولم يزل مالكاً لتهامة، وملوك الجبال تعظم دولته وتتقي صولته، إلى أن قتله علي بن محمد الصليحي بالسم مع جارية أهداها إليه، وذلك سنة ٤٥٢هـ ، وبعد وفاته تقلبت السيادة على مدينة زبيد بين الصليحيين والنجاحيين، حتى قتل سعيد بن نجاح عام ٤٨١هـ ، فهرب أخاه جياش بن نجاح إلى الهند سراً[٢].

ثم عاد جياش ليملك مدينة زبيد واستقر بها حتى وفاته عام ٤٩٨هـ ، فاختلف على تولي الحكم أولاده الثلاثة: فاتك وإبراهيم وعبد الواحد، فجرت بينهما وقائع عدة، إلى أن ظفر الفاتك على أخويه، وبعد وفاته سنة (٥٠٣هـ) ترك ابنه منصور صغيراً، فانتقل زمام السلطة إلى أيدي الوزراء من عبيد أبيه، حيث يقول عمارة " ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة في مجالسهم، وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود وإجازات الوفود فلعبيدهم الوزراء" وهؤلاء الوزراء وإن كانوا من العبيد " فقد كان لهم الكرم الباهر، والعز الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة، والصنائع المأثورة"وأول من وزر منهم أنيس الفاتكي (تـ/٥١٧هـ)، وأعقبه منَّ الله الفاتكي (تـ/ ٥٢٤هـ)، ومن بعده رزيق[٣] ثم مفلح الفاتكي (تـ/٥٢٩هـ)،ثم إقبال الفاتكي (تـ/٥٣٠هـ)، وكان آخرهم وأكفأهم الوزير سرور الفاتكي (تـ/٥٥١هـ)، والذي ظل في منصب الوزارة من سنة (٥٣١هـ) حتى مقتله عام ٥٥١هـ ، على يد أصحاب علي بن مهدي الحميري، والذي أزال دولة بني نجاح عام ٥٥٤هـ [٤].

لقد تميزت العلاقة بين الدولة النجاحية والدولة الصليحية بالعداء نظراً لما تحمله الأخيرة من فكر إسماعيلي، فكان الصراع بينهما سياسياً وفكرياً.

وقد شجع حكام الدولة النجاحية ووزراؤها العلماء والفقهاء فخصصوا لهم الرواتب، وأغنوهم وأعفوا أراضيهم من الضريبة (الخراج)[٥]، وصرفوا الهبات والعطايا السنية على رجال العلم .

والإنفاق على مدارس الفقهاء بما أغناهم عمن سواهم [٦]، وبذلك قاموا بدور مؤثر في تطور المسيرة الفكرية والعلمية في اليمن خلال هـذه المرحلة [٧].

---

١ - رأس دولة " آل نجاح " في زبيد، من موالي الدولة الزيادية، نشأ في إمارة " حسين بن سلامة " ولم يزل يعلو أمره حتى استولى على زبيد (سنة ٤١٢ هـ) ، عماره / كاي ، المفيد، مرجع سابق ص،٥٦،٥٧.

٢ - عماره / كاي ،المفيد، مرجع سابق،ص ١٧٢-١٧٦.

٣ - لم يجد الباحث تاريخ وفاة للوزير رزيق.

٤ - عماره / كاي ،المفيد، مرجع سابق،ص ١٧٢-١٧٦.

٥ - عماره / كاي ، المفيد، مرجع سابق ،ص١٢٦-١٢٧.

٦ - محمد الدجيلي،الحياة العلمية، مرجع سابق،ص ٥٥.

٧ - محمد الدجيلي ،المرجع نفسه ص٤٤.

وعليه فإن التنافس السياسي كان له أثر واضح وكبير في إثراء الحياة العلمية ودعم العلماء والمتعلمين ،وإن كان على أساس مذهبي.

٢. دولة بني زريع في عدن (٤٧٦- ٥٦٩هـ):

قامت هذه الدولة على أنقاض دولة بني معن بعد أن أسند إليها الصليحيون الإمارة في عدن فكانت تؤدي خراجاً مقداره خمسمائة ألف دينار في السنة للصليحيين، ثم نقص مبلغ الخراج حتى زال نهائياً في مطلع القرن السادس، ثم استقلت هذه الدولة عن سلطة الصليحيين، وكان حكم هذه الدولة منذ نشأتها مشتركاً بين الأخوين عباس ومسعود ابني المكرم الهمداني، وظل الحكم مشتركاً بين أبناء هذين الأخوين حتى تغلب عليها سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس سنة (٥٣١هـ) ووطد الحكم مستأثراً به لنفسه وأزال الطرف الآخر بعد عدة وقائع وجهود[١].

وتعد دولة بني زريع من أهم الدول القائمة في اليمن في ذلك العصر، نظراً لموقعها التجاري الهام وسيطرتها على ميناء عدن الرئيس ومواردها الواسعة وقيامها بالدعوة الفاطمية وصلاتها الوثيقة بمصر[٢]، وكان للحالة الاقتصادية أثرها الواضح في الحراك العلمي في تلك الفترة .

وبدافع سياسي تولت هذه الدولة أمر الدعوة النزارية الإسماعيلية فشجعت دعاتها وعلماءها ، ودعمتهم سياسياً ومادياً من أجل كسب ود الدولة الفاطمية في مصر.

واستمر أمر هذه الدولة حتى أزالها الوالي الأيوبي توران شاه عام (٥٦٩هـ) [٣].

٣. الإمارة الهمدانية في صنعاء (٤٩٢-٥٧٠هـ):

أسسها رجل من قبيلة همدان يسمى حاتم بن الغشم المغلسي الهمداني(ت/ ٥٠٢هـ)، قال عنه ابن الديبع إنه من كملة الرجال ، وقد أعقبه أربعة حكام من أسرته إلى أن آل الحكم سنة (٥٣٣هـ) إلى حاتم بن أحمد بن عمران اليامي (ت/ ٥٥٦هـ)، حيث كان فصيحاً أديباً عالماً باللغة [٤].

وظهر في عصره الإمام أحمد بن سليمان (ت/ ٥٦٩هـ)، وأخذ صنعاء فترة قصيرة ثم استردها السلطان حاتم اليامي، وأعقبه ولده علي بن حاتم وكان عادلاً جواداً كريماً، استنجد به سلاطين بني زريع فانجدهم وأوقع بعبد النبي بن مهدي سنة (٥٦٩هـ) ، وفي سنة (٥٧٠هـ) استولى توران شاه الأيوبي على صنعاء[٥].

وكان هذا الاستيلاء ناتجاً عن ضعف الدولة الصليحية، الذي تزامن مع وفاة الداعي سبأ بن أحمد الصليحي ،ورغم أن المصادر الموجودة تشير إلى أن العقيدة المذهبية لهذه الدولة كانت إسماعيلية؛حيث كان حاتم بن الغشم من الدعاة المعتمد عليهم عند الملك علي بن محمد الصليحي، فلما انقسمت الحركة الإسماعيلية في اليمن إلى قسمين ، كان الهمدانيون من أنصار لبني زريع[٦]،

١- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر جـ٤ ،٢١٩/ عمارة- كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ٩٩-١٠٢.
٢- محمد الدجيلي ،الحياة العلمية، مرجع سابق ص،٤٧.
٣ - حسين العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ٣٦-٣٧ / الواسعي، تاريخ اليمن،ص ١٦٢-١٦٣.
٤ - عبد الرحمن بن الديبع ،قرة العيون ،ص ٢٨٨.
٥ - عبد الرحمن بن الديبع ،المرجع نفسه ،ص ٢٤٢-٢٤٤؛حسين العرشي ،تاريخ اليمن،مصدر سابق،ص ٣٧.
٦ - عمارة /كاى ،المصدر السابق،٢١٢.

إلا أن هذا الولاء العقائدي لم يشفع للدولة الصليحية حيث شق عصاها و بدا النزاع واضحاً بين الإمارة الهمدانية والدولة الصليحية، ورغم هذا الخلاف وفر الهمدانيون حماية ورعاية خاصة للعلماء في صنعاء (علماء المذهب الإسماعيلي)[١].

٤. دولة الأئمة الزيديين:

أسس هذه الدولة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي (ت/ ٢٩٨هـ)والذي قدم إلى اليمن سنة (٢٨٠هـ) بطلب من أهل اليمن، ولكنهم خذلوه فعاد إلى موطنه في الحجاز، ليعود مرة أخرى بعد مراجعات من أهل همدان، فاستولى على صعدة ونجران وتمكن من تأسيس الدولة الزيدية [٢] وتعاقب أولاده في الحكم من بعده.

وفي سنة (٤٣٧هـ) وصل إلى اليمن أبو الفتح بن محمد بن الحسين الديلمي، فدعا لنفسه بالإمامة وسيطر على بعض أقسام اليمن ولما ظهر الملك علي بن محمد الصليحي، بدأ الصراع بينهما، وانتهى بمقتل الإمام الديلمي سنة (٤٤٤هـ)[٣] وابتداءً من هذا التاريخ غابت الزيدية عن المسرح السياسي في صنعاء وبقية المناطق، حيث خرج الأمر من أيديهم إلى الصليحي والهمداني حتى سنة (٥٣٢هـ) والذي قام فيها الإمام أحمد بن سليمان بالدعوة إلى نفسه، فكانت لهذه الفترة الطويلة والتي بلغت قرابة قرن من الزمن أثرها البالغ في انتشار المذهب الإسماعيلي، والتي تعد مرحلة البناء الفكري لهذا المذهب، بينما شهد المذهب الزيدي ركوداً علمياً وثقافياً في أغلب أوقاته[٤].

وبوجود الإمام أحمد بن سليمان شهدت اليمن نشاطاً سياسياً كبيراً، وكان لابد أن يرافق ذلك نشاطاً فكرياً وثقافياً، فعمل على استجلاب ما يتناسب مع فكرهم من الكتب والمصنفات من خارج اليمن، لا سيما المصنفات المعتزلية [٥].

وفي القرن الخامس انقسم زيدية اليمن إلى: مخترعة، ومطرفية ، وحسينية[٦]،وبحسب قول ابن أبي الرجال : أن المطرفية أصبحت منتشرة في اليمن، وكان قاعدتها هجرة وقش[٧]، وقد شهدت اليمن صراعاً فكرياً واسعاً بين هذه الفرق [٨].

١ - عبد الرحمن بن الديبع،مصدر سابق ،ص ٢٤٢-٢٤٤؛ حسين العرشي ،مصدر سابق،ص ٣٥.
٢- علي العلوي، سيرة الهادي إلى الحق،ص ٣٦-٤١ ؛نشوان الحميري ، الحور العين،ص ١٩٦.
٣ - يحيى بن الحسين ، طبقات الزيدية جـ١،ص ٢٥٠.
٤ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص٤٩.
٥ - محمد الدجيلي ،المرجع نفسه، ص٤٩-٥٠.
٦ - الحسينية، تنسب إلى الحسين بن القاسم العياني (ت/ ٤٠٤ هـ)، تولى الإمامة بعد والده واعتقد أتباعه فيه أنه أفضل من رسول الله ﷺ وقد وقفت ضدها كل من المطرفية والمخترعة [علي الخزرجي- العسجد المسبوك، ص٥١-٥٢] نشأت متأخرة على المخترعة والمطرفية..
٧- وقش، من أكبر هجر اليمن العلمية ومقراً لكبار العلماء الزيديين وهي بلد قرب صنعاء من جهة الشمال الغربي ـ ولقبت بالسعيدة [إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق، ج١،ص ٩٢
٨ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص٣٨.

ولما استقر المذهب الإسماعيلي في اليمن وخصوصاً المناطق الشمالية منه، وجد علماء الزيدية المتغلبون على تلك المناطق المواجهة الفكرية ضد الفكر الإسماعيلي أمراً حتمياً لتفنيد آرائهم وأفكارهم، فشكل ذلك جزءاً من التراث العلمي والثقافي في اليمن عموماً [١].

وعلى إثر ذلك وجدت العديد من المؤلفات والشروح التي تتولى التصدي الفكري للإسماعيلية التي أزاحت الزيدية عن سدة الحكم .

٥. الدولة الصليحية (٤٣٩- ٥٣٢هـ) :

أولاً: السياسة الداخلية للدولة الصليحية.

أ- حكم الملك على محمد الصليحي (٤٣٩هـ - ٤٥٩هـ).

بعد أن أسند أمر الدعوة الإسماعيلية إلى علي بن محمد الصليحي، قاده ذكاؤه إلى أن ينهج نهجاً جديداً، وأن يسلك طريقة تخالف طرائق من سبقه من الدعاة في اليمن في سبيل بث دعوته ونشر مذهبه، حيث اتخذ ميدان الحج حقلاً لغرس تلك المبادئ وتنميتها، فصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف لمدة خمس عشرة سنة، حتى انتشر ذكره في البلاد على لسان الخاصة والعامة، وهذه الخمس عشرة سنة هي الفارق الزمني بين موت أستاذه سليمان الزواحي [٢]، وبين بداية ثورته، وهي التي صقلت مواهبه ،حيث تنقلت به من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع كما كانت كفيلة بتكوين جماعة قليلة تدين بالإخلاص له [٣].

(١)- موقفه من عامة القوم :

من عادة كثير من طلاب السلطة قبل استيلائهم عليها أنهم يراعون العامة، الذين يشكلون السواد الأعظم في كل مجتمع، فيعملون لهم كل حساب ،ويتقربون إليهم بما يرضيهم، ولما كان الدين هو جامعتهم الكبرى والمحرك الأساسي لأمورهم الحياتية، فقد أظهر الصليحي تمسكه بالإسلام ومثله العليا، حيث كان فقيهاً في عقائد المذهب السني وكان لا يظهر حقيقة مذهبه إلا لمن يثق به، فأخذ يدعو الناس بالتي هي أحسن لتكوين مجتمعه المنشود، فلم تكن دعوته موجهة للأمراء وعلية القوم وأصحاب المصالح في بادئ أمره، لما يدركه من أن هؤلاء سيحاربونه لتعارض ما يدعو إليه مع مصالحهم ومكانتهم، ولكنه عمد إلى الاتصال بالعامة وخاصة المتحمسين منهم للدين، - وهم الحجاج - متجملاً معهم بالدين ومحاسنه[٤].

ولما كان الصليحي من طلاب السلطة المطلقة، أدرك أنه لا يمكن الاستغناء عن العامة لحاجته إليهم في جلب الأموال ،ومنهم يتألف الجند، ومن استطاع كسب ثقتهم وجذب قلوبهم ملكوه عليهم، ولا يحقق ذلك إلا الدين، ففهم الصليحي هذا كله، حتى استطاع في موسم الحج عام

---

١ - عبد الرحمن الشجاع ،الحياة العلمية،مرجع سابق،ص١٥٢.

٢ - لم يذكر عمارة تاريخ وفاة الزواحي رغم معرفته التامة بتفاصيل هاتين الأسرتين - الصليحيين والزواحيين - وهو المؤرخ الرئيس لهذه الدولة.

٣- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق ص٦٩، عمارة / كاي،المفيد،مصدر سابق، ٥٩.

٤ - الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص٨- ٧٣؛ عمارة / كاي ،المصدر السابق ص٦٢.

(٤٣٨هـ) كسب ما يزيد على ستين رجلاً من همدان، فبايعوه على الموت أو الظفر بقيام الدعوة بالنفس والمال وكل منهم كان في منعة من قومه وعشيرته، فكانت هذه المجموعة هي النواة الأولى لتأسيس قوته وبناء أركان دولته، حيث استطاع بهم الاستيلاء عل جبل مسار[١] وتعميره، وجعله مركزاً لدعوته ومناوراته ،ومنه كون جيشاً كبيراً من بطون همدان ،استطاع أن يتقدم بهم ويقهر أعداءه ويوطد أركان مملكته، إما بالملاطفة والحكمة و إما قهراً وجبراً [٢].

(٢)- قيام الصليحي بالثورة :

أجمع الصليحي أمره وواعد أصحاب دعوته أن يقوموا بهذا الأمر- الثورة - عند صلاة العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة هجرية، حيث وافاه في هذه الليلة جميع أهل دعوته بناءً على وعدٍ مسبق، فاجتمع أنصاره من يام ونواحي صنعاء وأرض حمير قرابة ثلاثمائة رجل، دون من جاء من نواحي حراز ، فأخبرهم بأمره وإظهار دعوته للمستنصر بالله الفاطمي، والجهاد في سبيل الله، فسُروا لهذا وأيقنوا بالظفر والغلبة لما لديهم من أسباب النصر وعدته، وتواصوا ببذل النفوس والأموال طاعة لله والإمام" [٣].

ولتنفيذ ما رغب في تحقيقه عمد إلى خطة محكمة، حيث استولى على جبل مسار في ليلة الخميس الموافق ١٥من جماد سنة (٤٣٩هـ) دون قتال ،رغم بعض المحاولات لمنعه، لكنه أعمل الحيلة حتى تغلب على الجميع، ثم اجتمع أهل حراز يريدون حربه وإنزاله من جبل مسار، فلاطفهم وأرسل إليهم خطاباً سياسياً أمر ببثه في أنحاء حراز، وفرق جمع أهل حراز بقوله لهم: إنما صعدنا الجبل لحمايته وحمايتكم ،فإن رغبتم وإلا تركناه ونزلنا فتركوه وشأنه [٤].

(٣)- الصراعات مع القبائل والزعامات المناوئة :

إن تحقيق هذا النفوذ وازدياد الانتشار في هذه المناطق - حراز وما جاورها -، شكل عاملاً مهماً من عوامل الاستفزاز لبعض الزعماء والسلاطين اليمنيين، ومن هؤلاء السلاطين الذين أعدوا العدة لمحاربة الصليحي:

- جعفر بن القاسم وجعفر الشاوري(ت/٤٤٠هـ):

ما إن استقر أمر سيطرة الصليحي على جبل مسار وأتم بناءه وتحصينه ليصبح قلعة حربية لا تضاهى، حتى أدرك من يجاوره خطورته عليهم ، فقصد جعفر بن الإمام القاسم العياني حصن الأخروج التابع للصليحي، وقاتل أهله، وتزامن ذلك مع خروج جعفر بن العباس الشاوري صاحب

---

١ - أعلى ذروة في جبال حراز بنى فيه الصليحي معقله الأول وجعله قاعدة لانطلاقاته العسكرية والدعوية [محمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها،ص٢٥٣].

٢- الحسين الهمداني،مصدر سابق ،ص٦٨- ٧٣؛ عمارة / كاي،المفيد،مصدر سابق،ص٦٢.

٣ - إدريس الأنف،افتتاح الدعوة،مصدر سابق،ص٦-٩.

٤ - عماره/ كاي،المقسد،مصدر سابق،ص١٢ ؛عبد الرحمن بن الديبع،قرة العيون،مصدر سابق،ص٢٠٨.

مغارب اليمن على رأس جيش كثيف من حراز وسحار وغيرهما، قاصداً عبري سهام[١] ، يريد طلوع الجبل منتهزاً فرصة قتال جعفر العياني، وكاد أن يفتك بالقوم، إلا أن الصليحي أدرك معنى الهزيمة مبكراً والتي قد تقضي على دولته الناشئة، فنزل بنفسه مدافعاً ومقاتلاً حتى كان النصر حليفه، وتم كسر جيش ابن عباس ولاذ بالفرار ثم عاد طامعاً في النصر، فما لبث أن قتل هو ومن معه، وغنم الصليحي وأصحابه غنائم كثيرة مما قوى مركزهم وشد من أزرهم ،وقوي عودهم وهابهم من سمع عنهم، فما إن علم بذلك العياني حتى خرج من حصن الأخروج لينجو بنفسه ومن معه [٢].

- أبو النور(بن جهور)[٣]:

بعد استقرار أمر الصليحي وأخذه لحصن حضور[٤] وحصن بتاح[٥]، خاف أهل حراز فلم يسعهم إلا الدخول في طاعة الصليحي؛ إلا أبو النور بن جهور فقد صمم على الاستمرار في الممانعة والتحصن في قلعته بحصن لهاب[٦]، فكان يستنجد بنجاح صاحب زبيد ولكن ذلك لم يتم، لما يتمتع به الصليحي من علاقات وحروب مع نجاح، فعمد الصليحي إلى محاصرته، وبناء دار في قمة جبل شبام وجبل بيت عتاد استعداداً لمقاومته، وضيق الصليحي عليه الخناق حتى فك من لديه من الأسرى، منهم القاضي لمك بن مالك الحمادي، واستمر ابن جهور في المقاومة حتى ضعف جيشه، ورأى أن مصيره إلى الهلاك، فسلم نفسه إلى الصليحي في مسار، فأنزله في ضيافته وأكرمه وأحسن إليه، وكانت هذه السياسة تحقق نجاحاً لا بأس به مع معظم ملوك اليمن، ولذا تم إخضاعهم بها في أغلب الأحيان[٧].

وبعد هذه الحرب دانت له حراز و ما جاورها، وأصبح مهاب الجانب فنزل على بن محمد الصليحي إلى عبري سهام دعاس تاركاً حصن مسار لمن يحرسه من أصحابه، ليعقد اجتماعا مهماً ويلقي كلمة تكاد تكون بمثابة أسس بناء دولته الجديدة، والتي جاء فيها كما ذكرها صاحب العيون : أمره إياهم بالصلاة وإقامة فرائض الدين، وعمارة المساجد وإيقاد المصابيح فيها، وذكر لهم بعد ذلك أن الأمر الذي قام به ليس من أمور الدنيا ولا كمراد السلاطين، بل قام مؤثراً لأمر ولي رب العالمين، وحذرهم الخلاف عليه والشقاق، وتقدم إلى العمال (الأمراء الإسماعيليين الموثوق بهم لديه) في ذلك المحضر و أوعدهم بالتنكيل إذا رفع إليه شيء مما نهاهم عنه، ووعدهم بحسن السياسة، وأن يسير فيهم بسيرة الأئمة [٨] وأفعالهم، وأخبرهم قول مولانا الإمام – صلوات الله عليه

١- منطقة تقع أسفل جبل مسار من بلاد حراز[محمد الحجري، مرجع سابق– جـ٣ص ١٣٢].
٢ - إدريس الأنف،افتتاح الدعوة، مصدر سابق،ص١٣.
٣- لم نعثر على تاريخ وفات ابن جهور فيما بين ايدينا من المصادر.
٤ - حصن حضور ، جبل مشهور من ناحية البستان، ويطلق عليه مخلاف حضور وينسب البلد إلى خرجة من همدان، ويقال له حضور النبي شعيب [محمد الحجري،المعجم،مرجع سابق– جـ٢ص،٢٧٧](وهي اليوم تسمى مديرية بني مطر).
٥- حصن بتاح،أحد مخاليف حراز[محمد الحجري، مرجع سابق– جـ٤ص ٣٣٢]
٦- حصن لهاب، أحد مخاليف حراز [محمد الحجري، مرجع سابق– جـ٤ص ٦٨٢].
٧- إدريس الأنف،العيون، مصدر سابق، جـ٧ص ١٤.
٨ - يقصد بهم الأئمة الفاطميين.

ـ أني لا أرضى أن يقتصر الملك على حراز والحصن، بل سيشمل حصون اليمن قاصيها ودانيها [١].

- أبو حاشد الضحاك(ت/٤٤٠هـ):

بعد إعلان أسس الحكم في مؤتمر عبري دعاس، تقدم لينفذ سياسته وأوامر مولاه[٢] في حكم اليمن بأكمله، متبعاً سياسة المهادنة مع سلاطين الدويلات المجاورة إن نفعت وإلا فالحرب والمناجزة، فلما ملك جبال حراز وحصونها و ما جاورها، وحصون حضور وما جاورها، حاول مهادنة السلطان أبا حاشد الضحاك كما فعل مع أبيه من قبل (حاكم صنعاء)، ولكن أبا حاشد اعتبر هذه المهادنة والمراسيم التي قام بها علي بن محمد الصليحي بعد وفاة والده يحيى بن إبراهيم الضحاك تدخلاً في أموره، فساءت العلاقة بينهما، مما أدى إلى قيام الحرب بين الطرفين، انتهت بمقتل صاحب صنعاء عند صوف[٣] وألفاً من أتباعه، واستولى الصليحي على صنعاء[٤]، وكان هذا بداية عام (٤٤٠هـ).

- الإمام أبو الفتح الديلمي أمير ذمار(ت/٤٤٤هـ):

بعد الاستيلاء على صنعاء شعر الإمام أبو الفتح الديلمي[٥] بالخوف فاتصل بنجاح صاحب تهامة، وطلب إخراج الصليحي من صنعاء وكاتبه على ذلك؛ مما أفسد العلاقة بينه وبين الصليحي، ووقعت حرب بين الصليحي والإمام المذكور انتهت بقتل الإمام ونحو سبعين من أتباعه في نجد الجاح من بلاد رداع، ومثل به وحمل رأسه إلى صنعاء [٦].

١. عودة الشريف القاسم العياني ومعركة الهرابة:

والهرّابة هذه أكمة تقع بين وادعة وبني غثيمة الظاهر في حاشد[٧]، وفيها دارت معركة ضارية بين الشريف القاسم بن جعفر العياني وبعض الرؤساء من بطون همدان من جهة، وبين علي بن محمد الصليحي من جهة، وكان ذلك عام (٤٤٨هـ)، فخرج بجندة لغزو الصليحي والانتقام منه، فحاصرهم الصليحي في قرية الهرابة، لمدة سبعين ليلة، ودافعوا عنها دفاع الأبطال حتى كثر القتل فيهم ومات الكثير لنفاد المئونة، واضطر الشريف إلى تسليم نفسه، فأكرمه الصليحي وخلع عليه كعادته في التعامل مع زعماء القوم [٨].

١- إدريس الأنف،العيون، مصدر سابق، جـ٧،ص ١٥-١٦.
٢ـ الامام الفاطمي في مصر.
٣ - يقصد به صوف بن سوار، ويقال:قتله صوف [إدريس الأنف،العيون،سابق،جـ١ ص٨١-٨٢].
٤ - إدريس الأنف،المصدر السابق،جـ٧ ص٨١-٨٢.
٥ - أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى الديلمي ، وصل إلى اليمن من الديلم سنة(٤٣٧هـ) دخل صعدة مع بعض القبائل اليمنية ثم سار إلى صنعاء وملكها وأخرجه منها السلطان يحيى بن أبي حاشد والشريف جعفر بن الإمام المنصور وكان من مؤلفات هذا الإمام تفسير القرآن في أربع مجلدات ،وذريته في اليمن يعرفون ببني الديلمي في مدينة ذمار [محمد الحجري- جـ٢، سابق، ص٣٣٦-٣٣٧].
٦ - الحسين الهمداني،لصليحيون،مصدر سابق ،٨٢.
٧ - وادعة وبني غثيمة عزلتين من عزل مديرية بني صريم اليوم من محافظة عمران،تتوسطهما أكمة مرتفعة بها حصن صغير تسمى الهرابة.
٨ - الحسين الهمداني، الصليحيون،مصدر سابق،ص٨٢

٢. معركة الزرانب (٤٥٠هـ):

لم تدم طويلاً ملاطفة القائد نجاح السحرتي حاكم زبيد والذي حملت دولته لواء السنة في اليمن بعد دولة ابن زياد، فما إن ساءت العلاقة بينه وبين الصليحي بسبب مساعي الإمام أبي الفتح صاحب صعدة حتى حلت الوحشة بين الطرفين، فأرسل نجاح عسكراً كثيفاً، وافاهم الصليحي بجيشه خلف جبل صعفان في الخبت المتصل بتهامة، ووقعت بينهما عدة مصادمات انتهت بالوقعة العظيمة في الزرانب من أعمال ابن طرف، حيث كان عدد الأحباش عشرين ألفاً، و الصليحي في ألفين وسبعمائة فارس قتل من أصحاب الصليحي في بادئ الأمر خلقٌ كثير، ثم دارت الدائرة على أصحاب نجاح فلم يبق منهم سوى ألف فرُّوا إلى جبل العكوتين[١]، ويقول عمارة إنه أدرك العظام والأظفار في الموقعة تنسفها الرياح نسفاً [٢].

وعلى الصّعيد نفسه ظل الصليحي يتحين الفرص للقضاء على نجاح لما يشكله الأخير من خطر على دولته، وبطريقة الحيلة والمكر استطاع القضاء عليه، من خلال جارية أهداها له فعمدت إلى دس السم له فكان للصليحي ما أراد، وذلك في سبيل بسط نفوذه، وبهذا قضى على نجاح كزعيم معارض، وذلك في عام (٤٥٢هـ)، لكنه أسس لصراع دام طويلاً وكان سبباً في هلاكه حيث قتل ثأراً لنجاح من قبل ولديه سعيد وجياش[٣].

وقد أجّل الصليحي البت في أمر زبيد بعد مقتل نجاح هذا، حيث استقر الأمر فيها لسعيد الأحول ولد نجاح رغم بعض المصادمات التي حصلت بين الجيشين، واتجه الصليحي إلى اليمن الأسفل، فاستولى على جبل صبر قهراً، وبلاد بني الكرندي ملوك المعافر، وحصن الدملوة ،وبلاد الحسين التبّعي صاحب حصن حب وبعدان والسحول والشوافي[٤]، ثم دخل الجند وسار إلى عدن واستولى على بلاد بني معن، ثم هادنهم وسلم إليهم بلادهم مقابل خراج يدفع إليه في كل عام، ثم عاد إلى صنعاء ليجمع جنده ويشد رحيله متجهاً إلى تهامة، فسار إلى زبيد وفتحها وبقيّة التهائم، وطرد أولاد نجاح الذين استقروا في دهلك[٥].

وتشير جميع المصادر التي استطاع الباحث أن يقف عليها إلى أن الصليحي بعد ذلك طوى اليمن طيّاً من حضرموت إلى مكة، وتمنعت عليه صعدة بعض الوقت بأولاد الناصر، فما لبث أن قتل القائم منهم وملكها، وفي هذه الأثناء أرسل الصليحي خطاباً إلى سلطان مصر جاء فيه: " الدولة حصينة والصولة مكينة، والرايات منشورة، والأجناد منصورة، وسيوف الحق على الأعداء مشهورة، والحضرة بالسعود محصورة ..."[٦].

---

١ - العكوتان ،جبلان منيعان فوق مدينة الزرانب مطلتان على مدينة زبيد من بلاد ابن طرف وهي البلاد التي ينتمي إليها عمارة [عمارة/ كاي،المفيد،مصدر سابق، ص٢٦٩] .

٢ - عمارة/ كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ٦٦-٦٧؛ الهمداني ، مصدر سابق،ص٨٣-٨٤.

٣ - عمارة/ كاي، المصدر السابق،ص٦٣.

٤ - إدريس الأنف،العيون، مصدر سابق، جـ٧، ص١٧.

٥- جزيرة في البحر الأحمر محاذية لسواحل اليمن [إدريس الأنف، مصدر سابق، جـ٧،ص ١٧].

٦ - إدريس الأنف- العيون،جـ٧، مصدر سابق، ص١٧.

وهذا يدل على استيلائه على أمر اليمن واطمئنانه بذلك، وكان هذا عام (٤٥٥هـ)، وبه جزم المؤرخون بوحدة اليمن، وجعل صنعاء عاصمة ملكه، و بنى بها عدة قصور، أسكن فيها أهله وأمراءه، إضافة إلى جميع ملوك اليمن الذين أزاحهم من ممالكهم، ليولي بدلاً عنهم من يثق بهم من أبناء مذهبه[١].

وقد ولى على تهامة؛ الأمير أسعد بن شهاب(ت/٤٥٨هـ) أخي زوجته الحرة أسماء بنت شهاب(ت/٤٧٩هـ)، و كان قد أقسم أن لا يولي التهائم إلا من يزن له مائة ألف دينار، فوزنت له زوجته عن أخيها، فقال لها زوجها : يا مولاتنا من أين لكِ هذا ؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فتبسم ، وعرف أنه من خزائنه، فقبض المال وقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا فقالت: ونمير أهلنا ونحفظ أخانا، واستعمل على الجند وما يليها ابنه المكرم أحمد(ت/٤٨٤هـ) وولى أخاه السلطان عبدالله (ت/٤٥٩هـ) على حصن التعكر وما والاه، وهو الذي اختط عام ٤٥٧هـ مدينة ذي جبلة[٢] بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي، والتي أصبحت لاحقاً عاصمة لدولتهم[٣].

• موقفه من المذاهب الأخرى:

كان لوصول المذهب الإسماعيلي إلى سدة الحكم على اليمن أثرٌ كبيرٌ على أصحاب المذاهب الأخرى، الذين أظهروا تململاً شديداً بلغ حد القدح والتكفير أحياناً، وحد الحرب والخروج أحياناً أخرى، فيذكر ابن الديبع أنه لما استقر ملك علي بن محمد الصليحي في صنعاء، كان الفقهاء والمصلون يجتمعون في المسجد، فيذكرونه ويحتجون ظلمه وجوره، وربما سفهو عليه وعلى أهل رأيه، وكفروه أحياناً، فشق عليه ذلك، وأمر بتسمير أبواب المساجد أياماً، وتراجع مستخدماً سياسة الإرضاء وإفساح المجال للآخر، لما يدرك من أنهم أقلية تحكم أغلبية، فلم ينكر على أحد مذهباً من مذاهب فرق الإسلام... بل أقر كل امرئ على ما كان عليه [٤].

وعلى السياسة نفسها سار أسعد بن شهاب لما دخل زبيد سنة ٤٥٦هـ واليا عليها من قبل الصليحي، "فأحسن فيهم السيرة وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم" [٥].

وفي ذات السيرة يذكر حسن بن فيض الله الهمداني: " أن هذه السياسة الدينية للدولة الصليحية ساعدت إلى حد ما على حفظ الأمن والاستقرار في البلاد الخاضعة لها، مع وجود

---

١ - إدريس الأنف،العيون،مصدر سابق، ص١٧-٢٠؛ الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق ،ص ٨٥-٨٧.

٢- جبلة،أحد حصون مخلاف جعفر، اختطها عبدالله بن محمد الصليحي عام ٤٥٧هـ ، سميت بهذا الاسم كما ذكر عمارة أن جبلة كان رجلا يهودياً يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز الأول و به سميت المدينة، وهي مدينة بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء، أعملت السيدة الحرة الحيلة على المكرم وحشد الرعايا في ركابها وأحضرتهم إلى صنعاء فقالت للمكرم: انظر من الطاقة (النافذة) فنظر فلم يبصر إلا رجالاً بسيوف تبرق أو لمع البيض والأسنة، ثم توجهت إلى جبلة وقالت له احشد أهل جبلة ومن حولها، فلما اجتمعوا صبيحة اليوم الثاني، قالت له: أشرف يا مولانا فانظر لهؤلاء القوم فلم يقع بصره إلا على رجل يجر كبشاً أو يحمل ظرفاً مملوءاً سمنا أو عسلا ، فقالت له:" العيش بين هؤلاء أصلح، فانتقل الملك إلى جبلة واختط بها دار العز الثانية في ذي بور، وأمرت السيدة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً وهو الذي به قبرها. وكان ذلك عام (٤٨١هـ) [عمارة/ كاي ، مصدر سابق ،ص٧٧-٧٨].

٣- أيام الملكة سيدة بنت أحمد.

٤ - إدريس الأنف،المصدر السابق،جـ٧ ص١٩؛عبد الرحمن ابن الديبع،قرة العيون، مصدر سابق،ص٢١١.

٥ - عبد الرحمن بن الديبع، المصدر السابق،ص٢١٢.

المعارضة القوية لمذهبها الرسمي ... وتحيَّر المنافسون في مقاومة هذه الدولة التي أصبح لا يمكن مقاومتها " [١].

فما إن استقر أمره ودانت له معظم بلاد اليمن،و تزامن ذلك مع خروج مكة عن طاعة المستنصر، وقطعت الخطبة له، وذلك عام (٤٥٣هـ)، حتى طلب الصليحي الإذن من إمامه الفاطمي ليقوم بحملة تأديبية لأشراف مكة، فوافق له على ذلك، فتوجه إلى مكة في سنة (٤٥٤هـ)، وقضى فريضة الحج مع زعماء اليمن وانتزع مكة من أشرافها، وأقام الخطبة فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وأحسن إلى الحجاج وأخرج من الأموال والصدقات للبيت ما يفوق الحصر، وعمل على تأديب القبائل التي كانت تعتدي على الحجاج، وكسا الكعبة بالديباج الأبيض، وأقام بمكة والحجاز حتى سنة (٤٥٥هـ) ثم عاد إلى اليمن وقد اضطرب حالها، وكاد أمرها أن يتلاشى، فعمل على تثبيت أمور دولته، وكان من تلك الأمور إسناد ولاية العهد إلى ولده الأكبر الأعز محمد بن علي الذي تولى أمور زبيد خلفاً لخاله أسعد بن شهاب، والذي لم يلبث أن وافاه الأجل عام (٤٥٨هـ) ، ثم عين ابنه الأوسط خلفاً له؛ المكرم أحمد.

وفي هذه الأثناء تاقت نفسه إلى زيارة إمامه في مصر فأخذ يتأهب للحج و زيارة إمامه، وكعادته اصطحب جميع أمراء اليمن وزوجته أسماء بنت شهاب، وأخاه عبدالله وعدداً من وجهاء دولته، فلما وصل إلى المهجم وبئر أم عبد من تهامة فاجأه سعيد بن نجاح (الأحول) وأخوه جياش في جيش كبير من الأحباش فقتلوه وأخاه عبدالله ومن معه من كبار بني الصليحي ووقعت زوجته أسماء في الأسر، واقتيدت إلى زبيد ومُثّل بجثتي علي وأخيه، ونصب رأساهما أمام نافذة غرفتها وكان ذلك سنة (٤٥٩هـ)[٢].

وقد منح الملك علي بن محمد الصليحي من الألقاب بموجب السجل الفاطمي بتاريخ ربيع الأول من عام (٤٥٩هـ)، الأمير، الأجل ، الأوحد، أمير الأمراء، عمدة الخلافة، شرف المعالي، تاج الدولة،سيف الإمام المظفر في الدين، نظام أمير المؤمنين[٣].

ب ـ اليمن أثناء حكم الملك المكرم أحمد علي الصليحي (٤٥٩-٤٧٧هـ):

ظهر أبو علي أحمد بن علي بن محمد الصليحي والملقب بالمكرم، باعتباره ملكاً لليمن على صفحة التاريخ بعد مقتل والده ، وقبلها كان يشغل منصب ولاية العهد بموجب سجل الخليفة المستنصر بالله العبيدي سنة (٤٥٨هـ) خلفاً لأخيه الأعز محمد، وكان يوصف بالشجاعة وكرم الأخلاق، يقول عنه صاحب قلادة النحر :" كان المكرم ضخماً شجاعاً وفارساً مقداماً "، ويقول عمارة :" لم يكن في زمانه من يتعاطى سيفه ورمحه وقوسه غيره" [٤].

---

١ ـ الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص ١١١.
٢ ـ عمارة /كاي ،المفيد،مصدر سابق ،ص ٦٨ ،عبد الرحمن بن الديبع،قرة العيون، مصدر سابق، ص٢١٣-٢١٨.
٣ ـ إدريس الأنف،العيون ،جـ٧، مصدر سابق،ص ١٠٦.
٤ـ عمارة /كاي، المصدر السابق،ص ٦٩- ٧٠.

وحين قرر والده العزم لأداء فريضة الحج عام (٤٥٩هـ)، أنابه عنه في حكم البلاد، وكان قبلها والياً على الجند وما جاورها، فلما جاءه خبر مقتل والده وعمه وأخيه الموفق وخيرة رجال دولته، ووقوع والدته في الأسر مع غيرها من حرائر بني الصليحي، وقع في حيرةٍ من أمره، وكاد أن يقضى على صرح دولته، حيث خرجت معظم اليمن من تحت سيطرته، وزادت الفتن والقلاقل من كل مكان، وظهر الناس بمظهر العداء الواضح [١].

ورغم تمكن الصليحي من ضم بلاد اليمن تحت لوائه، وأصبح ملكه يمتد من الحجاز إلى حضرموت، كما تمكن من قلع عروش ملوك اليمن الأقدمين، وكبح جماحهم وإقصائهم عن إماراتهم وجمعهم في صنعاء تحت لوائه ومراقبته مستبدلاً إياهم بمن يثق بهم إلا أن هذا الخضوع لم يكن عن رغبة من أهل اليمن ، بل كان نتيجة للحروب والرهبة والقوة والدهاء السياسي، فكان خضوعاً في الظاهر والقلوب رافضة ٌمنكسرة ، لذلك رأوا أن في موت الملك علي بن محمد الصليحي فرصة للعودة إلى عصر الدويلات المستقلة، والرجوع من المركزية إلى الإقطاع[٢].

فلما استعرت الأرض ناراً حول المكرم قرر قتال هؤلاء الذين خرجوا عن طاعته، فاستطاع المكرم وأعوانه أن يرفعوا عن صنعاء الحصار ويتتبعوا الأعداء، وانتصروا في حضور انتصاراً تنفسوا بعده نسيم الأمل كما يقول الهمداني نقلاً عن رسائل القُمي :وحارب أعداءه في كل مكان والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم ، وقد توالت الأحداث في عهد المكرّم من خفض إلى رفع، ومن موقعة إلى أخرى، فما أن خرج من حضور حتى داهمته موقعة الملوي بينه وبين الداعي حمزة بن آل هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى الحسني (تـ /٤٥٩هـ)، و كان النصر فيها حليف الصليحي، ودارت الدائرة على الحسني، ومنها انطلق إلى تأديب المناوئين في بكيل وحراز، ثم واقعة ذي أشرق بينه وبين أبناء نجاح، ومنها إلى زبيد لتخليص والدته من الأسر، بعد أن وصل إليه كتابها الذي يحمل التنكيف ويثير الحفائظ، مضمونه أنها صارت حبلى من العبيد(بني نجاح)، ويجب سرعة خلاصها قبل وقوع العار، ثم خلصها من الأسر عام (٤٦١هـ)[٣].

وبعد رجوعه من زبيد دخل في حروب مع الزيدية وغيرهم من القبائل الضاربة والمتربصة بدولته، وهذه الحروب شكلت تراجعاً في بسط نفوذه، حيث خرجت عنه التهائم والمناطق المجاورة لصنعاء، ثم بعض مناطق الزيدية مثل الجوف وصعدة. ثم عدن وحضرموت، فلم تعد السيطرة على اليمن من مكة إلى حضرموت قائمة، واستمر الحال كذلك إلى أن توفي المكرم سنة (٤٧٧هـ)[٤].

وكان لعودة القاضي لمك بن مالك الحمادي من مصر عظيم الأثر في تثبيت أمر المكرم ليصبح داعي بلاغه — أو داعي القلم كما ورد في بعض المصادر - والمكرم داعي السيف[٥] ثم لم

---

١ - الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص ١١٣- ١١٤.
٣ - إدريس الأنف، عيون الأخبار جـ٧، ص١٢٢-١٢٦،الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص ١٢٣-١٢٥.
٣ - إدريس الأنف، عيون الأخبار جـ٧، ص-١٢٦، ١٢٥.
٤ - عبد الرحمن بن الديبع، بهجة الزمن، ص٥٨، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص ٢٧١.
٥ - عمارة- كاي ،المفيد،مصدر سابق، ص١٢٦ .

يلبث أن فوّض شؤون الدولة – بسبب مرضه[١] – إلى زوجته سيدة بنت أحمد الصليحي (تـ/٥٣٢هـ)[٢].

ويبدو أن سبب التفويض يرجع إلى ما أصابه من التعب والملل من كثرة الحروب، وتأثره بالفالج(الشلل الرعاشي) الذي أصابه حينما كشف عن وجهه وهو يتصبب عرقاً يوم أن خلّص والدته من أسر سعيد بن نجاح في زبيد سنة(٤٦١هـ) [٣].

ثم اعتكف في حصن التعكر(٤) إلى حين وفاته في جماد الأول[٥] سنة (٤٧٧هـ)تاركاً شؤون الدولة لزوجته الملكة سيدة بنت أحمد.

و كان الملك المكرم قد مُنِح عدداً من الألقاب، وهي كما وردت في السجل الفاطمي بتاريخ محرم من عام(٤٦٧هـ) كالتالي:

الملك ،الأجل ، الأوحد، المنصور، العادل، المكرم، عمدة الخلافة، تاج الدولة، سيف الإمام، المظفر في الدين، نظام المؤمنين، عماد الملّة، غياث الأمة، شرف الإيمان، مؤيد الإسلام، سلطان أمير المؤمنين، عميد جيوشه أبي الحسن أحمد بن علي[٦].

ج - عهد الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي (٤٧٧- ٥٣٢ هـ):

اسمها سيدة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي [٧]، كان مولدها كما يفيد عمارة "سنة أربعين وأربعمائة، تولت تربيتها أسماء بنت شهاب ... وكان يقول علي الصليحي لزوجته أسماء : أكرميها فهي والله كافلة ذرارينا، وحافظة هذا الأمر على من بقي منا " وكان يكرمها بما لا يكرم به بناته، ويصفها ابن الديبع فيقول " كانت بيضاء مشربة بحمرة، مُدَيَّرة القامة، معتدلة الجسم، كاملة المحاسن، جهورية الصوت، قارئة كاتبة حافظة للأشعار والأخبار، عارفة بالأنساب والتواريخ وأيام العرب،يقال لها: بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها للملك،وكانت تفضل بالمعرفة على كثير من الملوك ، فلما استقر المكرم بصنعاء وانتهى من تثبيت أمر دولته وتحرير والدته ، وفوض إليها الأمر، ويقال إنها استعفته عن نفسها وقالت: إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لهذا الأمر فدعني وما أنا بصدده ، ثم ارتحلت بجيش جرار إلى جبلة من مخلاف جعفر[٨]، واتخذتها دارا لإقامتها ثم عاصمة لمملكتها فيما بعد ، قال عنها صاحب العيون بأنها

---

١ - عبد الرحمن بن الديبع ، بهجة الزمن، ص ٥٨، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص ٢٧١.
٢ - عمارة /كاي، المفيد،مصدر سابق، ص١٣٧.
٣ - إدريس الأنف،العيون، مصدر سابق جـ٧، ص١٥١.
٤- تعكر بفتح التاء وسكون العين وفتح الكاف،حصن منيع على جبل مطل على جبلة[الحجري، المعجم،جـ١،ص١٥٥.]
٥ - لمعرفة ما ورد من اختلاف في تاريخ وفاته يراجع كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية، للهمداني، ص ١٤١.
٦- إدريس الأنف، العيون جـ٧، ص١٥٦.
٧ - لمعرفة ما ورد من اختلاف في تسميتها، يراجع كتاب الملكة سيدة بنت أحمد للباحثة إيمان المقطري،ص ١٠١ وكتاب الصليحيون والحركة لفاطمية للهمداني ، ١٤٢.
٨ - مخلاف جعفر ، هو المعروف بالإقليم الأخضر، ينسب إلى الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي الحميري - هو الذي ابتاع قلعة ريمة من علي بن الفضل الجدني والمطلة على المذيخرة - ... يمتد من نقيل صيد (السياني) شمالاً حتى أسافل خنوة وعقبة القاعدة التي يهبط منها إلى قاع الجند جنوباً، ومن بني موسى شرقاً وجبال بعدان إلى أسافل نخالة وبني الكلاع غرباً [الأكوع، من تعليقه على المخلاف في قرة العيون، مصدر سابق، ٢٨٥].

"متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة ... وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ... تفوق الرجال فضلاً عن ربات الحجاب ..." [1] يصدق فيها قول الشاعر:

فمَا التَّأنِيثُ لِاسمِ الشَّمس عَيْبٌ   ولاَ التَّذكِيْرُ فخْرٌ لِلهـــــــلال[2]

وكان المكرم أحمد بن علي قد أوصى قبل وفاته بتقليد أمور الدعوة إلى الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد المظفر الصليحي (تـ/ ٤٩٢هـ)، وفي الملك إلى زوجته سيدة بنت أحمد الصليحي، ولكنها ظلت محتفظة لنفسها بأمور الدعوة والملك معاً، مما أوجد في نفس سبأ بن أحمد عليها بعض التحامل، ففكر بالقتال وأعد له العدة، ولكنه تدارك ذلك باستشارة بعض معاونيه، ثم لجأ إلى استدراجها بطلب يدها للزواج [3]، ولكن هذا الزواج لم يتم ،وبقي سبأ مستفرداً بما تحت يده من حصون ومدافعاً عن سيدة ومملكتها رغم اختلافهما في بعض الأمور، وظل مقيماً في حصن أشيح[4]، حتى وافته المنية سنة (٤٩٢هـ) وبوفاته خرجت صنعاء عن الدولة الصليحية ليستولي عليها حاتم بن الغشم الهمداني، ولم تحاول سيدة استرجاعها، بل ظلت تحافظ على ما بقي فقط، وتم تعيين المفضل بن أبي البركات على قيادة الجيش[5].

وبهذا التعيين صار المفضل رجل الدولة، فحارب القبائل المناهضة للحكم، واستطاع استرجاع نصف مالية عدن البالغة خمسين ألف دينار والذي تم التمنع عن دفعها بعد موت أبي حمير سبأ بن أحمد، وفي عام ٥٠٣هـ توفي المفضل فامتنع بنو زريع عن دفع هذا الخراج، فأقامت سيدة الأمير أسعد بن أبي الفتوح (تـ/٥١٤هـ) قائداً للجيش، واستطاع استرجاع ربع المبلغ من بني زريع خمسة وعشرين ألف دينار، لتخرج عن دفع ذلك نهائياً عند موت أبي الفتوح على يد بعض معاونيه سنة (٥١٤هـ) [6].

ولما شعرت سيدة باهتزاز دعائم دولتها، قبل وفاة أبي الفتوح، وبعد تجرؤ الطامعين الذين ما انفكوا في سلخ المناطق منطقة تلو أخرى من تحت يدها، قررت أن تطلب من الخليفة الفاطمي وقت ذاك الآمر بن المستعلي (٤٩٥-٥٢٤هـ) إرسال مستشار ليساعدها في تدبير شئون أمر الدولة[7]، فبعث إليها عام(٥١٣هـ) الأمير علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة الذي ما لبث أن تولى رئاسة الجيش بعد وفاة أبي الفتوح (٥١٤هـ) فكان له وقعات عدة في زبيد وغيرها ربح بعضها وخسر البعض الآخر، وساءت علاقته بعض الوقت مع سيدة[8]، ولكن ابن نجيب الدولة لم ينج من حسد منافسيه في الكيد له عند الخليفة أيضاً، حيث اتهم بالدعوة إلى نزار،الأمر الذي دفع الخليفة

---

١ - عبد الرحمن بن الديبع،قرة العيون، مصدر سابق، ٢٢٢؛ عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق، ٧٧-٨٨.

٢ - الحصري،زهرة الأدب وثمر الألباب،ص١٤١.

٣ - لمعرفة ما ورد من اختلاف حول هذا الموضوع انظر، تاريخ اليمن المسمى المفيد من تاريخ صنعاء وزبيد لعمارة تحقيق كاي،ص ٨٣- ٨٥.

٤- حصن في بلاد أنس،سكنه الداعي سبأ بم أحمد الصليحي[محمد الحجري،المجموع،جـ١ ،ص٨٢].

٥ - عمارة ، كاي ،المفيد،مصدر سابق، ٨٥-٨٦،الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ١٦١-١٦٢.

٦- عمارة، كاي، نفس المصدر،ص ٩٣.

٧ - لمعرفة ما ورد من اختلاف حول هذا الموضوع يراجع كتاب انقسام الدعوة الفاطمية للمؤرخ عمارة تحقيق كاي وكتاب الصليحيون والحركة الفاطمية للحسين الهمداني وكتاب الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي للباحثة إيمان المقطري.

٨ - عمارة /كاي ، المفيد،مصدر سابق،ص٩٦-٩٨.

إلى استدعائه ومن ثم المكر به[١]، وبمفارقته فقدت سيدة أنشط أنصارها ومساعديها، تجلى ذلك في أول يوم يغادر فيه جبلة، حيث فكر الزريعيون في مد نفوذهم خارج عدن، خصوصاً وهم يمثلون الدعوة الفاطمية (النزارية) ويتلقون الدعم والمساندة لشق عصا طاعة الملكة سيدة بنت أحمد، لدعمها الدعوة إلى الخليفة المستعلي، وظلت سيدة بنت أحمد مقيمة في ذي جبلة تدافع عما تبقى من مملكتها التي أصبحت تفقد كل يوم جزءاً منها، حتى وفاتها غرة شعبان عام (٥٣٢هـ) [٢].

والملكة سيدة لها ألقاب عدة، وردت في السجل الفاطمي بتاريخ٤ ربيع الآخرسنة٥٢٤هـ وهي كما يلي:

الحرة، الملكة، الطاهرة، الزكية، وحيدة الزمان، سيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، خالصة الإمام، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، عصمة المسترشدين، ولية أمير المؤمنين، كافلة أوليائه المؤمنين [٣].

خلاصة القول: أنه رغم اشتراك الزيدية مع الصليحيين ـ الإسماعيليين ـ في التشيع، إلا أن أئمة الزيدية ورؤساءهم ظلوا في حالة حرب مع الصليحيين، كما كان بنو نجاح في حالة حرب واضطرابات دائمة مع هذه الدولة ،طوال مدة حكمهم لليمن، وذلك يرجع إلى العاملين الديني والسياسي معاً، ولوقوف الدعوة الفاطمية حجر عثرة إزاء توسع الزيدية في اليمن ، فاشتبك الفريقان في صراع دموي للوصول إلى الغاية نفسها، وكان العامل السياسي أقوى بوضوح، وذلك من خلال وقوف بعض الأئمة الزيدية مع دولة بني نجاح، كما فعل ذلك الإمام أبو الفتح الديلمي[٤].

وهذا بدوره شكل شرخاً عميقاً بين الحاكم والمحكوم، لتباين وجهات النظر حول معظم الأمور، ومما يدل على عمق الشرخ ما قاله حسين بن فيض الله الهمداني :" من أن العداء الذي رسخ في قلوب أهل المذاهب يفسر لنا الأسباب التي جعلت حكم هذه الدولة لليمن غير مستقر، بل جعلت حكمهم كأنه قائم على فوهة بركان لا يستقر له قرار، ويفسر ذلك الحروب المستمرة التي قامت بها الدولة الصليحية، حيث كانت الدولة النجاحية من جهة والفقهاء من جهة والأشراف من جهة ... فظلوا طوال حكم الصليحيين في حالة حرب معهم، مما جعل الدولة تستنفد الكثير من جهودها في سبيل إنهاء مقاومتهم، وكان ذلك من أهم عوامل ضعف الدولة الصليحية "[٥].

وهذا الوضع انعكس على التعليم سلباً، حيث لا يمكن بحال من الأحوال لدولة هذا شأنها أن تلتفت إلى ما يصلح رعاياها من علم أو غيره، فلا إنفاق ولا استقرار، بل كانت ترى في الفقهاء والمعلمين من المخالفين لفكرها وعقيدتها العدو الأول الذي يهدد كيانها، أمَّا أمور الدعوة الإسماعيلية ودعاتها فلا شك أنها كانت تحظى باهتمام كبير.

١- عمارة /كاي ، المفيد،مصدر سابق،ص٩٦-٩٨.
٢- عمارة /كاي ، المصدر السابق،ص ٩٥- ٩٨، الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص ١٨٣-١٩٢.
٣- إدريس الأنف، العيون،مصدر سابق جـ٧،ص ١٧٦.
٤ - الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص٢٣٦.
٥ - الحسين الهمداني المصدر نفسه، ،ض٢٣٧.

وما سبق ذكره يشير إلى وجود تنافس سياسي وفكري بين الدول القائمة والمتعددة في اليمن في تلك المرحلة، كالدولة النجاحية والصليحية ودولة بني زريع وبني حاتم ودولة الأئمة الزيدية.

كان هذا التنافس حاداً إلى الدرجة التي تصبح معها رعاية الفكر أمراً ضرورياً وحتمياً تفرضه طبيعة الصراع السياسي القائم ، وهذا يفسر إغداق الدولة النجاحية في الهبات والمرتبات على العلماء و إعفائهم من ضرائب الخراج، ورعاية الدولة الصليحية للدعوة الإسماعيلية والحفاظ على تراثها الفكري، ورعاية أئمة الزيدية للعلماء وإرسالهم إلى الخارج لزيادة التحصيل واستجلاب الكتب، كان له أكبر الأثر في تطور الحركة العلمية في اليمن في هذه الفترة[١].

وعلى الرغم من هذا التنافس إلا أن اليمن لم تعرف في حياتها العلمية فترة ركود أو جمود أو ضحالة في إنتاجها الفكري، بل ظلت متميزة بالغزارة والإبداع في شتى ميادين المعرفة، فأمدت المكتبة العربية بثروة عظيمة من ذخائر المؤلفات النفيسة، والفضل في ذلك لله ثم للهجر والمعاقل العلمية، التي كان عادة أهلها وروادها إبعادها عن مراكز الصراع السياسي ونفوذ الحكام ومراكز القوى القبلية، التي تسطو على علمائها وطلابها وممتلكاتها [٢].

ثانياً: السياسة الخارجية:

وسيتم الحديث عنها من خلال علاقة اليمن ببعض الأمصار المجاورة لها، والتي أثرت فيها علمياً أو تأثرت بها وذلك على النحو الأتي :

١- علاقة اليمن بمصر:

دانت الدولة الصليحية بالولاء للخلافة الفاطمية في مصر، فكان لذلك عظيم الأثر في نواح عدة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

إيفاد السفير العلمي لمك بن مالك الحمادي إلى مصر حيث ظل في رحلة علمية لمدة خمس سنوات، نقل على إثر ذلك التراث الفكري الإسماعيلي إلى اليمن [٣]، فشكل هذا التراث أساساً فكرياً للحركة الإسماعيلية في اليمن كما سيأتي الحديث عنه.

وقد تقيد الصليحي بأوامر العبيديين(الإسماعيليين) في كل أموره السياسية والدعوية، بل حتى الأسرية، ويشرح ذلك ما تلقاه الصليحيون من سجلات فاطمية – تأمرهم وتنهاهم وتقلدهم الرتب والمناصب وتحل خلافاتهم.

٢- بلاد الهند وعمان :

بتولي علي بن محمد الصليحي منصب داعي جزيرة اليمن أصبحت بلاد الهند وعمان وما جاورها تحت إدارته الدعوية، فعلى إثر ذلك وفد إلى اليمن العديد من طلاب العلم من هذه البلدان، فدرسوا على علماء اليمن ونقلوا مصنفاتهم إلى الهند، ولا تزال هذه المصنفات موجودة إلى التاريخ

---

١ - محمد الدجيلي،الحياه العلمية ،مرجع سابق،ص ٢١٩.
٢ - إسماعيل الأكوع، الهجر جـ١ ،ص٨-٩.
٣ - إدريس الأنف،العيون،مصدر سابق،جـ٧ص١٢٧-١٢٨.

في مكتبات الهند وإيران وباكستان، منها رسالة " كتاب تحفة الإرشاد لعلي بن الحسين الوليد (ت/٤٥٤هـ)" و" كتاب كنز الولد، وكتاب الابتداء والانتهاء لإبراهيم بن حسين الحامدي" [١].

فكانت هذه المصنفات موقع ثقافي مؤثر لدى إسماعيلية الهند، واعتمدت هذه الدول على اليمن في طلبِ العلماء والفقهاء، لتعليم سكانها وتوعيتهم بأحكام الدين[٢].

وفي عهد المكرم أحمد نشطت الاتصالات بين الصليحيين ومراكز الدعوة في مصر لنشر الدعوة في عمان والهند، فأما بالنسبة لعمان فقد مُنِحَ المكرم رئاسة بلاد عمان الدينية والسياسية بموجب السجل المؤرخ بتاريخ ربيع الأول من عام (٤٦٩هـ) الذي يعهد إليه بالإشراف على الدعوة في الإحساء والبحرين [٣].

٣- مكة والحجاز:

تمكن علي بن محمد الصليحي من بسط نفوذ الفاطميين على تلك البلدان وأقام فيها الخطبة للعبيديين عام(٤٥٤هـ)[٤]، وأقام بها دعوة المستنصر العبيدي، وكسا الكعبة حريراً أبيضاً، ورد حلية البيت إليه، وكان بنو حسن قد أخذوها ومضوا بها إلى اليمن، فاشتراها منهم، وأعادها في هذه السنة، واستخلف على مكة محمد بن أبي هاشم، وعاد إلى اليمن[٥] .

ونظراً لما لمكة من قداسة دينية ولقربها من اليمن فقد أثرت تأثيراً فكرياً خاصاً على بلاد اليمن، فكثيراً ما نجد علماء قدموا إلى مكة بدوافع علمية ودينية، ثم عرجوا على اليمن، ورحل الكثير من علماء اليمن وطلابه إلى هذه البلاد فأفادوا واستفادوا [٦]، وكان موسم الحج يعد فرصة تلتقي فيه أعداد كبيرة من العلماء من أرجاء العالم الإسلامي، ومن مختلف المذاهب، فيستفيد بعضهم من بعض، ويكون هذا التجمع من أفضل الفرص أمام طلاب العلم، للاستفادة القصوى من هؤلاء العلماء بأخذ العلم عنهم، وبحضور المناقشات العلمية والمناظرات التي تقام بين العلماء.

٤- إفريقيا:

كان لقرب اليمن من إفريقيا إذ لا يفصل بينهما سوى البحر الأحمر، الأثر الكبير في التواصل التجاري، وأحياناً الاستيطان ،ومن ثم يحصل التبادل الثقافي والعلمي بين الطرفين.

وقد دخل الأفارقة إلى اليمن واستوطنوه ثم ما لبثوا إلا قليلاً حتى أصبحوا حكاماً له، وخاصة المناطق الساحلية التي تواجدوا فيها بكثرة ،حيث بلغ عدد من يسكن في زبيد وحدها منهم أكثر من ثمانين ألف"[٧]، وفيها أقاموا دولتهم النجاحية،فكان لهذا الوجود أثره البالغ في اختلاط الثقافات وتبادل الخبرات العلمية والمهنية .

---

١ - محمد الدجيلي،الحياه العلمية مرجع سابق،ص٩٠.
٢ - محمد الدجيلي ،المرجع السابق،ص٢٢٤.
٣- الحسين الهمداني، الصليحيون،سابق،ص ٢٢٢.
٤ - الحسين الهمداني ،المصدر نفسه، ص٩٠-٩٢.
٥- أحمد المقريزي،الخطط، جـ١ ،ص ١٨٩.
٦ - محمد الدجيلي، الحياه العلمية ،مرجع سابق،ص ٨٩.
٧ - عمارة/ الأكوع، المفيد،ص٦٧-٧١

وشكل الأفارقة ـ النجاحيون ـ سنداً سياسياً وفكرياً لكل أهل السنة في اليمن من أجل مواجهة الدولة الصليحية ذات المعتقد الإسماعيلي (١)،الشأن الذي جعل من رعاية ودعم العلماء والمتعلمين أمراً لابد منه.

المبحث الرابع:العامل الاقتصادي:

إن أي نظام تعليمي لابد أن يتضمن في مراحله كثيراً من العناصر الاقتصادية، فالمؤسسات التعليمية بما فيها من مبانٍ ووسائل وطلاب ومعلمين وأنشطة، كلها تحتاج إلى تمويل وإنفاق، فيمثل العامل الاقتصادي محور ارتكازها وعصب حياتها، فبه تتأثر سلباً وإيجاباً.

وتتأثر النظم التعليمية بالعوامل الاقتصادية السائدة في المجتمع، ويمكن تحديد محتوى التعليم وطرائقه وأساليبه ووسائله بالظروف الاقتصادية لأي بلد، حيث إنها تختلف من بلد لآخر بحسب موارده الطبيعية التي يتمتع بها، سواءً كانت هذه الموارد طبيعية أو صناعية أو تجارية أو بشرية (٢).

وإن النظام الاقتصادي المعمول به في المجتمع لابد أن يترك بصماته وآثاره على النظام التعليمي في ذلك المجتمع،ولذلك ينبغي أن تكون العلاقة بين التربية والاقتصاد قوية ومتكاملة،(٣)وعلى التربية إعداد الناشئين والمهنيين ليقوموا بخدمة المجتمع وتلبية احتياجاته الاقتصادية،وعلى النظام التربوي تولي توفير المتطلبات اللازمة لذلك الإعداد(٤).

وارتكز اقتصاد اليمن أثناء حكم الدولة الصليحية على الزراعة والتجارة وبعض المنتجات الصناعية الخفيفة ،وفيما يلي يتحدث الباحث عن تأثير هذه الحالة على التعليم .

- الزراعة:

اشتهرت بلاد اليمن بأنها قطر زراعي من الدرجة الأولى منذ قديم الزمن، لما تمتاز به من وفرة لجميع عناصر قيام الزراعة كالتربة الخصبة والمناخ المتنوع، والأمطار الغزيرة، لذلك سميت باليمن الخضراء أو اليمن السعيدة لما تتركه هذه الحالة من سعادة لأهل اليمن (٥).

ومع إهمال الدولة الصليحية والدولة الفاطمية العمل على التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهما، واستنزاف جزء كبير من مالية الدولة في الحروب الداخلية والخارجية، بسبب العداء القائم بين الدولة الصليحي وأصحاب المذاهب الأخرى، تبقى الزراعة والفلاحة هما قوام هذا المجتمع، فكان جمهور المجتمع اليمني يتكون من الفلاحين (٦).

ومن الملاحظ أن الدولة الصليحية اهتمت بالزراعة كونها المصدر الرئيس للتمويل، فجعلوا على كل مخلاف أو حصن من يثقون به حتى يضمنوا جلب الخراج والزكاة وغيرها، ومما يدل

---

١ ـ عمارة / كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ١٢٦، ١٢٧.
٢ـ محمد مرسي، تاريخ التربية،ص ١٤٤.
٣ـ يزيد السورطي ،السلطوي في التربية،مرجع سابق ، ص١٣٤، ١٣٥.
٤ـ السيد سلطان،مقدمة في التربية،ص ٢٧ ،٢٨.
٥ ـ الحسين الهمداني ،الصليحيون مصدر سابق،ض٢٣٢-٢٣٤.
٦ ـ الحسين الهمداني ،المصدر السابق،ص ٢٣٠، أبو غانم، الدولة والقبيلة،ض١٠٥.

على هذا الاهتمام بإجراء الأنهار، ومن ذلك النهر المحفور في مخلاف جعفر،وقد ذكر ابن الديبع أن المفضل بن أبي البركات حفر في الصفا حتى أخرق بعض الصفا إلى بعض وأجرى الماء[١] في مواضع لا يصدق بها إلا من رآها [٢].

وكان هذا النهر من خِنْوَةَ إلى الجند، وخنوة هذه من مخلاف جعفر متصلة بوادي ظباء وفيها وادٍ خصيب، وبه محاصيل كثيرة ومهمة مثل البطاطس و الطماطم والفاصوليا وغيرها[٣].

مما سبق يتضح الهدف من عمل هذا النهر، ما يترتب على ذلك من أهمية اقتصادية لهذا الوادي ومنتجاته الزراعية، حيث تمكنت الدولة الصليحية من جمع أموال طائلة من هذا المصدر، و يدل على ذلك ما ذكره صاحب أنباء الزمن من أن علي الصليحي لما خرج إلى الحج: " ... برز جهازه وما أعد من الأموال والذخائر إلى المسجد الجامع بصنعاء وجعله كخزانة وقد كان ملئ جانب المسجد الذي كان عليه السقف غربية صناديق مملوءة من الذهب والفضة ..." [٤].

وكان عمال الدولة الصليحية والحاتمية والزريعية يقاسمون الرعية على الخمس من أموالهم وهكذا كانت دولة العبيديين في مصر [٥]،وهذا هو مذهب الإمامية الإثنى عشرية ،يطبقونه إذا ما ظفروا بحكم بلد من البلدان.

كما عمل حكام الدولة الصليحية على تنمية الزراعة والنهوض بها، فأصلحوا العديد من الأراضي الزراعية، حيث عمل الملك علي بن محمد الصليحي على إقامة المدرجات الزراعية وحفر الآبار[٦]، وعمل الصليحيون على جلب الشتلات والبذور من مختلف البلدان خاصة من جنوب شرق آسيا وإفريقيا [٧].

ولم يقتصر الاهتمام بالزراعة على الجانب الرسمي الممثل بالدولة؛ بل كان العلماء وأولياء أمور الطلاب يدركون تلك الأهمية فأولوا الزراعة أهمية كبيرة،فهذا الإمام زيد اليفاعي[٨] يعمل بالزراعة ويحصل على أموال كثيرة منها لينفقها على طلبة العلم،ومثله الفقيه زيد الفائشي[٩].

- **التجارة:**

كانت تجارة الفاطميين في أول هذه الفترة متجهة إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط ولم تتجه إلى اليمن رغم وجود دعاةٌ فاطميين فيها لأسباب سياسية، كي لا يدخلوا في منافسة جادة مع التجارة العباسية [١٠].

---

١ - زاد الخزرجي فقال، ثم لما جاء بين الجبلين أمر الصناع فبنو جداراً من الجبل إلى الجبل طوله مائة ذراع وعرضه نحو عشرة أذرع بالحديد وارتفاعه نحو خمسين ذراعا، بحيث لو رآه أحد قال: ما فعل هذا إلا الجن ... " انظر: قرة العيون،ص٢٣١-٢٣٢.

٢ - عبد الرحمن بن الديبع، قرة العيون ،سابق ،ص٢٣١.

٣ - الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب،ص ٣١٧.

٤ - الحسين الهمداني،الصليحيون ،مصدر سابق ، نقلاً عن أنباء الزمن المخطوط بدار الكتب المصرية،ص٢٢٠.

٥ - عبد الرحمن بن الديبع ، سابق، ص٢٥٤-٢٥٥.

٦ - عمارة/ الأكوع،المفيد مصدر سابق،،ص٦٧-٧١.

٧ - محمد السروري،مظاهر الحضارة سابق ، ص ٥٢٩.

٨ـ هو زيد بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي بلدأ المعافري سكناً،أستاذ الاساتذة وشيخ المصنفين في زمانه،[محمد الجندي،جـ١ص٢٦٢].

٩ - عمر الجعدي الطبقات،مصدر سابق،ص١٩٠.

١٠ - ابن خردانبة،المسالك والممالك، ص١٥٣-١٥٤، أيمن سيد،تاريخ المذاهب،مرجع سابق، ص١٠٦.

ثم شهدت التجارة عن طريق البحر الأحمر وموانئ اليمن نمواً ملحوظاً، خاصة بعد تحول الطريق التجاري العالمي من العراق وبلاد الخليج العربي إلى البحر الأحمر، وذلك يعود لسببين اثنين: الأول : غياب الأمن في منطقة العراق والبصرة وما جاورها، بسبب العنف والمشاكل القائمة في تلك الفترة، الثاني : تشجيع الدول القائمة في مصر كالدولة الطولونية والإخشيدية وأخيراً الفاطمية للحركة التجارية التي تمر عبر البحر الأحمر، تساندها في نفس الوقت الدول القائمة في اليمن كالدولة النجاحية والدولة الصليحية [١]، وبعودة هذا الخط أخذت عزلة اليمن تزول شيئاً فشيئاً، وأخذت مواردها الاقتصادية تنمو بشكل مطّرد [٢].

واشتهرت اليمن في عالم التجارة كممر بحري مهم للمراكب التجارية المحملة بالبخور والتوابل، وأصبحت البلد الذي يستطيع نقل تجارة الشرق إلى الغرب والعكس، وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي المتميز، وبواسطة هذه التجارة تعرفت على حضارة الرومان واليونان والبابليين والفينيقيين [٣].

وعلى إثر ذلك أصبحت التجارة محور نشاط العديد من المدن اليمنية،سواء كانت تلك المدن ساحلية(موانئ) أو مدناً داخلية أوجزراً.

وكانت عدن سوقاً وميناءً لكبار تجار اليونان والرومان، فقصدوها في رحلات منتظمة من مصر، سرعان ما ازدادت بمرور الزمن، لتصبح عدن مركزاً لتبادل السلع الإفريقية والهندية والمصرية، ومكاناً تبحر منه السفن إلى الهند وإفريقيا وكانت تقام في عدن سوقاً سنوية بعد سوق الشِحْر في الأيام العشر الأولى من شهر رمضان[٤]، ولوجود الأسواق يلتقي اليمنيين بغيرهم فيتم التبادل الثقافي والعلمي إلى جانب تبادل الحاجات والمنافع.

خلاصة القول أن الموانئ اليمنية كانت عامرةً بالتجارة منذ قديم الزمن، لكنها في فترة تولي الصليحي الحكم شهدت نوعاً من التراجع النسبي لا سيما التجارة بين اليمن ومصر الفاطمية، وذلك بسبب العلاقات السيئة بين العباسيين والفاطميين، فاتجه الفاطميون إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط، تفادياً للمواجهات المحتملة، فأثر ذلك على تجارة اليمن، ولم تتنفس موانئ اليمن الصعداء وتستعيد مجدها كممر بحري هام إلا قرابة نهاية فترة حكم الصليحيين، وذلك بسبب الاضطرابات السياسية والأمنية التي حدثت في العراق وعلى طول خط التجارة العباسي من البصرة حتى بلاد الشام، ورغم هذا كانت الموانئ تؤدي دورها خارج إطار الدولة الصليحية، وكان هذا من أسباب خروج المناطق الساحلية عن سيطرة الصليحيين،

---

١ - محمد الدجيلي،الحياه العلمية،مرجع سابق ،ص ٢١٧؛ مصطفى شاكر، التاريخ والمؤرخون في العالم الإسلامي حتى القرن السابع الهجري،ص ٣٢٢.

٢ - محمد الدجيلي،المرجع السابق،ص٢١٧.

٣ - عبد العزيز الشمري ،تجارة عدن الخارجية في عصر بني زريع وبني أيوب ،ص، ٥٢.

٤ - عبد العزيز الشمري المرجع السابق،ص٥٢.

هذه الحركة التجارية أدت إلى تحسن أحوال بعض الناس سيما التجار وسكان المدن الساحلية،فساهموا في دعم العلماء وطلاب العلم ،وكذا تحسنت موارد الدولة، فخصص جزءاً من ذلك في النفقة على العلماء وطلاب العلم.

- **الصناعة:**

يقصد بها الأعمال الحرفية والمهنية التي كان يزاولها أبناء اليمن وذلك من أجل تلبية احتياج المجتمع ومتطلبات الحياة اليومية.

وقد اشتهرت اليمن بالصناعات الحرفية منذ القدم،وأصبحت مضرب الأمثال على مستوى الجزيرة العربية والعالم الإسلامي،مثل صناعة الأدوات الحربية بأنواعها المختلفة ،وصناعة النسيج ودباغة الجلود والتجليد ،وصناعة السهام والسفن[١]،وصناعة الأواني الفخارية والخزف والزجاج[٢] وصناعة الأدوات الزراعية،وصناعة الحلي والمطرزات، وأدوات الزينة من الأحجار الكريمة[٣]،وهذا التعدد والتنوع في الصناعات أدى إلى تحسن الأوضاع المعيشية لدى أرباب هذه الحرف ،فمكنتهم من تعليم أولادهم، بل عملوا على نقل هذه الخبرات إلى غيرهم.

وقد تركز أغلب هذه الصناعات في المدن الرئيسية كزبيد،و صعدة،و صنعاء،و جبلة، و الجند،وعدن[٤]، وذي أشرق، الأمر الذي جعل الحياة بها أيسر من الأرياف فأوى إليها الكثير من العلماء وطلاب العلم ،وانتشرت فيها المراكز العلمية.

وقد وردت دلائل واضحة ومتعددة تدل على نمو وتطور عمراني في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، من ذلك على سبيل المثال تطور مدينة صنعاء في عهد علي بن محمد الصليحي (ت/ ٤٥٩هـ)، وإنشاء مدينة ذي جبلة، وتطور عمراني كبير في مدينة زبيد ،وكذلك في مدينة عدن (سيما في عهد بني زريع ٤٧٦-٥٦٩هـ) [٥].

هذا يدل عل تحسن الحالة الاقتصادية لدى بعض فئات المجتمع اليمني في تلك الفترة .

المبحث الخامس:العامل التاريخي:

يترك العامل التاريخي أثراً مهماً في صياغة الحاضر وتركيبه، بما يقدمه من حقائق مهمة وأسانيد ثابتة للأمة، فلا قيمة له إذا لم يكن هادفاً صادقاً يقدم العبرة للحاضر والمستقبل.

وللعامل التاريخي أهمية خاصة في التوجهات الفكرية الإسلامية والعربية في مجال التعليم والاجتماع والاقتصاد والإعلام والعلاقات الدولية [٦].

والقصد من العامل التاريخي هنا العامل الذي يساعد على معرفة الأوضاع التعليمية في المجتمع اليمني قبل فترة الدراسة وما خلفه من آثار ساعدت على تطور أو جمود التعليم في فترة

١- يوسف بن المجاور،صفة بلاد اليمن،ص١٣ ،محمد الأكوع، اليمن الخضراء، ص٢٠٩- ٢١٣.
٢ -محمد البيحاني،أشعة الأنوار ،جـ١ص٥٩.
٣ - الحسن الهمداني ،الإكليل جـ٨،ص ١٣٥ ، ١٣٧ ؛الشعبي ،مدينة صعدة،ص١٠٥.
٤ - داوود المندعي،تاريخ اليمن الاقتصادي،ص ٢٤٥- ٢٥٠.
٥- عمارة / كاي، المفيد،سابق ، ص٢١٠ ؛الطيب با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها،ص١٥١-١٥٢.
٦- محمد الداود، العوامل التاريخية في توجهات الفكر العربي،ص ٦٨.

من الزمن، كما أن تاريخ أي مجتمع هو الذي يحدد ماهية المناهج التي يتطلبها كي يرتقي وينمو ويلبي حاجة أفراده .

وتبدو العوامل التاريخية المؤثرة على التعليم في عصر الدولة الصليحية واضحة وجلية، سواءً في تطور ما هو موجود أو محاولة إعادة ما فقد منذ زمن، و يتجلي ذلك من خلال الآتي:

أ- احتفاظ الدعوة الإسماعيلية بكيانها الفكري ووجودها في اليمن منذ سقوطها أيام منصور اليمن (ت/٣٠٢هـ) ورفيقه علي بن الفضل (ت/٣٠٣هـ)، فأهّلها البعد التاريخي لأن تحاول إعادة السيطرة والحكم وكان لها ما أرادت.

ب- وجود الخلاف الفكري والمذهبي ترك أثراً في استمرار المناظرات والردود الفقهية، وكان للفقهاء عظيم الأثر في مقارعة الفكر الإسماعيلي.

ج- استمرت المراكز العلمية من قرى وهجر في أداء دورها التعليمي والمعرفي، مواكبة في ذلك للتطور العربي والإسلامي بشكل عام[١].

د- شكل انقسام الزيدية إلى مخترعة ومطرفية، وتعدد السنة إلى حنابلة وشافعية، فرصة ذهبية لعودة الإسماعيلية إلى سدة الحكم [٢] والدعوة إلى الفكر الإسماعيلي علناً، بعد أن ظلت حبيسة الستر أكثر من ١٣٥ سنة .

خلاصة القول: أن العامل التاريخي لم يقف عائقاً أمام التطور الفكري والعلمي في اليمن، بل كان رافداً أساسياً وعامل إمداد لكل المذاهب الموجودة في اليمن خلال فترة حكم الصليحيين، حيث كانت الزيدية تغذي أتباعها ومدارسهم بالكتب والمؤلفات، إما باستجلابها من منابعها في العراق، وإما بالتأليف والتعليم المباشر، وكذلك كانت المذاهب السنية والإسماعيلية، ولكلٍ مصادره في التغذية الفكرية الخارجية والداخلية، وكل ذلك شكل حراكاً ثقافياً وعلمياً مشهوداً، وبهذا ظلت الحركة العلمية تشق طريقها في خط موازٍ لتلك الصراعات كما سيتضح في الفصول اللاحقة من هذه الرسالة.

المبحث السادس: العامل الاجتماعي:

إن النظام التربوي هو أحد الأنظمة الفرعية العاملة في الكيان الاجتماعي، وهو الجهاز المسئول عن السياسة التعليمية وتنظيمها وإدارتها وتنفيذ إجراءاتها وتطويرها، حتى يتمكن من إشباع الحاجات المطلوبة للمجتمع والتكيف مع المستجدات التي تفرضها التغيرات الاجتماعية [٣].

١- عبد الرحمن الشجاع،الحياة العلمية، ص٣٤٨؛ عبدالرحمن المختار،سابق،ص ٤٢.
٢- محمد الدجيلي، الحياة العلمية،مرجع سابق،ص ٢٦-٣٥.
٣- محمد الخوالدة،مقدمة في التربية، ص١٣٠.

وتعد العملية التربوية عملية اجتماعية في أساسها، والمجتمع يعد بعداً رئيساً من أبعاد التربية وميدانها الأهم ، وتختلف التربية من مجتمع إلى آخر بحسب اختلاف فلسفته وتركيبته الاجتماعية [١].

والمجتمع هو رحم العملية التربوية ،وهو المعين الأساسي الذي تستمد منه كثيراً من مقوماتها، وتعتمد عليه في توجيه مسارها[٢].

ويعرّف المجتمع بأنه: مجموعة من الأفراد يقطنون قطعة جغرافية محددة معترف بها، وتتمسك بمجموعة من المبادئ والمقاييس والقيم والروابط الاجتماعية والأهداف المشتركة أساسها اللغة والتاريخ والمصير المشترك والمصالح المتبادلة [٣]..

ويعد المجتمع اليمني من هذه الناحية مجتمعاً ذا مواصفات مشتركة ومترابطة، مثله مثل أي مجتمع إسلامي تجمعه أهداف ومبادئ وقيم إسلامية واحدة، ولغة وتاريخ موحد ومشترك، إلا أن المذهبية والقبلية تركتا أثراً في تشكل المجتمع اليمني وتقسيماته، حيث ظل التعصب اليمني للقبيلة قائماً ومستمراً منذ عصر ما قبل الإسلام،ثم جاء التعصب المذهبي إضافة إلى ذلك .

وقد شهدت دار الإسلام منذ القرن الأول الهجري بعض التباين في وجهات النظر، وصلت حد الاحتراب، وتعمق ذلك ليشهد في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري وجود المذاهب الفقهية والفكرية بألوانها المتعددة وبدأ القرن الخامس بخلافات سياسية حادة بين الدولتين العباسية والفاطمية، مما أوجد مسوغاً فكرياً وسياسياً لجميع أصحاب المطامع والطموحات الاستقلالية.

ويعد وضع اليمن القبلي أحد الأسباب التي ساعدت علي الصليحي في تكوين دولته، إذ أن السلطة في اليمن كان يحكمها الانتماء القبلي في تلك الفترة، والذي ظهر في الساحة السياسية منذ القرن الثاني عندما سمح لليمن بإقامة دويلات مستقلة أثناء ضعف الخلافة الأموية [٤].

و بالاطلاع على بعض مصادر التاريخ اليمني التي استطاع الباحث أن يقف عليها، والتي أرّخت للفترة موضع الدراسة والبحث، يمكن القول بأن المجتمع اليمني بأكمله، قد تأثر بالوضع العام للأمة الإسلامية، وعليه فإنه يمكن تقسيم المجتمع اليمني خلال فترة حكم الصليحيين إلى فئتين:

الفئة الأولى: أصحاب الرأي والفكر.

وتمثلت هذه الفئة في أصحاب الولاءات المختلفة الآتية:

- أصحاب الولاء للدولة الفاطمية: ويمثلها الدعاة والأمراء والسلاطين من: الصليحيين ،والحاتميين الهمدانيين ،والزواحيين ،ثم الزريعيين، وجميع تكوينات الدعوة الإسماعيلية [٥]،ووجد أغلب هؤلاء

١- محمد مرسي، تاريخ التربية ص١٠٠.
٢- يزيد السورطي،مرجع سابق ،ص١٣٩.
٣- محمد الخوالدة،مقدمة في التربية، ص١٦٠.
٤- محمد السروري،الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن ،ص ٢٥٧.
٥- الحسين الهمداني،الصليحيون، مصدر سابق ،ص٢٣٨.

في حراز وجبلة وصنعاء، ونالوا الدعم المادي من الدولة ،الأمر الذي يسر لهم فرص التعليم لأولادهم فاستقدموا لهم المؤدبين .

- أصحاب الولاء للدولة العباسية: ويمثل هذا الاتجاه جميع علماء السنة وفقهائها، والأمراء النجاحيون في زبيد، وبعض زعماء القبائل الذين أزاحهم علي بن محمد الصليحي عن حكم قبائلهم، وفرض عليهم ما يمكن أن نسميه بالإقامة الجبرية، وذلك بإقامتهم في صنعاء تحت الرقابة المباشرة منه، والرحيل معه في أسفاره وحروبه، واستبدل بهم حكاماً وولاة يثق في ولائهم إن لم يكونوا منتمين لمذهبه،وأغلب هؤلاء من سكان المناطق الساحلية وما جاورها مثل زبيد وعدن و الجند و إب و وصاب ،وكان أغلب هؤلاء يحملون العداء المستمر للدولة الصليحية ، الأمر الذي حال دون تحقيق مركزيتها وبسط نفوذها على بعض المناطق[1] ، ونالوا الاحترام والتقدير والدعم من بني نجاح،كل ذلك ساعدهم على التفرغ للعلم وتعليم أولادهم .
- أصحاب الولاء للمذهب الزيدي: ويمثلها علماء وفقهاء الزيدية الهادوية (أولاد الهادي ومن نهج نهجهم من أولاد القاسم العياني وجميع زيدية اليمن) [٢].

وكان أغلب هؤلاء يعيش في الهجر العلمية أو قريباً منها،وكانوا يحضون بمكانة اجتماعية مرموقة باعتبارهم أقرباء للنبي ﷺ، فإليهم تدفع الزكاة من المناطق التي تحت سيطرتهم ،ورغم اشتراكهم مع الفاطميين في التشيع للعلويين من آل بيت النبي ﷺ إلا أن العداء كان هو المسيطر على علاقاتهم ببعضهم [٣] وكل ذلك انعكس إيجابا على التعليم والاهتمام به.

- أصحاب الولاءات القبلية: ويمثل هذه الفئة أغلب زعماء اليمن آنذاك وأقيالها الطامعون في الرياسة والاستقلال والسيطرة على بلدانهم وخراجها، وقد يعطون الولاء الاسمي في خطبهم ومناسباتهم لأي دولة تكون لها الغلبة طالما وهي تحقق مصالحهم وتعطيهم صلاحيات حكم مناطقهم، الذي هو أشبه ما يكون بالحكم المحلي اليوم[٤].

وكان هؤلاء قد فقدوا بعض الامتيازات التي كانوا يحظون بها من قبل، ومنهم تكونت بعض قيادات الجيش واشتغلوا بالحروب والصراعات القبلية، الأمر الذي انعكس سلباً على تعليم أولادهم لبعدهم عن المراكز العلمية الرئيسة ومصادر الثقافة ،والتي غالبا ما توجد في المدن .

الفئة الثانية: عامة الناس (الجمهور):

ويشكلون أغلب سكان اليمن، ويمكن القول إن هذه الفئة تشمل المزارعين والعمال وأصحاب الحرف اليدوية، ومنهم يتكون الجند، وعلى أكتافهم بنيت الدولة والكيانات المحلية لما يملكون من ثقافة بسيطة يمكن التأثير فيها وتغييرها بسهولة[٥].

١- الحسين الهمداني، المصدر نفسه، ص٢٣٣،٢٣٢.
٢ - عبد الرحمن الشجاع،الحياة العلمية،مرجع سابق،ص ٢٤-٢٥.
٣- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق ،ص ٢٣٦.
٤- فضل أبو غانم، القبيلة والدولة في اليمن،ص٢٩٤-٣٠٤.
٥- الحسين الهمداني، الصليحيون،مصدر سابق، ص٢٣٣.

وقد حُرم أغلب هؤلاء من التعليم ،خاصة من يسكنون المناطق الريفية،خاصة المناطق ذات الطبيعة الجغرافية الوعرة ، أما من سكن منهم في المدن والقرى العلمية أو قريبا منها فمما لا شك فيه أنه سيتأثر بالحركة العلمية التي تشهدها تلك المراكز، وخاصة أصحاب الحرف المهنية والمزارعين.

خلاصة القول: أن التعليم في ذلك الوقت تفاوت في الانتشار بين فئات المجتمع اليمني وطبقاته، فحظيت الفئة الأولى ممثلة بالأمراء والسلاطين الإسماعيليين باهتمام الدولة الكامل، وذلك بتحسين أوضاعهم المعيشية، كونهم أصحاب القرار، وكذا أصحاب الولاءات المذهبية الأخرى، باستثناء ما قدمه بعض وزراء بني نجاح من دعم للعلماء في سبيل تأدية مهامهم التعليمية.

وفي المقابل حرم من التعليم عامة المجتمع اليمني، نتيجة للامتيازات التي حظيت بها الأسر العلمية المشهورة ،والتي غالباً ما توجد في المدن الرئيسة، بينما ظلت القرى والأرياف تعاني من الأمية والجهل، نتيجة للفقر وكثرة الحروب والصراعات الدموية التي شهدها اليمن في تلك الفترة.

وأيضاً حرمت المرأة اليمنية من التعليم بسبب النظرة الاجتماعية الضيقة إليها في اغلب المناطق.

الخلاصة:

مما سبق يتضح أن العوامل المجتمعية قامت بدور بارز وأساسي في عملية التعليم والتعلم في عصر الدولة الصليحية.

فتمثل تأثير العامل الديني في غلبة الطابع الشرعي على معظم العلوم، فكان رجال العلم هم علماء دين، وأكثر الطلاب هم طلاب العلوم الشرعية، كالفقه والحديث وعلوم القرآن، ومعظم المؤلفات كانت تدور في هذا المدار.

كما ظهر دور العامل المذهبي في وجود الشروح الفقهية والمناظرات العلمية ومقارعة الفكر الإسماعيلي بالعديد من المؤلفات، والسعي الحثيث من قبل أهل اليمن في طلب العلم، وشد الرحال من أجل ذلك إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وتمثل تأثير العامل الجغرافي في انتشار العلم والحركة العلمية في المدن الساحلية أكثر من انتشاره في القرى والمدن البعيدة عن السواحل، مما جعلها بعيدة عن الحراك العلمي والثقافي في بقية أنحاء العالم الإسلامي، كما شكلت تضاريسها أحد العوامل المعيقة لطلاب العلم من الاتصال بمدرسيهم في بعض الأحيان.

أما العامل السياسي فكان أثره بارزاً في التشجيع على انتشار المذاهب الفكرية وخاصة الإسماعيلية في ما يسمى جزيرة اليمن، ونقل التراث الفكري والثقافي من مصر إلى اليمن، ومن اليمن إلى الهند وغيرها، وكان دافعاً أساسياً لرحيل العديد من العلماء وطلاب العلم من وإلى اليمن كما كان عاملاً أساسياً في تبني ودعم بعض الأمراء والسلاطين للعلماء والمربين في سبيل نشر العلم كما حدث مع الوزراء النجاحيين.

وبسبب انعدام الاستقرار السياسي حُرم الكثير من أبناء اليمن من التعليم، سيما أبناء المناطق القبلية والجبلية، بسبب انحصار العلم والتعليم في المدن الرئيسة وما جاورها.

وتمثل دور العامل الاقتصادي في دفع عملية التعليم والتعلم إلى الأمام بشكل جزئي خاصة في المدن والقرى الرئيسة، ودعم كل فئة أو طائفة للمنتمين إليها فقط، فأكثر ما يتضح من آثار العامل الاقتصادي في تحسن أوضاع الطائفة الإسماعيلية ودعمهم اللا محدود للدعاة والأمراء الإسماعيليين.

أما العامل الاجتماعي فيمكن القول بأن له دوراً إيجابياً وآخر سلبياً، وإيجابيته ظهرت فيما يتمتع به رجال العلم وطلبته من مكانة اجتماعية؛ مكنتهم من سهولة نشر العلم والتعليم، وسلبيته ظهرت من خلال الاستبعاد الاجتماعي لشريحة كبيرة من أبناء المجتمع وحرمانها من التعليم، وهم غالبية سكان الريف وعامة النساء.

الفصل الثاني

فلسفة التعليم وأهدافه

المبحث الأول: فلسفة التعليم(التربية).

أ- نظرة الإسلام إلى الإنسان.

ب- نظرة الإسلام إلى الكون.

ج- نظرة الإسلام إلى المعرفة.

المبحث الثاني: الأهداف التعليمية.

أ- الهدف الديني.

ب- الهدف الخلقي.

ج- الهدف العلمي.

د- الهدف العقلي.

ه- الهدف السياسي.

و- الهدف الاجتماعي.

المبحث الأولُ:فلسفة التعليم (التربية):

تشترك كل من فلسفة التربية(التعليم) وتاريخ التربية في الاعتماد على خبرة الماضي، وما يقدمه من مادة لهما، لكن تاريخ التربية يصل بدراسته تلك إلى وصف التربية وصفاً صادقاً ما أمكن، بينما فلسفة التربية تعتمد على الماضي ولا تكتفي بعرضه؛ بل تفسر وتنقد وتعيد بناء الخطط ما أمكن[١].

وفلسفة التربية لأي مجتمع تعني وجهة نظر ذلك المجتمع وأفراده للكون والإنسان والمعرفة والقيم، وإذا ما تحولت تلك النظرة إلى اتجاهات ونظم وممارسات وتطبيقات فتلك هي التربية[٢].

" وإذا كان التعليم لا يشتق صفاته من ذات نفسه،وإنما يشتقها من واقع العوامل والقوى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تسود المجتمعات، فإن فلسفة التربية ينبغي أن تشتق مقوماتها من نفس الواقع الذي تعيش فيه، ونجاح الفلسفة التي تقوم عليها التربية في المجتمع تعتمد بالدرجة الأولى على الظروف الداخلية لذلك المجتمع وما يقدمه لها من حلول[٣].

ومن فلسفة المجتمع تتكون فلسفة التربية، التي تعد نشاطاً فكرياً منظماً يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها، وتوضيح القيم والأهداف التي تسمو إلى تحقيقها في سبيل ضبط العملية التعليمية وتحقيقها[٤].

وتتضمن فلسفة التربية: البحث عن المفاهيم التي تنسق بين المظاهر المختلفة للتربية، في خطة شاملة لتوضح المعاني التي تقوم عليها التربية، وتعرض المبادئ والفروض التي تقوم عليها مفاهيم التربية، وتنمي علاقاتها مع بقية ميادين الاهتمام الإنساني[٥].

وبما أن فلسفة التربية تتكون من فلسفة المجتمع، والمجتمع يستمد فلسفته من معتقداته وتقاليده، فإن المجتمع الإسلامي يختلف اختلافاً جذرياً عن بقية المجتمعات، حيث إنه يستمد فلسفته من منابع التشريع الإلهي والمتمثل في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فإذا كانت أسس التربية الحديثة في عالم الشرق والغرب هي: الحرية والديمقراطية والفردية والمادية، فإن أساسها في الإسلام هو: الإيمان العقائدي، وتحقيق العبودية لله ﷻ، والشعور بالمسؤولية، والكرامة الإنسانية، والتأهيل المستمر لحمل الأمانة وأداء الواجب[٦]، والمنبثقة من فهم قوله تعالى: {**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}[٧].

وفلسفة التربية في المجتمع اليمني في عصر الدولة الصليحية، كانت هي فلسفة المجتمع المسلم المستمدة من فهم كتاب الله وسنة نبيهﷺ، و كل ما انبثق عنهما من مفاهيم وآراء فقهية

١- فيليب فينيكس، فلسفة التربية، ص٤٠ .
٢ أحمد الحاج، فلسفة التربية،سابق،ص٦١.
٣ - عبدالغني عبود وآخرون، التربية الإسلامية وتحديات العصر،ص ١١٧-١١٨.
٤- حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ص ٦١.
٥ - فيليب فينيكس، المرجع السابق،ص ٣٩ .
٦ - محمد بريغش،التربية ومستقبل الأمة،مرجع سابق،ص ١٢٩-١٨٢.
٧- سورة البقرة، الآية ١٢٩.

ومذهبية، ظل الإسلام هو الموجه والراعي الأساسي لها، والذي يمكن أن تُفهم من خلال النظرة العامة للإسلام إلى كل من الكون والإنسان والمعرفة.

أ ـ نظرة الإسلام إلى الإنسان:

إن الإنسان في عرف التصور الإسلامي قمة الكائنات الحية، التي تعيش على وجه الأرض وأفضلها وأكرمها، لما أودعه الله فيه من مزايا، وما ميزه من صفات، ولما أعده من جليل الغايات التي ترقى إلى أمثالها سائر الكائنات الأخرى، والقرآن كله إما حديث للإنسان أو عن الإنسان، وفيه فلسفة كاملة عن الإنسان من حيث ماهيته وخلقه وطبيعته، فهو في مجمله كتاب الإنسان(١).

والإنسان مخلوق مكرم ومستخلف في الأرض، كي يقوم بعمارة الأرض وتسخير الكون كما أراد الله، وفق ما منحه من إمكانيات وما زوده به من علم و بما يعود بالنفع والخير والصلاح للبشرية جمعاء، وهو بهذا يحمل أشرف وأعلى رسالة في الكون ،إن هو سار وفق نواميس هذا المشروع الإلهي الراقي، وإن هو خالف ذلك فهو متبع للشهوات، عامل هدم في هذا الكون، وجرثومة فناء هذا النظام الراقي، وفي هذا يقول الله تعالى : {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** }(٢).

{**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا** }(٣).

ومحور خلافة الإنسان استخدام العقل وتحمل التكاليف السماوية وأداء الأمانة، من خلال ما يتعلم المرء ويفهم ويميز بين الخير والشر، وهو بهذا استحق التكريم على سائر المخلوقات، فهو الكائن المهيأ للتفكير دون غيره، وخلقه الله وأسجد له الملائكة وجعله في أحسن صورة باطناً وظاهراً(٤)، فيقول الحق تبارك وتعالى: { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** }(٥)، وقال: { **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** }(٦)، وقال: {**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** }(٧)، وقال: { **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** }(٨)، ووفر له أطيب الرزق فقال: { **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** }(٩)، وخصه الله بشيء من عنده وهو الروح { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ**

---

١ - شوقي ضيف، دراسات في التربية الإسلامية ، ص ٩٨.
٢- البقرة آية ٣٠.
٣ - فاطر آية ٣٩.
٤- عبد الحميد الزنتاني، فلسفة التربية في القرآن والسنة،ص ١٧٤ ،شوقي ضيف، سابق،ص١٠٠-١٠١.
٥- سورة الإسراء آية ٧٠.
٦- سورة الحجر آية ٢٨-٢٩.
٧ - سورة الانفطار آية ٧.
٨ - سورة التين آية ٤.
٩- سورة الملك. آية ١٥.

سَاجِدِينَ }[١]، وخلق له من نفسه زوجاً ليسكن إليه فقال: { **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا }**[٢] والناس في ذلك سواسية أمام الخالق جل وتعالى، { **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }**[٣].

وفي القرآن فلسفة إنسانية تتعلق بالإنسان، فتهتم به فرداً وعضواً في أسرته ومجتمعه وفي أمته ومحيطه العام، فشمل القرآن كل تلك النواحي، فهو المنبع لأصول الفلسفة الإنسانية والاجتماعية، فوضع بذلك الأسس العامة التي يقوم عليها المجتمع السليم [٤].

ونلمس ذلك جلياً من خلال اهتمام الدين الإسلامي بالفرد عقلاً وروحاً وجسماً، حيث نظم علاقته بأسرته أدق تنظيم، واهتم بترتيب علاقته العامة مع مجتمعه وأمته ومع أميره ومأموره، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فنظم علاقته مع الأرض والسماء، وجعلها مسخرة له وفق قوانين محددة، فإن هو عمل بها نال الأجر، وإن هو عبث بها نال العقاب.

فمن أجل صلاح الفرد (الإنسان) أرسلت الرسل وأنزلت الكتب السماوية، لتبين وتوضح لهذا الإنسان ما يصلح به نفسه، ويجعله أهلاً للخلافة، واضعة أدق التشريعات من أجل الحفاظ على نفس ومال وكرامة هذا الإنسان.

والمجتمع اليمني مجتمع مسلم، فلم تكن نظرته إلى الفرد لتخالف ما دعا إليه الإسلام، إلا ما ظهر من تطبيقات عملية لدى بعض المذاهب الفكرية،فمثلاً الزيدية ترى أن الإمامة محصورة في البطنين،ولا يحق لغيرهم أن يدعيها لنفسه، ولو كان أهلاً لها[٥]،وفي ذلك انتقاص من حقوق الآخرين ومخالفة لما دعا إليه الإسلام.

و كان نظر الإسماعيلية إلى الإمامة أنها واجبة،فجعلتها من أصول الدين التي لا جدال فيها، وأن الأئمة معصومون، وكلامهم مقدس وطاعتهم واجبة، وفي ذلك ممارسة عملية للتمييز العنصري ضد الإنسان ، ومخالف للنظرة العامة للإسلام،التي تحترم الإنسان وتساوي بين كافة أفراده.

ب ـ نظرة الإسلام إلى الكون:

منطلق نظرة الإسلام إلى الكون أنه بكل ما فيه من سماوات وأرضين وكواكب ونجوم وما تحويه السماوات والأرض من أحياء وجماد، مخلوق من مخلوقات الله تعالى، فالكون لم يخلق نفسه ولم يوجد نتيجة تطورات أو تغيرات طبيعية فيه، وهو لم يوجد صدفة وإنما خلقه الله تعالى بقصد ولحكمة وهدف[٦].

١- سورة ص آية ٧٢.
٢- سورة الأعراف آية ١٨٩.
٣- سورة الحجرات آية ١٣.
٤- موسى بن يوسف، القرآن والفلسفة،ص ٢٢.
٥- عبد الله بن حمزة، العقد الثمين،ص٦٥.
٦- شوقي ضيف،دراسات في التربية الاسلامية، مرجع سابق،ص ١١٠.

والكون لم يخلق عبثاً، بل لهدف سام ، ومن أهم أهدافه أن يكون ميداناً للنشاط الإنساني، يستخدم فيه الإنسان طاقاته وإمكانياته، ويسخره لمنفعته، وهذه المنفعة ستؤول في النهاية إلى تحقيق عبادة الله وقيام شريعته في المجتمع البشري[1]، قال تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ، فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** }[2].

وكما أن فلسفة التربية الإسلامية المنبثقة من القرآن والسنة تنظر إلى الكون نظرة إيجابية، تتضح من خلال الخطاب القرآني والنبوي، فهي توجه الإنسان المميز بالعقل إلى أن يُعمِل النظر في هذا الكون، ويتأمل ظواهره وعناصره، ويدرس مركباته وأجزائه، ويكتشف أسراره، بقصد تعميق الإيمان بالله وإدراك عظمته، ومن ثم الانتفاع بما أودع الله في هذا الكون من خيرات لخدمة الإنسان، مع الإيمان أن ذلك العلم سيظل قاصراً عن الإحاطة بكل شيء، لأن العليم بكل شيء هو الخالق سبحانه وحده[3]،قال تعالى:{ **قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ، عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**}[4].

والعقيدة الإسلامية تقوم على مبدأ وحدانية الخالق: { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** }[5] فهو الخالق وما عداه من إنسان وكائنات وأكوان وجمادات مخلوقة له، وقد أخبر الإنسان أن هذا الكون خُلِقَ لخدمته،وفق نواميس كونية، وأرشده الله إلى أن يجعل من الكون وسيلة صالحة للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى آيات الكون كلها تخدم قضية الإيمان[6].

ومما يسهل انتفاع الإنسان بهذا الكون أنه يسير وفق قواعد ثابتة ومستمرة، وحوادثه مرتبطة ببعضها من السابق إلى اللاحق[7]، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون والإنسان والحياة في انسجام كامل.

فالكون صديق الإنسان إن هو عرف قوانينه عن طريق العلم والمعرفة، وفي عناصر الكون ما يتناسب مع استمرار الحياة، إن عرف الإنسان وتعلم كيف يكيف بيئته لتناسب هذه الحياة، فهنا ضداقة طبيعية كاملة إن عرف الإنسان قوانينها[8]، وهذا ما توصي به الآيات القرآنية،كقوله تعالى :{ **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ**

١- محمد عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص٢١.
٢- سورة الأنعام آيات، ٩٥-٩٦.
٣- محمد عثمان، المرجع السابق،ص ٢٣.
٤- سورة الجن الأيات من ٢٥-٢٨.
٥ – سورة الإخلاص أية ١.
٦ - عبد الرحمن النحلاوي،أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ،ص ٣٩-٤١.
٧- شوقي ضيف، سابق،ص ١١١.
٨- إسحاق فرحان وآخرون، المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة،ص ٦٦.

القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[١]، وقوله تعالى:{ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ، فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }[٢]، وقوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ }[٣]، وقوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ }[٤].

وقوله تعالى:{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ، أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ }[٥]، فمقتضى التصور الإسلامي هنا؛ تذكير الإنسان بعدم الغرور إذا ما اكتشف بعض الحقائق، وإنما ذلك بإرادة الله وحده.

ج ـ نظرة الإسلام إلى المعرفة:

ينظر الإسلام إلى المعرفة على أنها وسيلة أساسية للإنسان كي يقوم بمهام الاستخلاف الإلهي في الأرض ،والمتمثل في تسخير الطبيعة في خدمة الفرد والمجتمع في كل مجالات الحياة ؛وفق القوانين والتشريعات السماوية المنظمة لذلك ،وبحسب ما تتطلبه المصلحة دون إفراط أو تفريط .

والتصور الإسلامي لوحدة العلوم والمعرفة قائم على أساس فلسفي معلوم مشتق من القرآن والسنة، وفي هذا الإطار تصبح جميع العلوم الكونية والشرعية ميداناً لبناء المعرفة وطريقة للتفكير والبحث،فيخدم بعضها بعضاً،وبذلك يتم تطويع مختلف العلوم لتعزيز التربية الإيمانية التي جاء بهـــا الإسلام [٦] .

ومن أجل تحديد نظرة المجتمع اليمني في تلك الفترة، لابد من التأمل في نظرة الإسماعيلية كونها الفئة الحاكمة، ثم في نظرة بقية القيادات العلمية والتعليمية للمذاهب الأخرى.

نظرة الحاكم:

كانت نظرة الحاكم في ظاهرها لا تختلف كثيراً عن نظرة الإسلام العامة إلى المعرفة، وذلك يلاحظ من خلال الخطاب السياسي العام لجمهور الناس، كالحديث عن العدل والمساواة والحرية والدعوة إلى العلم والتعلم[٧].

١ ــ سورة يس آية ٣٧-٤٠.
٢- سورة المؤمنون آية ١٨-١٩.
٣ - سورة النور آية ٤٣.
٤- سورة الزمر آية ٢١.
٥- سورة الواقعة آية ٦٨-٧٤.
٦- إسحاق فرحان وآخرون، المنهج التربوي بين الأصالة والمعاصرة،ص١٢٦.
٧- إدريس الأنف،عيون الأخبار جـ٧،،ص ١٧.

لكن التطبيقات العملية للحكام الصليحيين ودعاتهم؛ توحي بأن هناك ظاهراً وباطناً للعلم والمعرفة، ومن هذا الباطن ما يحظى به الإمام من هالة تقديسية لدى أتباعه وأنه معصوم ولا يأتي العلم إلا عن طريقه، ومن خلال صرف بعض الأحكام الفقهية في القرآن والسنة إلى التأويل، وأن المعرفة خاصة بفئة محددة من البشر لا يحق لأحد أخذها إلا بشروط، كما حددها صاحب رسالة الدستور[١]؛ بشروط خَلقية وأخرى خُلُقية يستحيل معها أخذ العلم والمعرفة لعامة الناس وفق نظرة الإسلام إلى المعرفة؛وهذا يتنافى مع المبادئ الأساسية في فلسفة التربية الإسلامية القائمة على العدالة والمساواة والحرية وضمان تكافؤ الفرص لكل أبناء المجتمع في التعليم والمعرفة - وهذه الرسالة هي بمثابة صيغة العهد الذي يجب أخذه على المستجيب الراغب في تحصيل المعرفة من مصدرها الحقيقي وهو إمام العصر[٢].

كما أن المستجيب – المتعلم – الذي يريد طلب المعرفة، وتحققت فيه المواصفات، وأصبح مجداً في الطلب ،لا بد أن يكون كما قال صاحب الرسالة:" مطيعاً مستسلماً، ثم يغتسل ويتطيب من أجل صفاء خاطره وظاهره وباطنه من كل شبهة وريبة حتى يصير كأنه لوح ساذج يتقبل الصورة اليقينية والنفوس الإلهية مستسلماً لجماعة المؤمنين، ويعلم أنه داخلٌ إلى مذهب الحكماء الإلهيين ..."[٣].

وباستسلامه هذا بقي العقل مفرغاً من واجبه في التحليل والاستنباط وإبداء الرأي، والذي طالما أكد الإسماعيليون أنه مصدر الموجودات، وأي معرفة سيتلقى إذا لم تخضع لعملية عقلية تتفاعل مع إدراكه ووعيه؟ وفي ذلك استخدام للعقل في إلغاء العقل نفسه.

ورغم ذلك وجد اهتمام بالمعرفة في اليمن من قبل الحكام الصليحيين، يتضح ذلك من خلال النتاج الفكري لعلماء ودعاة الإسماعيلية، أمثال لمك بن مالك الحمادي ،وولده يحيى الذي سمي بفرّاص الكتب(كثير القراءة)، وذؤيب بن موسى الوادعي، وإبراهيم الحامدي وغيرهم،فكان نتاجهم هذا وفق المبادئ الإسماعيلية.

- **نظرة القيادات العلمية من المذاهب الأخرى:**

انطلق علماء ومعلمو اليمن في عملية العلم والتعلم وأخذ المعرفة من خلال نظرتهم إليها والتي استمدوها من خلال فهمهم لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فكانوا يمثلون القدوة العلمية لطلابهم في حثهم على طلب العلم ونشره، فوجدت الكثير من المؤلفات والمختصرات والشروح في أغلب العلوم، يستوي في ذلك كل من السنة والزيدية، ولعل التنوع المذهبي هو الذيّ أثر في التنافس العلمي.

١- رسالة الدستور هي رسالة خاصة بمواصفات من أراد الدخول في الدعوة الإسماعيلية، وصيغة العهد المطلوب منه كي يسمح له بأخذ المعرفة عن إمام عصره، وقد ذكرت فيها شروط خلقية وخُلقية[انظر: كتاب أربع رسائل إسماعيلية،ص ٥١].
٢- الطيبي، أربع رسائل إسماعيلية،ص ٥١.
٣- الطيبي، المصدر السابق،ص ٥٢.

لكن هذه المؤلفات والشروح تركزت في أغلبها على الجانب الشرعي و الأدبي والعقلي، بينما لم تحظ بقية العلوم الطبيعية والإنسانية بالاهتمام ذاته،الأمر الذي أوجد فجوة بينها وبين العلوم الشرعية في الناتج العلمي في تلك الفترة، وهذا بدوره يخالف إلى حد ما النظرة الإسلامية التي تدعو إلى التوازن وعدم الإفراط أو التفريط وفق ما تقتضيه مصلحة الفرد والمجتمع.

وخلاصة القول أن التصور الإسلامي للكون والإنسان والمعرفة في تلك الفترة كان أساسها القرآن والسنة المطهرة، فهما منطلق لكل علم وعمل مهما كان نوعه ومستواه وأهميته لدى المجتمع، لأن المجتمع اليمني مجتمع يحب الدين والتدين، ولم يكن ليسمح بأي ممارسات تخالف هذا التوجه.

والإسماعيلية وإن اختلفت في بعض نظراتها إلى الإنسان أو المعرفة باطناً عن النظرة العامة للمجتمع اليمني، إلا أن ظاهر ذلك كله ينطلق من المصدر نفسه (الكتاب والسنة)، وإنما الاختلاف في بعض التأويلات لبعض الآيات والأحاديث، فظل نظام التعليم لدى كل المذاهب قائماً على أساس الكتاب والسنة، والذي سيتضح من خلال الأهداف التعليمية والمؤسسات والمقررات الدراسية، وطرق وأساليب التعليم التي سعت كل الفئات إلى تحقيقها في تلك الفترة.

المبحث الثاني:الأهداف التعليمية:

تعد فلسفة المجتمع من المصادر الرئيسة لاشتقاق الأهداف التعليمية، فالأهداف التربوية عادةً ما تعكس أحوال المجتمع، وتعبر عن مدى اهتمام أفراده واتجاههم نحو قيمة من القيم، ونظرتهم إلى الخالق عز وجل، والإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة، ولكل مجتمع أهدافه الخاصة به والتي يرغب في الوصول إلى تحقيقها، وتتأثر تلك الأهداف في أي مجتمع بالواقع الذي يعيشه ذلك المجتمع، كما تتأثر بالفكر السائد فيه إلى حد كبير، وهي تتفاوت في أهميتها ومدى تغلب هدف على آخر بتفاوت الصراع والمواجهة الفكرية والمذهبية والطائفية الدينية وتعدد الجنسيات إن وجدت[١].

ومن المعلوم أن المجتمع الإسلامي الكبير يشترك في مجمل الأهداف العامة كالأهداف الدينية والأخلاقية والعلمية وغيرها، بينما يوجد الاختلاف في مدى اهتمام أي مجتمع من المجتمعات بهذه الأهداف وفي مرحلة من المراحل التاريخية، حيث يلاحظ ظهور هدف وتراجع آخر نظراً لطبيعة الفكر والنظام الذي يسيطر على ذلك المجتمع في ذلك الزمن.

أما عن الأهداف الأخرى والتي لقيت تركيزاً من الفرق الدينية وبدرجات مختلفة، كالاهتمام بالعلم الذي يمكن تسميته بالهدف العلمي – أو العقلي – أو الاجتماعي، والهدف السياسي والذي تمثل في نشر فكر ديني معين لتحقيق هدف سياسي محدد[٢].

ولما كان المجتمع اليمني في عصر الدولة الصليحية هو امتداداً للمجتمع اليمني المسلم، والذي تكون كغيره من المجتمعات الإسلامية وفق ما تمليه عليه العقيدة الإسلامية، وما انبثق عنها من

١ - علي النباهين،مرجع سابق،٩٩.
٢ - محمد العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي،ص ٩٣.

مفاهيم لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ؛ فإن أهدافه العامة لا تختلف كثيراً عن أهداف أي مجتمع مسلم، إلا أن المذهبية والقبلية كان لهما دور في تغليب هدف على آخر، ونظراً لأن الحاكم الأول لليمن يعتنق المذهب الإسماعيلي الفاطمي، فقد كان لهذا الأمر دور واضح في الاهتمام ببعض الأهداف على حساب الأهداف الأخرى، ومن خلال دراسة أهداف التعليم لتلك الفترة تبرز بعض الأهداف التي عكست واقع الفترة الممتدة بين عامي (٤٣٩- ٥٣٢هـ) وتمثلت بالتالي:

١- الهدف الديني:

يمكن تعريف مفهوم الهدف الديني بأنه: مجموعة المبادئ والقوانين التي تحكم الناس في أخلاقهم ومعاملاتهم، ولذا فإنه لا يقتصر على علاقة الإنسان بربه، بل يشمل أمور الحياة كلها، فيتناول علاقة الفرد مع الفرد ومع المجتمع بكل طوائفه[١] ليشمل علاقة المذاهب مع بعضها في كل مسائل الاتفاق والاختلاف ،بل حتى مع غير المسلمين عن طريق المعاملة التي حث عليها الدين الإسلامي.

وقد اتخذت التربية في عصر الصليحيين طابعاً دينياً روحياً يربط بين الدين والدنيا معاً، وكان الهدف الديني هو الأسمى، وأغلب المقررات ذات طابع ديني وشرعي بدرجة أولى، وما يؤكد ذلك اهتمام كل المذاهب الموجودة في الساحة اليمنية حينذاك بعلوم القرآن والحديث والفقه، وأن العمل للدين والدنيا كانا يلازمان العالم والطالب على حد سواء، فهذا الفقيه زيد اليفاعي تأتيه غلال أرضه من اليمن إلى مكة، وابن عبدويه المهروباني يبلغ عدد من يعملون لديه في التجارة أكثر من ثلاثمائة عامل، وتبلغ تجارته الصين وإفريقيا[٢].

وبوجود الإسماعيلية في اليمن كحاكم أساسي جعل كلاً من السنة والزيدية الشيعة يولون اهتماماً بالغاً بالمقررات الدراسية التي تهتم بالهدف الديني من أجل التصدي للمعتقدات والآراء الإسماعيلية المنحرفة في نظرهم، والعمل على توضيح المبادئ والقيم التي تمثل النظرة الإسلامية الحقيقية إلى الفرد والمجتمع والكون[٣].

ففي المناطق التي غلب عليها المذهب السني كزبيد وعدن والجند وأغلب المناطق الساحلية، كان تفقه أهلها على كتب الإمام الشافعي والإمام مالك وأبي حنيفة النعمان وغيرها، الأمر الذي أدى إلى كثرة الاختصارات والشروح على هذه المؤلفات[٤].

والأمر نفسه ينطبق على المناطق التي يوجد بها المذهب الزيدي، حيث كان تفقه أهلها على كتب الإمام الهادي في الفقه، ككتاب الأحكام والمنتخب ومجموع الإمام زيد بن علي(تـ/١٢٢هـ) وغيرها من كتب الفقه الزيدية[٥].

١- حسن عبد العال،مرجع سابق،ص ٦٤.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات، مصدر سابق،ص ١٢١، ١٤٤- ١٤٥.
٣ - محمد عسيري، مرجع سابق،ص ٣١٩.
٤ - عمر الجعدي، المصدر السابق،ص ١٠٣، ٢٤٩ ؛ محمد الجندي،السلوك،جـ١ص٢٢٤، ٢٢٩.
٥ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص ١٣٨.

وكذلك قام بالدور نفسه أتباع المذهب الإسماعيلي فأولوا اهتماماً ملحوظاً بالجانب الديني، فهذا علي بن محمد الصليحي يظل طيلة خمسة عشر عاماً دليلاً لحجاج اليمن إلى مكة المكرمة، ويعقد بيعته مع أتباعه في أكناف البيت العتيق، ويقضي نحبه وهو قاصد حج البيت أيضاً، كل هذا يدل دلالة واضحة على أهمية الهدف الديني وتعمقه في نفوس العامة والخاصة، والعمل من أجله إرضاءً لله وطلباً للأجر والثواب،بصرف النظر عن مدى الشرعية أو الانحراف في ذلك.

ولذا كانت العلوم التي تدرس للمتعلمين خلال مراحل التعليم المختلفة ذات طابع ديني[١]، وكان أغلب المعلمين هم علماء دين ،وأغلب الطلاب هم طلاب العلوم الدينية.

ومن خلال اطلاع الباحث على ما توفر من مصادر تاريخية وجد أن كل الأمراء والزعماء - وقبلهم العلماء وأولياء الأمور- يولون اهتماماً بالغاً في سبيل تنشئة وتربية أولادهم على المبادئ والقيم والأخلاق النبيلة والفاضلة، مستمدين ذلك من أخلاق ومبادئ الأنبياء والرسل والصالحين عبر التاريخ، يستوي في ذلك السنة والشيعة بكل طوائفها ومذاهبها، والدافع إلى ذلك هو الفهم الواضح والصريح لمبادئ وتعاليم الإسلام السمحة الواضحة والشاملة لكل مناحي الحياة، بغية نيل الثواب والأجر من الله تعالى[٢].

كما كان الهدف من مواصلة التعليم في المرحلة العليا دينياً خالصاً من أجل نيل الأجر والثواب من الله، حيث إن جمهرة حَمَلَة العلم من علماء وطلاب علم في تلك الفترة كانوا ينأون بأنفسهم عن مطامع الدنيا مقتدين في ذلك بعلماء السلف، فهذا الفقيه أبو بكر جعفر بن عبد الرحيم المحابي(ت/٤٦٠هـ) يرفض أن يأكل الطعام في قصر الوالي، كما رفض تولي منصب القضاء، والفقيه زيد اليفاعي يرفض صحبة الملوك ومجالسة الأمراء أو أخذ جوائزهم[٣]، كل ذلك زهداً وورعاً وإيثاراً لما في يد الله على ما في أيدي الحكام.

وما يؤكد أهمية الهدف الديني لدى هؤلاء العلماء والطلاب هو عميق اتصالهم بالله سبحانه وتعالى، حيث يظل الواحد منهم منذ بداية متابعته للعلم في المرحلة العليا حتى وفاته، وهو عامل بعلمه معلم لغيره، واقف حياته على ذلك، وكذا عظيم اتصالهم بالله تعالى بأفضل الطاعات والقربات من قراءة القرآن إلى قيام الليل وصوم النهار، أمثال الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني والفقيه زيد اليفاعي والمحدث زيد بن الحسن الفائشي[٤]، حيث كان ورد الواحد منهم سبع القرآن أثناء قيام الليل.

١- انظر فصل المقررات الدراسية ،ص ١٤٠-١٤٥،من هذه الدراسة.
٢- محمد الشوكاني، أدب الطلب،ص ١٥، ١٧.
٣- الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ٢،ص ٢٩٤- ٢٩٥، ٣٦١- ٣٦٢.
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٨٠، ١٨٩ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١، ص٢٦٧، ٢٨٦.

٢- الهدف الخلقي:

الدين والأخلاق بينهما صلة وثيقة تبلغ حد التوحد، وهما حقيقتان لا تنفصلان في الإسلام، كون الدين وسيلة تكوين الخُلق، والخُلق مستمد من الدين، فلا غنى لكل صاحب خُلق عن عقيدة تسمو على مطالب هذه الحياة الدنيا[١]، ولا غنى لكل صاحب دين وعقيدة من أخلاق تترجم معتقداته إلى أفعال، وصدق أحمد شوقي حين قال:

وإنَّمَا الأُمَمُ الأخْلاقُ مَا بَقِيتْ   فَإنْ هُمُ ذَهَبَت أخلاقهُم ذَهَبُوا[٢]

وإذا ما أريد تكوين الإنسان خُلقياً لكي يحقق أهداف وجوده؛ فلا بد أن يسبقه تكوينٌ نفسي وعقائدي وعقلي وجسدي تكون الأخلاق بمثابة الدعم والتقوية لهذه التكوينات[٣].

والدين الإسلامي جعل من أهدافه العامة تربية الإنسان على الأخلاق الفاضلة بأنواعها، وفق منهج قويم وحصيف يمكّن الإنسان من الرقي الأخلاقي والفكري والحضاري، ملبياً النزعة الفردية في تحقيق المصالح بما يخدم مصلحة المجتمع ولا يتعارض معها[٤].

كما يعد الهدف الخلقي من أهم الأهداف التعليمية لدى المسلمين في كل العصور ولدى كل الدويلات والمذاهب الإسلامية، ويقصد به تهذيب أخلاق الناشئة وتربية أرواحهم على الفضيلة، وتعويدهم على الآداب الإسلامية السامية التي تنظم سلوك حياتهم وتحدد علاقاتهم بغيرهم، بما يجعل الفرد عنصراً صالحاً في المجتمع المنشود[٥].

وفي المجتمع اليمني أثناء حكم الصليحيين كان للعلماء والفقهاء ورجال العلم دور كبير في غرس الأهداف الخُلقية في نفوس المتعلمين؛ وذلك من خلال حرصهم على تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية، واللذين يمثلان المصدر الأساسي لكل الأخلاق وفي كل المجالات، فكان المعلمون قدوة لطلابهم لما يتصفون به من الورع والزهد والصبر والأمانة والعفة والنزاهة، إضافة إلى ما يستقيه الطلاب من مفاهيم أثناء دراستهم وحفظهم لكتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ[٦]، تستوي في ذلك كل المذاهب والفرق الإسلامية الموجودة في اليمن في تلك الفترة.

وقد ساهمت المقررات الدراسية لدى كل الفرق والمذاهب إلى جانب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في غرس القيم الخُلقية في تلك الفترة في الجوانب المختلفة للأخلاق، وما يمكن قوله من خلال التطبيقات العملية للعلماء وطلاب العلم وكذلك الأمراء والسلاطين أن هناك اختلالاً عند الناس في تطبيقهم لبعض القيم الأخلاقية، وإن لم تسجل كتب التاريخ ذلك وتصرح به، إلا أنه يعد من خلال التطبيقات العملية اختلالاً في التربية الخُلقية؛إما لدى الأمراء والسلاطين في تعاملاتهم مع عامة الناس ،أو لدى العلماء والأتباع في تربيتهم المذهبية، ويمكن توضيح ذلك من خلال الآتي:

---

١ - أحمد الأهواني، التربية في الإسلام،ص ١٠٣.
٢- أحمد شوقي، الديوان،ص٨٥.
٣- علي محمود، التربية الإسلامية في المدرسة،ص ١٩٠.
٤- عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية وأساليبها،ص ١٠٢- ١٠٣.
٥ - علي البناهين، نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك،ص ٢٢٣.
٦- أحمد الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص،ص ١٧٩.

- التمييز والعنصرية في إسناد الوظائف: حيث تشير المصادر المتاحة لدى الباحث إلى أن علي بن محمد الصليحي أزاح كل زعماء اليمن وقرب أهل مذهبه وولاهم على اليمن[١]، وفي ذلك إخلال بمبدأ الأمانة في الولاية، إذ يجب تولية المنصب للأكفأ والأقدر والأنسب بغض النظر عن انتمائه المذهبي،و كان الأمر كذلك لدى بقية الدويلات التي حكمت خلال تلك الفترة.

- انتشار الدعاية والتكفير: حيث تشير المصادر التاريخية إلى أن بعض علماء وفقهاء اليمن كانوا يتحادثون مع بعضهم أن علي الصليحي ربما يعيد ما كان عليه علي بن الفضل من الإباحية والمخالفات، بل بلغ بهم الحد إلى تكفيره أحياناً، وعندما سمع بذلك أمر بتسمير أبواب المساجد في صنعاء[٢]، وجعله يعتقد هو ومن أتى بعده من الأمراء الصليحيين أن الفقهاء هم العدو الأول لدولته[٣]، وفي هذا إخلال بمبدأ أدب الخلاف واحترام أصحاب الآراء المخالفة، وفيه مخالفة لأخلاق الإسلام ونظرته العامة.

- سوء العلاقة بين الأمير والعلماء: ويلاحظ ذلك من خلال خوف علماء السنة والزيدية من القرب من الصليحي، وإذا حدث فيكون على حذر وخوف شديد، فهذا العلامة أبو بكر جعفر بن عبد الرحيم المحابي يتعرض للأذى والضرب المبرح على أيدي عمال الصليحي[٤]،وكذلك ا القاضي الزيدي تبع بن مسلم كان ممن عاصر الصليحي، وكان مشهوراً بالعلم وكان له هجرة بالبون[٥] في مشرق حاشد، فتعرض له ولأصحابه الصليحي وأخرب ديارهم ومراكز العلم في تلك الهجرة[٦] وغيرهم.

ولعل ذلك عائد إلى التبعية المذهبية لدى هؤلاء الفقهاء نحو حاكمهم وولي أمرهم، أو إلى ما يحمله هذا الحاكم من رؤى مخالفة لما عليه الفقهاء ويرى فيهم عدواً حقيقياً كما سبق.

وهذا بدوره مخالف لما عليه النظرة الإسلامية السمحة من أخلاق تأمر الراعي بالعدل في الحكم على رعيته، وتأمر الرعية بالسمع والطاعة للحاكم - في غير معصية - والنصح لولي الأمر من أجل التعاون في سبيل تحقيق مصلحة المجتمع .

- الاضطهاد وتقييد الحريات: من مقتضى التربية الأخلاقية إفساح المجال للحريات العامة لكافة الناس على اختلاف مذاهبهم، وما تذكره المصادر التي أتيح للباحث أن يطلع عليها؛ أن علي بن محمد الصليحي لما ملك اليمن مارس نوعاً من الكبت والاضطهاد، تمثل في إقصاء أمراء وزعماء اليمن حينذاك عن مناصبهم، وإرغامهم على الإقامة الجبرية بجواره في صنعاء، ورحيلهم معه أينما ارتحل في سلم أو حرب، ومما يدل على ذلك أنه عندما تعرض له سعيد بن

١- مُسْلم اللحجي،التاريخ، مصدر سابق،ص ١٧٤.
٢- يحيى بن الحسين، غاية الأماني،ص ٢٥٤.
٣ - الحسين الهمداني، الصليحيون،مصدر سابق، ص٣٢٥- ٣٢٦.
٤- محمد الجندي،السلوك، مصدر سابق،ج١، ص ٢٣٤.
٥- البون،منطقة غنية بزراعتها وتعدد منتجاتها الزراعية،شمال صنعاء،ذات البئر المعطلة والقصر المشيد[محمد الحجري ،مرجع سابق،ص١٣٠] من أعمال محافظة عمران،كان بها هجرة جوب .
٦ - أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ١ ،ص ١٦٩.

نجاح في المهجم وقتله لم يلتفت إليه أحد من الزعماء الذين كانوا في موكبه، بل وجدوا في ذلك فرصة سانحة للرجوع إلى بلدانهم وإعلان الاستقلال والتمرد على الملك المكرم أحمد[١].

ومن مظاهر الاضطهاد وكبت الحريات، الأذى الذي لحق بفقهاء السنة والزيدية في كل من صنعاء والجند، حتى جعل منهم العدو الأول لدولته[٢]، أمثال أبي بكر جعفر بن عبد الرحيم المحابي وإسحاق الصردفي،وأمثال القاضي تبع بن مسلم وتخريب هجرة سناع، وخروج الأمير النجاشي بن مغلفل الوهيبي من أشراف الزيدية، الذي خرج من اليمن مهاجراً إلى العراق بعد أن تمكن علي الصليحي من الحكم فرراً بدينه[٣].

ولكن في المقابل تذكر المصادر التاريخية أن هناك شخصية اتسمت بالعفو والتسامح مع أهل المذاهب الأخرى، وهو أسعد بن شهاب والي زبيد، فهو من أمراء وملوك الصليحيين الذين اتسموا بحسن السيرة والسلوك في الرعية، وفسح لأهل السنة في إظهار مذاهبهم[٤].

وفي عهد الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي حاولت القيام بالدور نفسه، فأوقفت أوقافاً في جبلة لتدريس الصحيحين البخاري ومسلم، إلا أن جبلة ظلت حكراً على الإسماعيلية ولم يرغب في الإقامة بها أحد من علماء السنة، ومن دخلها وأقام بها اتهم في سلامة معتقده من قبل غيره من العلماء، فهذا العلامة القاضي أبو بكر الجندي يسأله ابن منصور بن المفضل أن ينتقل إلى جبلة في دار ملكهِ وجبلة حينذاك كما يقول الجندي : لا يسكنها إلا الرافضة(الإسماعيلية) وأهل السنة قليل، فانتقل الشيخ فعاب عليه أهل السنة ذلك، ومن النصائح التي أرسلت إليه قول أبي الفتوح :

حَلَلتَ في ذي جبلة قاضياً فبئسها أرضاً وبئس القضا
تَـأُمّ بالطـائفـةِ الملـحِـدِيـنْ منْ بَعدَ أنْ كُنتَ إمَامَ الرضَا[٥]

ثم ما لبث إلا أياماً فاعتذر وخرج من جبلة نزولاً عند رغبة ناصحيه[٦]وكان الأولى بعلماء السنة مخالطتهم ومن ثم النصح لهم ومناقشتهم من أجل الوصول إلى الحق والصواب.

مما سبق يمكن القول بأن الهدف الخلقي قد بذلت من أجل تحقيقه جهودٌ كبيرة من قبل العلماء والفقهاء والمربين، وكل ذلك من أجل تربية الناشئين على قيم ومثل الإسلام العليا، سواءٌ داخل المؤسسات العلمية أو خارجها، وبما يتوافق مع الدين الإسلامي الحنيف، الأمر الذي ترك أثراً واضحاً لدى أولئك الطلاب، فتحلوا بالأخلاق الحميدة كالصدق والأمانة والزهد والحلم والعطف والتجرد وغيرها، ولا غرابة في ذلك؛ لأن هذه الصفات هي من صميم تعاليم القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

١- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص ٣٢٥- ٣٢٦.
٢- يحيى بن الحسين، الطبقات الصغرى،ص ٩٧.
٣ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، ج١ ،ص ٢٤٨.
٤- عبد الرحمن بن الديبع، قرة العيون،مصدر سابق ص٦٧٨.
٥ - من قصيدة تبلغ أكثر من عشرة أبيات كما ذكرها محمد الجندي في السلوك، جـ١ ،ص ٣٠٨.
٦ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٣٠٨.

وفـي مجـال التطبيقـات العمليـة وجـدَت بعـض الاخـتلالات، الأخلاقيـة مـن بعـض الأمـراء والسلاطين، وقد يكون ذلك عائداً إلى التربية والتنشئة المذهبية الضيقة أحياناً، أو لبعض المعتقدات الباطنية لدى الإسماعيلية خاصة، والتي كانت غريبة على المجتمع الإسلامي .

٣- الهدف العلمي:

يتضح الهدف العلمي من خلال الاهتمام بالعلم ونشره في أوساط الناس عامة، والعلم هدف لم يفارق مجتمعاً من المجتمعات الإسلامية عبر عصورها المتلاحقة، وإنما تختلف في مدى الاهتمام به من جيل إلى جيل ومن فئة إلى أخرى، وهذا الاهتمام يرجع إلى مكانة العلم في الإسلام فقد جعل الله العلم مفتاحاً لتحقيق الخلاص من عبودية البشر وتسلط الإنسان على الإنسان، ومحققاً للكرامة الإنسانية ومفتاحاً للنمو والارتقاء الاقتصادي[١].

وجُعل الإنسان المستخلف محور الفعل الحضاري ووسيلته وهدفه، قال تعالى:{ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** }[٢]، ليكون بهذا التعليم أهلاً للقيام بأعباء الاستخلاف في الأرض وعمارتها وامتلاك القدرة على تسخير الكون، قال تعالى:{ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ** }[٣]، وقال تعالى:{ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ** }[٤]، وقال تعالى:{ **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** }[٥].

فكان العلم والتعلم مفتاحاً لهذا الاستحقاق، ونظراً لأهميته نزل الروح الأمين جبريل عليه السلام على الأمين محمد ﷺ بأوامر الملك الجليل آمراً إياه بالقراءة والعلم فقال:{ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** }[٦].

ومن هذا المنطلق العقائدي الديني كان توجه المجتمع اليمني في عصر الدولة الصليحية نحو العلم وأهل العلم بمختلف فئاته وتكويناته المذهبية، فعملوا على طلب العلم ونشره والاستزادة منه كواجب يمليه عليهم قول المولى:{ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** }[٧]، وقول الرسول الأعظمﷺ: { طلب العلم فريضة على كل مسلم}[٨].

ومما يؤكد ذلك الاهتمام هو تعلق الطلاب والعلماء على حد سواء بالعلم أخذاً وعطاءً، حيث بذلوا في ذلك جهوداً جبارة من خلال رحلاتهم الداخلية بين القرى والهجر العلمية، ورحلاتهم الخارجية من أجل السماع وبذل الوقت والجهد الكبير في سبيل ذلك، متجشمين عناء ومخاطر السفر البعيد تاركين الأهل والمال[٩].

١- عمر عبيد حسنة، من تقديمه لكتاب الأمة بعنوان التعليم وإشكالية التنمية، الإصدار رقم ٩٨،ص ٥.
٢- سورة البقرة آية ٣١.
٣- سورة فاطر آية ٣٩.
٤- سورة الملك آية ٢٣.
٥ - سورة هود آية ٦١.
٦ - سورة العلق آية ١- ٤.
٧- سورة طه آية ١١٤.
٨- ابن ماجه، السنن،حديث رقم ٢٢٤، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم،جـ١ ،ص٨١.
٩ - محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ٣٤٦، ٤٠٩؛ عبد الرحمن الوصابي، تاريخ وصاب،ص ١٩٩.

وما يؤكد اهتمام الدولة الصليحية بالعلم وطلاب العلم، أن الملك علي بن محمد الصليحي أوفد مبعوثاً علمياً إلى مصر، هو القاضي لمك بن مالك الحمادي(تـ/ ٥١٥هـ) من أجل التدريب والتأهيل على أيدي العلماء الفاطميين، ونقل خبراتهم وعلومهم إلى اليمن، و ظل في تلك المهمة لمدة خمس سنوات أخذ خلالها لب العلم والتأويل الباطني، ثم عاد إلى اليمن محملاً بأكبر مكتبة علمية آنذاك، تحوي أنواع العلوم المختلفة[١]، والقاضي لمك بن مالك الحمادي هذا بدوره عمل على تأسيس مدرسة فكرية للدعوة الإسماعيلية في اليمن.

ومن خلال ما اطلع عليه الباحث من مصادر يتضح أن هذه المدرسة كان لها دوراً في نشر العلم في اليمن، إلا أنها كانت حكراً على أبناء الدعوة الإسماعيلية، لأن الهدف منها هو إعداد الدعاة فقط ، ومما تشير إليه المصادر أن لمك بن مالك الحمادي لم يسمح من حقائق علمه إلا بالشيء القليل للداعي المكرم والملكة الحرة أروى بنت أحمد[٢].

وفي الإطار نفسه جاء اهتمام الدولة بالعلم والعلماء، حيث أولى علي بن محمد الصليحي وبقية أمراء وسلاطين الدولة اهتماماً بالعلماء وطلاب العلم من الإسماعيليين، أكثر بكثير من الاهتمام بالعلماء وطلاب العلم من المذاهب الأخرى،ويؤخذ عليه أن اهتمامه ظل في دائرة الفكر الإسماعيلي، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

أ- الاهتمام بالعلماء الإسماعيليين:

شهد اليمن في فترة حكم الصليحيين انتعاشاً ونمواً كبيراً للدعوة الإسماعيلية، وكل ذلك يعود إلى ما تبذله الدولة من دعم ومساندة للدعاة وطلاب العلم، حيث تشير المصادر التاريخية إلى أنه ما بقي من جزيرة اليمن جزءٌ إلا وبه داع أو ممثل[٣].

وعمل علي بن محمد الصليحي على تقريب أبناء مذهبه وعلمائهم، فولاهم قلاع اليمن وحصونها، وأطلق لهم الصلاحيات في كل ما تحت أيديهم، وكل من ولأهم هم من الدعاة والعلماء، وفي ذلك دليل على اهتمامه بأهل العلم والعلماء من أهل مذهبه.

وفي عهد الملك المكرم أحمد بن علي: ظهر الاهتمام بالعلماء في أنه لم يكن ليقطع أمراً إلا بموافقة داعي البلاغ[٤] القاضي لمك بن مالك الحمادي راجعاً إليه في قوله وفعله، وكان إذا لقيه في الطريق ترجل المكرَّم عن جواده تواضعاً له، فكانا متعاضدين؛ هذا قائمٌ في العلم كالعَلَم، وذا قائمٌ بالملك والسيف [٥].

وفي عهد الملكة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحي(تـ/ ٥٣٢هـ)، لقي علماء ودعاة الإسماعيلية الحفاوة والاهتمام نفسه، فكان جميع السلاطين هم أنفسهم من الدعاة، كأمثال الداعي سبأ بن أحمد

١- إدريس الأنف، عيون الأخبار، جـ٧،ص ١٢٧- ١٣٠.
٢- إدريس الأنف، عيون الأخبار، جـ٧ ،ص١٣٠.
٣ - إدريس الأنف، عيون الأخبار، جـ٧، ص٩٨، ١١٤ ؛ مجهول، سيرة الملك المكرم أحمد، ص٨، ٢٥.
٤- بعد مقتل علي بن محمد الصليحي انقسمت رياسة الدعوة إلى قسمين، داعي البلاغ وكان من مهام لمك بن مالك وداعي السيف وكان من اختصاص الملك أحمد بن علي الصليحي[إدريس الأنف، المصدر السابق، جـ٧، ص١٣٠].
٥- إدريس الأنف، المصدر السابق، جـ٧، ص١٣٠- ١٣١.

الصليحي، والداعي المفضل بن أبي البركات، والداعي بن نجيب الدولة، ونفس المكانة السامية بقيت للقاضي لمك بن مالك الحمادي ثم الداعي يحيى بن لمك الحمادي(ت/٥٣٠هـ) والداعي الذؤيب الوادعي(ت/ ٥٣٦هـ) وغيرهم.

ومما يدل على عظيم دعمها واهتمامها بالعلم وأهله أنه عندما شعرت بضعف دولتها وخشيت على الدعوة من الضعف والضياع والإهمال عملت على فصلها عن الدولة، فجمعت أمراء وسلاطين اليمن - وكلهم دعاة - لتطلعهم على الأمر، وتقيم داعياً سرياً خلفاً ليحيى بن لمك الحمادي، فوقع الاختيار على الداعي ذؤيب بن موسى الوادعي[1].

مما سبق يتضح أن الدولة الصليحية ممثلة بدعاتها وأمرائها وسلاطينها الصليحيين واليامبين والزواحيين قد اهتمُّوا اهتماماً بالغاً بالعلم والعلماء، وذلك بتعليم أولادهم وأتباعهم أنواع العلوم المختلفة، واستقدام العلماء والمعلمين وكذا الكتب والمؤلفات من خارج اليمن.

وهذا يؤكد أن الدولة المركزية كان لها أثرٌ كبير في دعم هؤلاء العلماء والطلاب مادياً ومعنوياً، وذلك لما يدركه الحاكم من أهمية للعلم في سبيل تثبيت دعائم ملكه الذي يقوم على أكتاف هؤلاء العلماء والدعاة.

ب - التسامح المحدود مع وطلاب العلم من بقية المذاهب:

تشير المصادر التاريخية التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها إلى أن الاهتمام بالعلم والتعلم باعتباره هدفاً أساسياً لدى بقية المذاهب القائمة حينذاك في اليمن خلال فترة الدراسة، سنية ويمثلها المذهبان الشافعي والحنفي، وشيعية ويمثلها المذهب الزيدي؛ قد سار إلى الأمام في سبيل تحقيق هذا الهدف والذي يعد دينياً كما سبق الحديث.

ويتمثل دعم الدولة الصليحية لعلماء وطلاب العلم من أبناء هذه المذاهب في إفساح المجال أمام العلماء لتدريس أتباعهم وفق ما يرونه، كما حدث مع أسعد بن شهاب في زبيد[2].

كما تشير المصادر إلى أن علي بن محمد الصليحي اعتمد مبدأ التسامح - الشكلي - مع علماء المذاهب الأخرى، وأفسح لهم المجال في تدريس مذاهبهم، وقرب البعض منهم ليوليهم القضاء في مناطق نفوذهم، أمثال جعفر بن عبد الرحيم المحابي في الجند، والقاضي أبي بكر اليفاعي في جبلة، وابن أبي عقامة في زبيد[3]، ولعل هذا التقريب كان من أجل أن يلاطفهم ويرضي أهل بلادهم، وهذا كان شأنه في سياسة البلاد.

وقامت بالدور نفسه الملكة سيدة بنت أحمد، فأوقفت أوقافاً في ذي جبلة لتدريس الصحيحين، في إطار التسامح الذي قدمته الدولة المركزية لأصحاب المذاهب الأخرى.

١- مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٣٩٥- ٢٩٦، ٦٠٥- ٦٠٦.
٢ - عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ٦٤ ؛ عبد الرحمن بن الديبع، قرة العيون،مصدر سابق،ص٢٢.
٣- محمد الجندي، السلوك، جـ١، ص٢٣٤، ٣٠٨.

ولم يقف الاهتمام بالعلم والتعليم عند هذا الحد من التسامح مع بقية المذاهب، بل تعداه إلى قيام العلماء وأولياء أمور الطلاب والتجار بدور لا يقل أهمية عن الدور الذي قامت به الدولة في سبيل دعمها لأبناء الطائفة الإسماعيلية.

فهذا الفقيه الكبير زيد اليفاعي يتولى التعليم في الجند، وكذا الإنفاق على كل طلاب العلم المقيمين لديه من أنحاء متفرقة من بلاد اليمن، حيث تبلغ تجارته وغلال أمواله الكثير من الأموال فينفقها على أهل العلم من مدرسين و طلاب [١].

وفي زبيد ثم في جزيرة كمران يقوم الشيخ ابن عبدويه المهروباني بإنشاء مركز علمي نال من الشهرة ما جعل الجزيرة مقصداً للعلماء وطلاب العلم، وكان يتولى الإنفاق على طلاب العلم من أمواله المحصلة من تجارته ومما يوهب له من التجار من أجل النفقة على أهل العلم[٢].

وقام بالدور نفسه أولياء أمور الطلاب الميسورون، فأوقفوا من أموالهم ما يساعد العلماء والطلاب على أداء رسالتهم العلمية، من خلال ما يقومون به من بناء للمساجد والكتاتيب[٣].

وعلى المسار نفسه قام علماء وفقهاء الزيدية بنشر العلم والتعليم في أوساط المجتمع، فأنشئوا الهجر العلمية التي قامت بدورها في سبيل دعم وتحقيق الهدف العلمي، كهجرة سناع وهجرة وقش وهجرة حيط عمران وغيرها، معتمدين في ذلك على الهبات والأوقاف وما يتحصل لديهم من الزكاة، حيث لم يسجل التاريخ أي دعم موجه لهذا المذهب من قبل الدولة الصليحية، ولعل ذلك عائد إلى العداء المسيطر على طبيعة العلاقة بينهما طيلة فترة حكم الصليحيين.

وكان للخلافات الفكرية والسياسية دورها البارز في كثرة المؤلفات والشروح والمختصرات لدى كل المذاهب والفرق خلال تلك الفترة[٤].

مما سبق يتضح دور العامل الديني والسياسي في عدم حيادية التمويل المركزي والتوجه العام لكل فئات الشعب نحو العلم، وتغلب فئة على أخرى، الأمر الذي ترك أثراً سلبياً على انتشار العلم في اليمن في تلك الفترة بين عامة الناس، كما تمثل دور العامل الاقتصادي في تحدي هذا الوضع وكسر حاجز المذهبية، حيث تمكنت المدن والقرى الساحلية من القيام بدورها العلمي والثقافي من خلال اتصالها بالعالم الخارجي واحتكاكها بالثقافات الإسلامية الأخرى، أمثال زبيد والجند وعدن وغيرها.

٤- الهدف العقلي:

القصد من الهدف العقلي هو تنمية التفكير الصحيح لدى الناشئة وتربيتهم تربية سليمة، مبنية على التأمل والنظر وإعمال الفكر[٥].

١- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٢٦٢ ؛ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١١٨- ١٢٤.
٢- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٤٤- ١٤٥، ١٤٩ ، محمد الجندي،السلوك، مصدر سابق، جـ١ ،ص ٢٧٩- ٢٨٠.
٣ - إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية،ص ١٧.
٤- انضر فصل المقررات الدراسية،ص،١٤٠- ١٤٥.
٥- محمد العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي،ص٣٤.

والدين الإسلامي يدعو إلى تربية الفرد تربية عقلية واسعة وشاملة، ويهتم به على أساس أنه اللبنة الأولى في بناء المجتمع المنشود، يخاطب عقل الإنسان ويعطيه الحرية في التفكير في كل شيء إلا في الغيبيات التي ليست مجالاً للعقل، فلا قدرة للعقل على الخوض فيها، فإن خاض فيها تاه وضل وأضل، ومن المجالات التي دعت التربية الإسلامية إلى النظر والتأمل فيها الكون بكل ما أودع فيه الخالق من نعم وما أتقن من خلق، قال تعالى:{ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** }[1]، ودلل على قدرته وحده على الخلق والإعادة وأنه وحده يرزق خلقه فقال تعالى: {**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** }[2].

ومن هذا المنطلق فإن العقل في نظر الإسلام هو أداة للتفكير والفهم، وهو المعيار للحكم والتمييز في كل القضايا المتاح للعقل النظر فيها، في إطار القيم الإسلامية الضابطة لمنطق وحركة العقل وتصرفاته، وقد أعلى القرآن الكريم من شأن من يستخدم هذه القوى وفق هذه المعايير، كما حقَّر من شأن من عطّلها، فوصفهم بالصم البكم والعمي، وجعلهم في منزلة الأنعام بل أدنى منها، ودعا الناس إلى تمحيص الحقيقة والتجرد لها، وعدم التأثر بمقررات لا برهان عليها، حتى لا تستهويهم المبادئ الزائفة[3]، قال تعالى:{ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** }[4]، وقال تعالى:{ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** }[5].

ومن خلال النظر إلى المقررات الدراسية في اليمن في الفترة موضوع الدراسة، يمكن القول بأن هناك تبايناً بين مختلف الفرق المذهبية حينذاك، فبعض المقررات تشير إلى التوحد في بعض جوانب التفكير والبعض الآخر يشير إلى الاختلاف.

فبالنسبة إلى العلوم الدينية والتي تركز على الحفظ لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ واستيعاب معانيهما الظاهرة، والتي تستهدف تقوية الذاكرة والتذكر والتحليل وإدراك العلاقات من خلال ربطها ببعضها وبالواقع العام؛ تكاد تكون شبه متفق عليها بين كل المذاهب السنية والشيعية، ككتب الحديث والفقه والمواريث، وهذه الكتب هي أقرب إلى ما عليه نظرة الإسلام إلى العقل.

ومن الكتب والمقررات التي أعطت العقل مساحة أوسع كتاب التفسير للزمخشري الذي فسر القرآن بالرأي وتوسع في دعم أصول الاعتزال، حيث سلك فيه طريق التأويل للآيات المتشابهة في ضوء معتقده الاعتزالي، ومصدره في ذلك هو العقل، وكتاب التفسير للحاكم

١- سورة آل عمران آية ١٩٠.
٢- سورة النمل آية ٦٤.
٣ - شوقي ضيف، التربية الإسلامية،ص ١٦٨- ١٦٩.
٤ - سورة الأنفال آية ٢٢.
٥ - سورة الإسراء آية ٣٦.

الجشمي (ت/٤٩٤هـ) والمسمى بالتهذيب، وهو مثل سابقه يعطي العقل مساحة أوسع وفق معتقدات الاعتزال[١].

ومن خلال النظر إلى مقررات علم الكلام عند الزيدية وانقسامهم إلى مطرفية ومخترعة، واستعانة المخترعة بعلماء العراق، يلاحظ أنه وجدت مساحة أكبر في توسيع نشاط العقل، والدعوة إلى التفلسف والجدل، كالدعوة إلى الإيمان بسلطان العقل[٢].

ومن اجل الدفاع عن أحقية العلويين(الفاطميين) في الإمامة والخلافة أولت الزيدية أهمية خاصة بعلمي الكلام والمنطق ،كي يثبتوا ذلك الاعتقاد لدى عامة الناس.

أما المذهب الإسماعيلي فقد غلب على آراء وأفكار وعقائد ومبادئ أتباعه الجدل والمنطق وخلط الفلسفة بالدين، لأن مؤسسيه أخذوا أفكاره من الأفلاطونية الحديثة ومن كلام المانوية، فأنشئوا نظاماً خاصاً يتفق مع آرائهم في التوحيد والأسماء والصفات والإبداع والخلق والكون والنبوة والإمامة والقيامة والبعث، فجعلوا كل ذلك للعقل الذي وصفه الفلاسفة بأنه المبدع الأول[٣] وكل ذلك من أجل إثبات الإمامة ، ولعل ذلك هو الذي أثار حفيظة عامة الناس ضد الإسماعيلية الباطنية، فرأوا فيها كفراً بواحاً.

ومن التطبيقات العملية لهذا المنهج العقلي الخاص بأصحاب الدعوة الإسماعيلية الذين تم أخذ العهد والبيعة منهم – علم الباطن – أو ما يسمى " بالحكمة " والذي كان يتم في مجالس يحضرها المعتقِد الجديد إما منفرداً كما في كتاب عالم وغلام أو مع آخرين، ولم ينتظم في ذلك سوى المؤمن (المستجيب) فقط، ولا يسمح لغيره بحضورها، ومن أجل السيطرة على سريتها كان يتم عقدها في قصر الإمام أو في مكان مخصص لهذا الغرض في أي جزيرة من الجزر الدعوية[٤].

وما يظهر من تصرفات الدعاة أو الوزراء أمام الأئمة الإسماعيليين يؤكد أن هالة كبيرة من التقديس تمارس في بلاطهم، الأمر الذي يوحي أن العقل هنا شبه غائب،أو أنه معطل عن وظائفه.

فهذا الإمام أو الخليفة الفاطمي حينما يأتي لصلاة الجمعة يتم تقبيل الأرض التي يمشي عليها، خاصة عند صعوده المنبر من قبل كل من قاضي القضاة ومتولي بيت المال ومسئول الوزارة، فيقبلون يديه ورجليه وعامة الناس ينظرون[٥].

وفي كتاب عالم وغلام ـ الذي يثبت من دون شك أهمية التربية الفردية ـ ذكر أن الغلام حينما بلغ الفهم الواضح للعلم الباطن على يد العالم خرّ له ساجداً[٦]، فأي قيمة للعقل يمكن الحديث عنها بعد هذا السجود؟، ومن ذلك قضية العصمة والتقية ،واللتين يتم معهما إلغاء العقل تماماً،وفي هذا ما يناقض الدعوة إلى تقديس العقل واعتباره المبدع الأول.

١- محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص ١٢١- ١٢٢.
٢- محمد الدجيلي،المرجع السابق،ص ١٩١.
٣- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص ٢٤٤، ٢٥٠ ؛ يوسف حوالة،مرجع سابق جـ٢،ص ٧٢- ٧٣.
٤- أيمن سيد، الدولة الفاطمية في مصر ،مرجع سابق،ص ٥٧٤- ٥٧٥.
٥ - أيمن سيد ،المرجع نفسه، ص ٤٣٥، ٤٣٨.
٦ - جعفر بن منصور اليمن ،أربع رسائل حقانية ص.٣٤

ومن أجل الوقوف أمام المذاهب الأخرى والدفاع عن مبادئها أولت المذاهب السنية عناية ملحوظة بالعلوم العقلية ـ رغم تباين أراء بعض علماء السنة حول ذلك ـ إلا أن معظمهم رأى أن الأخذ بها وتعلمها وتعليمها أمر لابد منه، من أجل مواجهة خصومهم والدفاع عن آرائهم ،تجلى ذلك في مقرراتهم الدراسية[١].

٥ـ الهدف السياسي:

من المعلوم أن التربية والتنشئة تساهم إلى حد كبير في نشر الوعي السياسي، وبلورة الفكر الاجتماعي وتلقيح أذهان الناس أمام المصالح العامة ومراقبة الحاكم في تحقيقها، ومن الطبيعي أن هذا الوعي لا يتم في مجتمع إلا إذا ازدهرت حياته الفكرية والعلمية، أما إذا شاع الجهل فإن هذا المفهوم للوعي لا بد وأن يتلاشى وتحل محله الأفكار والآراء الهدامة[٢].

وتربية الفرد من أجل القيام بدوره في المجتمع عضواً فاعلاً وسياسياً مؤثراً وبناءً يعرف علاقته بالحاكم؟ وكيف يتعاون مع المنظمات والهيئات السياسية ؟ وكيف يحترم حقوق الآخرين؟ ويطالب بحقوقه في إطار الشرع؟وكيف يقبل الآخر؟ويختار ما يتناسب وطبيعته وقدراته؟ أمر لابد من القيام به ،و لا يتم ذلك إلا من خلال التربية الواسعة والشاملة والعميقة [٣].

والدين الإسلامي قد اهتم بتنشئة الفرد سياسياً بما يجعله صالحاً محققاً لأهداف الجماعة التي بها يتكون المجتمع المسلم، وبما يجعله قائماً بسياسة الدنيا وحراسة الدين.

والمجتمع اليمني في عصر الدولة الصليحية كان مجتمعاً تتنازعه الصراعات المذهبية والزعامات القبلية الراغبة في الاستقلال عن الدولة المركزية، و كان النظام التعليمي للدولة الحاكمة قائماً على أساس مذهبي من أجل تثبيت دعائم الدولة الصليحية، ومن ثم الولاء للدولة الفاطمية؛ كل ذلك جعل من المذاهب الأخرى والزعامات المحلية تتبنى خطاباً سياسياً مناهضاً للفكر الإسماعيلي.

تمثل الهدف السياسي لدى الإسماعيلية في استخدام التعليم من أجل تثبيت أمر الخلافة والولاء للدولة الفاطمية في مصر،ولذلك أوفد العديد من الطلاب إلى مصر ووصل إلى اليمن عدد من الدعاة للغرض نفسه، مثل الداعي هبة الله الشيرازي والداعي ابن نجيب الدولة [٤]،ووردت عددٌ من السجلات الفاطمية التي تؤكد عمق الولاء السياسي وتربي اليمنيين على ذلك من خلال الأمر بقراءتها من على المنابر والمحافل العامة[٥].

وقد كانت الدولة النجاحية هي من يمثل أهل السنة في تلك الفترة،فكان العمل على تثبيت الولاء لها والدعوة إلى نصرة حكامها في جميع مؤسسات وأماكن التعليم السنية ـ في زبيد وما جاورهاـ،ولذلك أنفقوا على هذه المؤسسات أموالا كثيرة ونالت الرعاية التامة من قبل بني نجاح [٦]

---

١ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ،ص،١٦١.
٢ـ محمد العمايرة،الفكر التربوي،مرجع سابق،ص ٣٥- ٣٦.
٣ـ على القانمي،أسس التربية ،مرجع سابق مرجع ،ص١٥٣.
٤ـ إدريس الأنف،العيون،مصدر سابق ،جـ٧ص،٣٦،٣٤،٢٥٠.
٥ـ الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص٣٠١-٣٣٠.
٦ ـ عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص١٢٧،١٢٦.

فكان هذا الدعم هو من أجل تثبيت أمر الدولة النجاحية، حيث تشير المصادر أن إجمالي ما مدح به الوزير من الله الفاتكي من الشعر بلغ مجلدات [١].

فإلى زبيد رحل عدد من العلماء وطلاب العلم ،من داخل اليمن وخارجه، أمثال بن عبدويه المهروباني والحسن بن أبي عقامة وغيرهما ،حتى أن مسجد الأشاعرة أصبح في عهدهم مركزاً علمياً تدار فيه المناظرات ويرغب للجلوس فيه الكثير من العلماء وطلاب العلم[٢]،فتمثل الهدف السياسي في استخدام العلم من أجل المساعدة على تثبيت حكم هذه الدولة من قبل علماء وشعراء اليمن في تلك الفترة.

وكما كان الهدف السياسي من التعليم لدى الإسماعيلية هو الدفاع عن معتقدات الدولة الصليحية ؛ فقد كانت الزيدية تعمل جاهدة عبر مؤسساتها العلمية من أجل تثبيت حق العلويين من البطنين في ولاية أمور المسلمين،فلقيت مؤلفات الإمام زيد والإمام الهادي إقبالا كبيراً لدى طلاب العلم في كل الهجر العلمية[٣].

فيتضح الهدف السياسي من خلال ما تمارسه الفرق المذهبية من دعاية وإعلان لمذاهبها عبر مقرراتها الدراسية، ففي المناطق التي يسيطر عليها الشيعة الزيدية كان يتم تدريس الفقه الزيدي وعلم الكلام، وفي المناطق الساحلية كزبيد وعدن وما جاورها من مناطق النفوذ السني كان يتم تدريس الفقه الشافعي والحنفي[٤].

ولما كانت الدولة الصليحية قد فقدت أجزاء كبيرة من اليمن واستقلت عنها بعض المخاليف كزبيد وصعدة وعدن؛ فإن ذلك قد ساعد إلى حد كبير في رواج الدعاية المذهبية ضد الدولة المركزية، الأمر الذي أدى إلى كثرة الردود والمؤلفات وشحذ الفكر في حركة التأليف وكثرة الشروح والمختصرات، ومحاصرة الفكر الإسماعيلي في مناطق نفوذه في جبلة وحراز وصنعاء وما جاورها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن وجود الإسماعيليين في اليمن وفي مناطق محددة، تعد حواضر لدولتهم في جبلة وصنعاء وحراز، قد أدى إلى تركيز اهتمامهم بهذه المناطق، وأما الزيدية والشافعية، فقاموا بأعمال شبه وقائية من أجل محاصرة الفكر الإسماعيلي في المناطق الرئيسة لهذا الفكر والمناطق المجاورة لها، وذلك بدفاعهم عن المناطق التي كانت بعيدة عن الإسماعيلية من حيث الفكر أو من حيث الحكم ، فكان له أثر في انتعاش المدن والقرى العلمية المجاورة لمناطق الإسماعيلية والخارجة عن سيطرتهم.

١ـ عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص١٢٧،١٢٦.
٢ـ محمد الجندي ، السلوك،مصدر سابق جـ١ ، ص٤٠٩
٣- محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص ٢١٢،١٢٧.
٤- إسماعيل الأكوع، الهجر،جـ١،ص ١٩، ٢٤، ٣١.

أما ما يتعلق بالمناطق المجاورة لمدينة جبلة التي اشتهرت بالعلم والتعليم وكثرة الطلاب فقد برزت كلٌ من قرية الظرافة[١] وسهفنة[٢] وذي أشرق والذنبتين وزبران وذي سفال[٣] مكونة خط دفاع فكري [٤].

لقد أصبحت هذه القرى مقصداً للعلماء والطلاب على حد سواء طيلة فترة حكم الصليحيين وتواجدهم في جبلة، وأصبحت جبلة مقراً لعلماء الإسماعيلية فقط ،ومن دخلها من الشافعية يعاب عليه ذلك ويتهم في معتقده.

لقد قامت بالدور نفسه الهجر العلمية المحيطة بصنعاء وحراز وشهدت انتعاشا فكرياً وعلمياً، كهجرة حيط عمران ـ ذيبين ـ والتي تم تأسيسها على أساس مواجهة الصليحيين فكرياً وسياسياً[٥]، وهجرة قاعة وهجرة سناع وهجرة وقش البون ، وكل هذه الهجر على مقربة من صنعاء، ويرعاها عدد من العلماء ويأتي إليها العديد من الطلاب، وقد شهدت حراكاً علمياً سواءٌ بين الزيدية أنفسهم – مخترعة ومطرفية – أو بينهم وبين الإسماعيلية.

والذي يمكن ملاحظته أن خوف عامة الناس من معتقدات الإسماعيلية التي يعتنقها علي الصليحي ودعاته، جعل علماء هذه المناطق يتوجهون إلى المناطق الأكثر أمناً والمجاورة لمراكز النفوذ الصليحي، وقاموا من خلالها بحملة علمية سياسية كبيرة، ولعل ذلك من الأسباب التي أدت إلى تراجع دور مساجد صنعاء العلمي في تلك الفترة كما تذكره مصادر التاريخ[٦].

وخلاصة القول أن الهدف السياسي للتعليم في تلك الفترة قد تمثل في توجيه التعليم لتحقيق أهداف ومبادئ فكرية وسياسية ومذهبية، و ليس تحقيق الهدف السياسي المنشود وفق رؤية الإسلام السياسية التي تدعو إلى التسامح بين المذاهب وأهل الآراء المختلفة، وليس تعميق الصراع المذهبي والطائفي في المجتمع اليمني.

٦ـ الهدف الاجتماعي:

إنشاء المجتمع المتميز هدف أساسي لدى المدارس الفكرية القديمة والحديثة وكل الأنظمة السياسية الحاكمة، فكل المنظرين والفلاسفة يدعون عبر التاريخ إلى إقامة المجتمع المثالي الراقي والآمن والمتماسك، ولكلٍ توفير وسائله وأساليبه في سبيل تحقيق ذلك.

والإسلام باعتباره ديناً سماوياً وضح معالم هذا المجتمع المثالي وأسَّسَ قواعده، وجعل الفرد أول لبنة في بناء هذا المجتمع، وعلى عاتقه تقع مهمة بناء وخدمة هذا المجتمع، فقدم مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد، وجعل من مهام المجتمع الحفاظ على الأفراد وإشباع غرائزهم ورغباتهم ،وتحقيق مصالحهم وفق الضوابط والقوانين الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة.

١ـ الظرافة، قرية بجوار ذي أشرق في مديرية السياني جنوب إب [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان جـ ١ ، ص ٩٧٢-٩٧٣

٢ـ سهفنة ، إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم وتقع قبلي الجند على ثلث مرحلة منها [محمد الجندي، السلوك،ج١ ،ص ٢٢٩، ٢٣٤].

٣ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ١٨١، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٤٢، ٣٣١، ٣٣٢.

٤ - أنظر التعريف بهذه القرى والهجر العلمية ودورها العلمي في فصل المؤسسات العلمية من هذه الدراسة .

٥ - يراجع طبقات الزيدية الكبرى،جـ٢،ص ٧٣٦، ٧٣٧.

٦ - أحمد الرازي،تاريخ صنعاء ،ص،١٣ .

ولكي يندمج هذا الفرد في مجتمعه ويعمل على تحقيق مصالحه لا بد من تحقيق مبادئ العدالة والمساواة الاجتماعية في هذا المجتمع في الحقوق والواجبات في كل مجالات الحياة، لأنه في مقدور السياسة الاجتماعية العامة أن تؤثر بوضوح فيما تحدثه أي درجة من عدم المساواة[١] من اختلال في بناء ونهضة المجتمع.

وفي المجتمع اليمني في تلك الفترة كان للعلم والعلماء والمتعلمين مكانة رفيعة في نفوس كل اليمنيين، ولهذا حرص الكثير منهم على طلب العلم رغم المشاق التي كانوا يعانونها أو يتعرضون لها في سبيل ذلك، سواء بتحمل مشاق و مخاطر السفر، أو تحمل الفاقة بسبب الفقر وقلة ذات اليد، ومما زاد في تشجيعهم في الإقبال على التعليم ؛توفر المزايا المادية والمعنوية والاجتماعية التي كان يتمتع بها طلاب العلم، إضافة إلى المكانة عند الله عز وجل[٢].

ونظراً لما تمتع به العلماء من مكانة اجتماعية فقد كان لهم دور فاعل في الدفاع عن قضايا المجتمع، خاصة عندما تكون علاقاتهم بالسلطان متميزة، كما حدث مع بعض فقهاء الشافعية والصليحيين وبني نجاح وبني زريع[٣].

وكان للعلماء دور في خدمة المجتمع من خلال جهودهم الفردية في تعليم وتربية أفراده على القيم والمبادئ الإسلامية التي تنظم حياتهم مع بعضهم ومع مجتمعهم أفرادا وجماعات،فكان يتم ذلك دون أجر أو ثواب مادي في أغلب الأحيان، بل إن بعض العلماء كان ينفق على طلاب العلم كما حصل مع ابن عبدويه المهروباني في زبيد وكمران، ومع زيد اليفاعي في الجند، حيث أنفقا أموالاً كثيرة خدمة للعلم و للمجتمع [٤].

وقد ساهمت مؤسسات وأماكن التعليم في خدمة المجتمع اليمني خلال تلك الفترة ،وذلك بارتباطها بالمجتمع،فعملت على توفير ما يحتاجه من حرفيين ومهنيين في مجال صناعة الملابس والحبر وأدوات الزراعة والأسلحة والسفن، وبعض الأدوات المنزلية والصناعات الجلدية[٥]وغيرها من متطلبات الحياة.

وكان اليمن يرتبط بعلاقة حسنة مع العالم الخارجي ،حيث ارتبط الصليحيون بالدولة الفاطمية في مصر،وارتبط النجاحيون بالدولة العباسية [٦]،فساهمت تلك العلاقات في تحقيق الهدف الاجتماعي من خلال الانفتاح على بقية دول العالم الإسلامي ومن ثم تبادل الخبرات والعادات الاجتماعية.

١- جون هيلز، الاستبعاد الاجتماعي، من كلام المترجم / محمد الجوهري،ص ٧.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٤٥٤.
٣ - عمارة /كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ٦٢، ٦٣، ١٢٠، ١٢١.
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٦، ١٤٧، ١٢١، ١٢٠.
٥- داوود المندعي،تاريخ اليمن الاقتصادي،٢٥٧-٢٦٥.
٦- عمارة /كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ٦٣، ١٢٣،١٢٢ .

الخلاصــــــة:

إن الأهداف الدينية والسياسة كانت أهم أهداف التعليم في تلك الفترة، نظراً لحدة الصراع المذهبي والسياسي بين الدويلات التي حكمت اليمن في ذلك العصر.

وإن تلك الأنظمة لم تحقق الهدف السياسي المنشود وفق رؤية الإسلام السياسية التي تدعو إلى التسامح بين المذاهب وأهل الآراء المختلفة، بل عمقت الصراع المذهبي والطائفي في المجتمع اليمني.

وكان للعامل السياسي أثره الواضح في إيجاد التنافس المذهبي الذي أحدث حراكاً علمياً ونتاجاً فكرياً في تلك الفترة.

كما يتضح دور العامل المذهبي والسياسي في عدم حيادية التمويل المركزي والتوجيه العام لكل فئات الشعب نحو العلم، وتغلب فئة على أخرى، الأمر الذي ترك أثراً سلبياً على انتشار العلم في اليمن في تلك الفترة بين عامة الناس، كما تمثل دور العامل الاقتصادي في تحدي هذا الوضع وكسر حاجز المذهبية، حيث تمكنت المدن والقرى الساحلية من القيام بدورها العلمي والثقافي من خلال اتصالها بالعالم الخارجي واحتكاكها بالثقافات الإسلامية الأخرى، أمثال زبيد والجند وعدن وغيرها.

الفصل الثالث

المقررات الدراسية

المبحث الأول: المقررات الدراسية في مرحلة التعليم الأولى.

المبحث الثاني: المقررات الدراسية في المرحلة العليا.

١. العلوم الدينية.

أ)القرآن الكريم وعلومه.

ب)علوم الحديث والسيرة النبوية.

ج)علم الفقه وأصوله.

٢. اللغة العربية.

أ)علم النحو.

ب)علم الأدب و الشعر.

٣. العلوم الأخرى.

أ)علم التاريخ.

ب)علم الكلام والمنطق الفلسفة.

ج)علم الطب والبيطرة.

د) علم الهندسة

هـ)علم الفلك.

و)علم الجبر والحساب والمساحة .

تمهيد

تعد المقررات الدراسية روح العملية التربوية، وقلب المؤسسة التعليمية، وهي ليست محصورة في المقررات الدراسية التي تدرس نظرياً في مؤسسات التعليم فحسب، بل هي كل الخبرات التي يكتسبها الطالب خلال الأنشطة المتنوعة التي يمارسها مع معلمه في المدرسة أو الغرفة الصفية أو المكتبة أو المعمل أو الورشة أو أي اتصالات غير رسمية بين الطالب ومعلمه[١]، أي أن المقررات الدراسية هي الحياة العملية والنظرية مع المعلم في كل وقت وحين.

ولما تمثله المقررات الدراسية من أهمية بالغة في مختلف بلاد العالم منذ القدم، فقد شهد التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية تنوعاً في تلك المقررات، وبحسب طبيعة المؤسسات التعليمية وميولها المذهبي، إلا فيما يخص العلوم الدينية فإنها شهدت اهتماماً كبيراً من كل القوى والمذاهب الفكرية في تلك الفترة، تحقيقاً لأهداف المجتمع المتدين بطبعه[٢].

وعليه فإن أسمى ما كانت تهدف إليه التربية في ذلك الوقت هو معرفة الشريعة الإسلامية وأحكامها التعبدية، فتبوأت العلوم الدينية المرتبة الأولى لدى كل المؤسسات التعليمية،ولأنها العلوم المساعدة لفهم بقة العلوم [٣].

وتبوأت اللغة العربية وعلومها من نحو وأدب وشعر المرتبة الثانية في ذلك الوقت، لأن العرب كانوا أحرص الناس على تلقين أولادهم وتعليمهم الفصاحة والبيان، كون العلم علامة الشرف والسيادة في القبيلة العربية[٤]، متأسين بقول الشاعر:

لا يَصلُحَ النَّاسُ فَوْضَى لا سُرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سُرَاةَ إذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

تُهدَى الأمُورُ بِأهْلِ الرَّأي مَا صَلُحَتْ ... فإنْ تَوَلُّوا فبالأشْرَارِ تَنقَادُ[٥]

وعليه فإن المقررات الدراسية النظرية كانت متمثلة تلك الفترة في نوعين من علوم المعرفة هي :العلوم الدينية والعلوم الإنسانية .

ولما كان المتعلم يمر بمرحلتين أساسيتين هما: المرحلة الأولى في الكتَّاب، والمرحلة الثانية،أو ما يمكن أن يصنفها الباحث وفقاً لتقاليد السلّم التعليمي السائدة اليوم ب(التعليم العالي) في المسجد وبقية أماكن التعليم؛ فإن الباحث سيتحدث عن مقررات كل مرحلة من هذه المراحل على حدة، ومدى تأثرها باختلاف الفرق والمذاهب الإسلامية في تلك الفترة،و معرفة ما إذا كانت قد أثرت هذه المذاهب والفرق في اختلاف المقررات الدراسية أم لا؟

١- يزيد السورطي، السلطوية في التربية،ص ٢٣.
٢- أيمن سيد، تاريخ المذاهب،ص ٥٤- ٥٦.
٣- فاروق حيدر،التعليم في اليمن،مرجع سابق،ص ٧٦- ٧٧.
٤- حسن هنداوي، التعليم وإشكالية التنمية،ص ٤٥.
٥- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، جـ١،ص ١٣٣(من قصيدة الافوه الاودي).

المبحث الأول: المقررات الدراسية في مرحلة التعليم الأولى:

وجه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى المسلمين إلى العناية بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً بقوله : **{إنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور،ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور }**[١] و قال تعالى:**{كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبَّروا ءاياته}**[٢]، وعن حفظه قال رسول الله ﷺ :" يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها"[٣].

ولذلك كان لتدريس القرآن أهميته البالغة منذ زمن النبيِّ ﷺ، ثم تبعه المسلمون جميعاً في ذلك الفهم والاهتمام، فتعلموا القرآن وعلموه غيرهم وحرص كل مسلم على أن يكون أول ما يعلّم أولاده هو القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وتجويداً،وفي عهد الدولة الصليحية كان حفظ القرآن وتلاوته وتجويده هدفاً أساسياً لدى كل الفرق والمذاهب[٤] خاصة في الكتاتيب.

وإلى جانب تعليم القرآن الكريم حفظاً وتجويداً وتفسيراً، كان هناك بعض من العلوم الأخرى التي كانت تدرس في هذه المرحلة، كتعليم القراءة والكتابة والذي لا يستقيم لسان الطالب إلا بهما من أجل سلامة حفظ ونطق القرآن الكريم نطقاً سليماً، إضافة إلى بعض قواعد اللغة التي كانت تدرس في تلك الفترة[٥].

ونظراً لارتباط السنة النبوية بالقران الكريم ،فقد كان تعليم أحاديث النبي ﷺ جزءاً من التعليم الذي كان يعطى للمتعلمين في هذه المرحلة. [٦].

ويظهر الاهتمام بالقرآن الكريم في هذه الفترة من خلال ما ترويه المصادر التاريخية؛ أنه برز العديد من العلماء والأدباء الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب، وهم في مراحل مبكرة ومتوسطة من العمر داخل هذه الكتاتيب، أمثال مسلم اللحجي الذي حفظ القرآن في هجرة شظب بمكتّب تعليم الصبيان، والعلامة أبو بكر العندي بمكتّب أبين[٧].

ومن منطلق التوجيهات الربانية فقد كان القرآن الكريم في مرحلة التعليم الأوليِّ (الكتّاب) هو المنهل الخالد والنبع الصافي الذي فهمه المسلمون في مختلف أمصار العالم الإسلامي ومنها اليمن، فاهتموا به حفظاً وفهماً وتصنيفاً ومدارسة وعملاً، وظلوا عاكفين على تلاوته وحفظه السنين الطوال، فرغبوا أولادهم في تعلم وحفظ القرآن والالتزام بآدابه، ويعلموهم العبادات كالوضوء

---

١ - سورة فاطر آية ٢٩-٣٠.
٢ - سورة ص آية ٢٩.
٣ - الترمذي ،في فضائل القرآن الصحيح،[باب ما جاء فيمن قراء حرفاً من القرآن ما له من الأجر،وقال:حسن صحيح،حديث برقم (٢٩١٤)،جـ٢، ص٦٥٥.
٤- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص١٦٣.
٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٣ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٧١.
٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٠٠- ١٠٢ ؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ١،ص ٢٥١.
٧ - عمارة/ الأكوع،المفيد،مصدر سابق،ص ٣٢٦ ؛ إبراهيم بن القاسم،الطبقات، مصدر سابق، جـ٢،ص ١١٢٢.

والصلاة ويدربونهم عليها ويؤدبوهم بآدابها حتى يألفوها ويعتادوا عليها، فكان المعلم يأمر طلابه إذا جاء وقت الصلاة بأدائها إذا بلغوا سبع سنين، ويضربهم عليها إذا بلغوا عشراً ولم يؤدوها[١].

كما كان لأولياء الأمور دورهم البارز في تعليم أولادهم ما يرونه مناسباً من أجل إعدادهم لتَحَمُّل مهامهم في المجتمع، فيتدخلون في اقتراح بعض المناهج على معلميّ الكتّاب، كما فعل جياش بن نجاح مع مؤدب ولده فاختار له نوع القراءة وحتى المذهب الذي يجب أن يلقنه ويعلمه إياه[٢].

ولما كان الهدف الديني والخلقي من أهم أهداف التعليم في هذه المرحلة، فإن المقررات الدراسية التي كانت سائدة في الكتّاب كانت تركز على المواضيع الآتية:

١. القرآن الكريم تلاوة ونطقاً.
٢. تعليم مبادئ الدين(و حفظ بعض الأحاديث النبوية)
٣. تعليم العبادات طهارة و صلاة.
٤. تعليم القراءة والكتابة.
٥. تعليم مبادئ الحساب.
٦. تعليم قواعد اللغة العربية.

فإذا تمكن الطالب من إدراك هذه العلوم وأراد أن يتزود استعدادا للانتقال إلى المرحلة العليا، فإن عليه واجب حفظ القرآن الكريم كاملاً كشرط للتخرج من هذه المرحلة والانتقال إلى المرحلة العليا، ثم عرضه على معلمه[٣].

خلاصة القول: إن المقررات في هذه الفترة كانت تشمل المواد الرئيسة المهمة كي يتعرف الصبي على دينه،وأخلاق دينه،وعلى عادات المجتمع الذي يعيش فيه، لتهيئته من أجل أن يتحمل مهامه في المجتمع، فيتعلم بعض المهارات كالقراءة والكتابة والحفظ وشيء من اللغة العربية ومبادئ الحساب والتحلي بمجموعة من القيم، كالصدق، والأمانة، وحسن المعاملة، والتي يجب أن تكون متوفرة لدى المعلمين أولاً.

كما اتضح أنه كان للمنزل علاقة مباشرة أحياناً في اقتراح بعض المقررات الدراسية من خلال تدخل بعض أولياء الأمور، ومنشئ الكتاتيب، وذلك وفق رؤاهم المذهبية.

١- حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع عشر،ص ١٣٦ ، الطيب بامخرمة، تاريخ ثغر عدن،ص ٤٦.
٢ - محمد الجندي، السلوك، جـ٢،ص ٥٠٦- ٥٠٧.
٣- عمر الجعدي،الطبقات، مصدر سابق،ص ٣ ؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات،مصدر سابق، جـ١،ص ١١١، ٥٩٧ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٧١.

المبحث الثاني: المقررات الدراسية في المرحلة العليا:

المرحلة العليا هي المرحلة التي تلي مرحلة التعليم الأوليّ في الكتّاب، وكما سبق الحديث أن هذه المرحلة هي مرحلة العطاء الفكري والعلمي، وعليه فإن الباحث عند عرضه للمقررات الدراسية في هذه المرحلة قام بتقسيمها إلى قسمين: الأول العلوم الدينية و الثاني العلوم النظرية الإنسانية، محاولاً معرفة تأثيرها وتأثرها بالعوامل المجتمعية المحيطة بها، مع الإشارة إلى أبرز المؤلفات التي ظهرت في كل علم من هذه العلوم، وأبرز العلماء المؤلفين المشتغلين بكل علم على حدة تأليفاً وتدريساً.

١- العلوم الدينية.

أ- القرآن الكريم وعلومه:

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، والمُتَعَبَّدَ بتلاوته، والمصدر الأول من مصادر التشريع، ولهذا اهتم المسلمون بحفظه وترتيله وتفسيره، وخصصوا من أجل ذلك المدارس والمدرسين، إضافة إلى ما تقوم المنازل والأبنية الأخرى من أدوار في سبيل خدمة هذا الكتاب المقدس[١].

ومن خلال الاهتمام بالقرآن الكريم وتعظيمه وتعلمه تلاوة وفهماً، والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه، وخصوصه، وناسخه، ومنسوخه[٢]، نشأت علوم كثيرة في هذا الميدان،يطلق عليها علوم القرآن، ومن أهمها: علما القراءات والتفسير، و سيتم النظر فيهما وليتم توضيحهما وذلك على النحو التالي.

(١)علم القراءات:

تلقى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم: القرآن الكريم من رسول الله ﷺ مشافهة، وكان البعض منهم يجد خلافاً بين قراءته وقراءة غيره، فيرفعون ذلك إلى النبي فيقر الجميع[٣]،"ويقول: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه..."[٤]، حتى اشتهر بعد ذلك منهم العديد من القراء وإليهم تنسب القراءات.

وأصبح بعد ذلك علم القراءات قائماً بذاته، و يعرَّف بأنه العلم الذي يتناول قراءة القرآن بحسب رواية الصحابة عن رسول الله ﷺ، بطرق مختلفة، وكيفية الحروف في أدائها[٥].

وفي اليمن كان علم القراءات من العلوم الرئيسة والسائدة في تلك الفترة، وخاصة القراءات السبع المشهورة، أو العشر أحياناً، وقد توسعت كثيراً في إطار المتواتر المشهور منها[٦].

---

١ - مناع القطان، علوم القرآن،ص٢١.
٢ - يحيى النووي، التبيان في آداب حملة القرآن،ص ٩٣.
٣- عبد الرحمن بن الجوزي، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن،ص ١٩٦- ١٩٨.
٤ - البخاري ،الصحيح ،كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: فاقرءوا ما تيسر منه، في حديث طويل تحت رقم ٣٢٤٢ ص٥٦٤.
٥- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص٤٣٧.
٦- عمارة/كاي،المفيد مصدر سابق،ص ١١٦.

ومن القراءات السبع المشهورة التي كان أهل اليمن يقرءون بها في عصر الدولة الصليحية قراءة أبي عمرو بن العلاء، وخاصة في زبيد ونواحي تهامة[١]، وقراءة نافع في صنعاء وما حولها، وكان ممن يقرأ بها ويعلمها الحسن بن عبد الحميد(ت/ ٥٢٠هـ)[٢]، أما بقية المناطق كحضرموت والجند وغيرها فالراجح أنه انتشرت بها القراءات السبع، وأن أهلها كانوا يجيدون كل هذه القراءات، وما يدل على ذلك ما ذكره عمارة في تاريخه؛ أنه استقبل في داره أحد علماء حضرموت وأخذ عنه قراءة أبي عمرو ويذكر ذلك ويقول:" وكان فيمن يقرءون القراءات السبع[٣].

وممن اشتهر في علم القراءات من اليمن في تلك الفترة، وبذل جهوداً كبيرة في تعليم القراءات: المقرئ المشهور مالك بن أبي صنعاء([٤]) والذي كان من أعلم أهل اليمن بالقرآن ، وشهد له علماء اليمن، وظل يقرئ القرآن لمدة سبعين سنة، ومن بعده ظهر تلميذه علي بن أحمد بن أبي رزين(ت/بعد٤٧٧هـ) في صنعاء أيضاً، وأصبح إمام القراءة والنحو في اليمن[٥].

ومنهم من اشتغل في علم القراءات السبع ، وأضاف إليها علوماً أخرى أمثال العلامة يحيى بن أبي الخير العمراني، والفقيه سليمان بن عبد الله بن فهيد، وهو ممن عاصر يحيى بن أبي الخير في تلك الفترة،حيث برزا في الفقه واللغة والحديث[٦].

ومن علماء حراز أيضاً الفقيه المقرئ عبد الله بن زيد اللُّعفي الحرازي (ت/بعد ٥٠٠هـ)، كان فقيهاً عارفاً خطاطاً مجوداً، له تصانيف في علم القراءات مليحة كما ذكر ابن سمرة[٧] إلا أن المصادر لم تذكر أسماء هذه المصنفات.

ومن علماء القراءات الأستاذ الشيخ الإمام زيد بن الحسن بن محمد الفائشي(ت/٥٢٨هـ) بطريقة أبي معشر الطبري[٨] قرأ عليه بمكة علم القراءات وعلم التفسير والحديث وغيرها والمقرئ أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن أبي مشيرح الحضرمي والذي كان من مشاهير علماء القراءات في اليمن ثم رحل إلى مكة وكان يدرس فيها علم القراءات وفيها ألف كتابه (المفيد في القراءات الثمان)[٩]، والمقرئ القاسم الجمحي من سهفنة، وهو من معاصري الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني[١٠].

وعلى الرغم من كثرة القراء والحفاظ وعلماء القراءات إلا أن المصادر التاريخية التي اطّلع عليها الباحث لم تشر كثيراً إلى مؤلفات لهؤلاء العلماء في علم القراءات، ولعل تفقههم وتعليمهم كان

١ - محمد الجندي،السلوك، جـ٢،ص ٥٠٦، ٥٠٧.
٢- مسلم اللحجي ، التاريخ، ص٢١٩.
٣ - عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص٢١٤.
٤ـ من المعاصرين لمُسلم اللحجي، وهو من علماء الزيدية المعاصرين لحكم الصليحي.
٥ - مسلم اللحجي، مصدر سابق،ص ٦٣، ١١٢ ؛ يحيى بن الحسين، الطبقات الصغرى، ص٤٩، ٩٨.
٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص٢٢٧ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١،ص ٢٥٥.
٧ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٢.
٨- هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي القطان المعروف بأبي معمر الطبري(ت/٤٧٨هـ) وكان إماماً في القراءات وله فيها مؤلفات مشهورة منها (التلخيص) وكان مقرئ أهل مكة في عصره[السبكي، طبقات الشافعية، جـ٥،ص ١٥٢].
٩- اختصره من كتاب التلخيص لأبي معشر وزاد فيه فوائد كثيرة[عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٥، ١٥٦، ١٨٧، ١٨٨].
١٠- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٨٩، ٩٠.

مقتصراً على كتب القراءات التي ألفها أهل الإسلام في بقية الأمصار، وكان يقتصر دور علماء اليمن على تدريسها، ومما تذكره المصادر من مؤلفات في مجال علوم القرآن لأهل اليمن المؤلفات التالية:

- المفيد في القراءات الثمان لابن أبي مشيرح الحضرمي (تـ/ بعد ٥٥٠هـ) في مكة المكرمة وكان يدرس فيها من كتابه هذا.
- مصنفات اللّعفي في القراءات ، ولم تشر المصادر إلى تفاصيل ذلك[١].

والخلاصة أن علم القراءات قد شهد عطاءً واهتماماً ملحوظاً من قبل العلماء وطلاب العلم، حيث رحلوا من أجله إلى أماكن متعددة، فاستفادوا وأفادوا كثيراً، ولم يقتصر اهتمام علماء اليمن بعلم القراءات وحده؛ بل أضافوا إليه علوماً أخرى، وكذا يلاحظ اهتمام أولياء الأمور والسلاطين بعلم القراءات حيث عملوا على توجيه أولادهم ليتعلموا ذلك، فكان للعامل الديني أثره الواضح في دفع كل من العلماء وطلاب العلم وأولياء الأمور إلى الاهتمام بعلم القراءات كونه العلم الذي يساعد على حسن وسلامة نطق كتاب الله، كما يساعد على حسن حفظه.

كما كان للعامل الاقتصادي أثره أيضاً في اقتصار تعلم هذا العلم على أصحاب المال الميسورين في أغلب الأحيان.

(٢)علم التفسير:

يعد علم التفسير من أجلْ وأهمْ علوم الشريعة منزلة وأرفعها قدراً وأنفعها لأبناء الأمة ، لأن موضوعه كلام الله الذي هو منبع كل حكمة وكل فضيلة وبه توضح معاني القرآن الكريم ونستنبط منه الأحكام الشرعية، ونستقي منه القيم والمبادئ الأخلاقية، والإنسان في أشد الحاجة إليه؛ لأنه مرجع كل العلوم، وقاعدة انطلاقها الأولى[٢].

والتفسير لغة: الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى :{ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** }[٣].والتفسير اصطلاحاً: هو العلم الذي يبحث عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٤]، ولا يتم التفسير إلا بمعرفة علوم أخرى لمعرفة المعاني واستخراج الأحكام، كعلوم اللغة وأصول الفقه والقراءات[٥].

وقد نال علم التفسير في فترة حكم الصليحيين لليمن العناية الشديدة، وجُلِبت مختلف التفاسير من مختلف البلدان، وأقبل اليمنيون على دراستها ومن ثم التأليف في علم التفاسير من العلماء اليمنيين أنفسهم.

---

١ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٢.
٢ - جلال السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، جـ٢،ص ٢٢٤.
٣ - سورة الفرقان، آية ٣٣.
٤- محمد الزرقاني، مناهل العرفان، جـ١،ص ٣٣٤.
٥- حلال السيوطي، المصدر لسابق، جـ٤،ص ١٩٥.

وقد تنوعت كتب التفسير في تلك الفترة، سواءً الوارد منها أو المؤلف في اليمن من مذهب إلى آخر، نتيجة لاختلاف الأسس الفكرية لأتباع المذهب[1].

فكان للعامل المذهبي أثره الواضح في تنوع التفاسير الواردة إلى اليمن في تلك الفترة، حيث عمد أتباع كل مذهب إلى جلب ما يوافق ميولهم الفكرية والفقهية من تفاسير، فهؤلاء الزيدية كان اعتمادهم على تفسير التهذيب للحاكم الجشمي[2](ت/٤٩٤هـ) لعنايته الفائقة بمسائل العدل والتوحيد ولأنه يمتاز بالطابع الفكري وآرائه الاعتزالية،وكذلك تفسير الكشاف للزمخشري(ت/٥٣٨هـ) والذي يتسم بالمنهجية نفسها[3].

وكان اعتماد الشافعية على تفسير التبيان لمحمد بن الحسن الطوسي (ت/٤٤٩هـ)[4] وتفسير الإمام علي بن محمد الواحدي(ت/٤٦٨هـ) وهي ثلاثة تفاسير (الوجيز،و الوسيط ،و البسيط)[5]، والذي اعتنى بالإعراب والقراءات والمسائل اللغوية.

أما الإسماعيلية فقد كان لهم تفسيرهم الخاص، والذي يغلب عليه الطابع الفلسفي التصوري، والذي تقوم آراؤه وعقائده على الجدل ومزج الفلسفة بالدين، ومن المؤلفات في علوم القران التي ظهرت في تلك الفترة رسالة الخطاب بن الحسن بن أبي الحافظ الحجوري(ت/ ٥٣٣هـ) وهو من كبار أدباء وعلماء اليمن الإسماعيليين، وهذه الرسالة هي في إعجاز القرآن والأعمال الشرعية عنوانها:" رسالة في بيان إعجاز القرآن وأن الأعمال الشرعية نعمة بالحقيقة لا تكاليف مستثقلة ومشاق مستحملة"[6]، ورسالة برهان الأنوار في إعجاز سورة الكوثر للحجوري أيضاً، قال في هذه الرسالة إن إعجاز القرآن ليس من حيث بلاغته وجزالة ألفاظه ولكن من حيث المعنى أيضاً ولذلك أصبح القرآن معجزة الرسول ﷺ [7]وأورد فيها بيتين قال فيهما:

سُقْيًا لِهَذَا الدِّين إن أتَى بمِثْلِهَا ... وَأرَاحَنَا مِن شَقَّةِ التَكَلِيفِ
وَأزَالَ عَنَا مَا نُقَاسِي دَهرَنَا ... مِن جُوْعِ صَوْمٍ أو فُرَاقِ أَلِيفِ[8]

وهذا يدل على قوة القول بأن الإسماعيلية أسقطوا بعض التكاليف الشرعية،واعتُبرت هذه الرسائل من أهم التفاسير المتداولة لدى إسماعيلية اليمن في تلك الفترة .

وما يدل على اهتمام اليمنيين بمختلف مدارسهم الفكرية بعلم التفسير هو كثرة المؤلفات والمصنفات التي كانت متداولة في تلك الفترة والتي من أهنها ما يلي:

١- فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول،مرجع سابق،ص ٧٨، ٧٩.
٢- هو المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي أبو سعد، من كبار أعلام الزيدية أشتهر في أوساط زيدية اليمن وتوفي شهيدا بمكة المكرمة عام ٤٩٤هـ، وكان السبب في قتله رسالته التي ألفها بعنوان (رسالة الشيخ إبليس إلى إخوانه المناجيس) وله أكثر من (٤٢) مصنفا كانت محل تداول علماء اليمن [محمد الدجيلي، سابق، ٩٣].
٣ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص ١٢١.
٤ - عدنان زرزور، الحاكم الجشمي،ص ٥٤ ؛ محمد الدجيلي، سابق،ص ١٢١
٥ - حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ١، ٤٦.
٦- حسين الهمداني،الصليحيون، مصدر سابق، ١٨٥.
٧ - محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص ١١٨.
٨- إسماعيل قربان ، السلطان الخطاب، حياته وشعره،ص ٧٦.

- تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي(ت/٢٤٦هـ)[١].
- تفسير الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي(ت/٢٩٨هـ) والذي يقع في ستة أجزاء[٢].
- تفسير الإمام المرتضى لدين الله أبو القاسم محمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين() (ت/ ٣١٠هـ) ويقع في سبعة أجزاء[٣].
- تفسير أبو الفتح الديلمي[٤]،المسمى(البرهان في تفسير غرائب القرآن) وهو يقع في أربعة أجزاء[٥].
- تفسير- التبيان- لمحمد بن الحسن الطوسي(ت/٤٤٦هـ) من كبار علماء الزيدية المفسرين[٦].
- تفسير- التهذيب - للحاكم الجشمي(ت/٤٩٤هـ) من أهم التفاسير المتداولة في اليمن في تلك الفترة[٧].
- تفسير الإمام الواحدي [٨] ويقع في ثلاثة أجزاء هي: الوجيز والوسيط و البسيط[٩].
- تفسير - الكشاف - للزمخشري(ت/٥٣٨هـ) [١٠].
- تفسير- الكشف والبيان - لأبي إسحاق النيسابوري الثعلبي(ت/٤٢٧هـ)[١١].
- تفسير الخطاب بن الحسن الحجوري(ت/٥٣٣هـ) [١٢].

والخلاصة أن كل هذه المؤلفات كانت متداولة بين العلماء وطلاب العلم اليمنيين في تلك الفترة، فاشتغلوا بها سماعاً وتدريساً وتأليفاً.

إلا أن المصادر أغفلت العديد من كتب التفسير المؤلفة في تلك الفترة، رغم أنه وجدت إشارات إلى من اهتم بهذا العلم ووصفوا بالمفسرين،أمثال الخطاب الحجوري سالف الذكر وهو أخو سيدة الملكة من الرضاعة[١٣] والإمام زيد بن الحسن الفائشي[١٤].

---

١ - محمد بن النديم، الفهرست، ص٢٤٤، حميد المحلي، الحدائق الوردية، جـ٢،ص١- ٦.
٢ - حميد المحلي،الحدائق، مصدر سابق، جـ٢،ص ٤١.
٣- حميد المحلي ،المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢ ؛ محمد الدجيلي ،الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص١٢٠.
٤ - هو الإمام الزيدي الناصر أبو الفتح الديلمي الذي دعا لنفسه بالإمامة ودخل مكة ثم صعده وملكها ثم اختط ظفار وجعل محل إقامته ذيبين،ثم دخل في حروب مع الصليحي حتى قتل في إحداها سنة٤٤٤هـ[حميد المحلي،الحدائق الورديةجـ٢ص٩٩].
٥ - حميد المحلي، المصدر السابق، ص١٢٧ ؛ محمد الدجيلي ،المرجع السابق، ص١٢٠.
٦- عدنان زرزور، الحاكم الجشمي، ص٥٤ ؛ محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق،ص ١٢١.
٧ - عدنان زرزور، المرجع السابق، ص٤٥٥.
٨ - الإمام المفسر علي بن أحمد الو احدي (ت/٤٦٨هـ)،أستاذ عصره في علمي النحو والتفسير ،تلميذ أبي إسحاق الثعلبي كانت تصانيفه في التفسير مجمع عليها وتدرس في الكثير من البلدان منها اليمن[عبد الله اليافعي ،مصدر سابق ،جـ٣ص٧٤].
٩ ــ عدنان زرزور، المرجع السابق ص ٥٣.
١٠ - هو العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، النحوي اللغوي المفسر،صنف تفسيره هذا بطلب من العالم اليمني الزيدي علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس السليماني المقيم بمكة؛[إبراهيم بن القاسم،مرجع سابق،جـ١ ص٢٧٥.
١١ - هو العلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر ،حافظاً واعظاً رأساً في التفسير والعربية[عدنان زرزور،المرجع السابق، ص٥٢].
١٢ - الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص٢٧٢.
١٣- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق، ص٢٧٢.
١٤ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٥- ١٥٦.

كما أن الباحث وجد تأثير العامل المذهبي قوياً من خلال تدعيم كل مذهب أو فرقة بالتفاسير التي تنصر أو تؤيد معتقداتها وآرائها، فكان له أثر في إثراء الحياة العلمية بعدد من التفاسير الواردة من خارج اليمن، كما كان له أثر في إضعاف جانب الاجتهاد والاعتماد على التقليد المذهبي الضيِّق.

ب- **علوم الحديث والسيرة النبوية:**

الحديث في اللغة يستعمل ضد القديم ويستعمل في قليل الكلام وكثيرة وفيما يسمعه الإنسان في يقظته ونومه(١).

وفي الاصطلاح: هو أي خبر ينسب إلى النبي ﷺ قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً، أو صفة(٢).

ومجال بحثه في كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ﷺ من حيث روايتها ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً أو انقطاعاً، وعن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد المبنيِّ على قواعد اللغة العربية وضوابط الشريعة ومطابقاً لأحوال النبيِّ ﷺ(٣).

ولقد كان لأهل اليمن دورٌ بارز في علم الحديث منذ القرون الأولى ،لا يقل أهمية عن بقية أمصار العالم الإسلامي، سواءً من حيث حفظ الحديث وروايته متناً وسنداً، أو من خلال المشاركة في وضع المصنفات والسنن والأسانيد، وفي أثناء المدة التي سبقت فترة الدراسة كانت قد وصلت إلى اليمن العديد من المصنفات، إضافة إلى ما وضعه أهل اليمن من كتب في هذا المجال(٤).

وفي المدة التي حكم الصليحيون فيها اليمن؛ تنوعت المقررات وكثرت الكتب التي تدرس هذا العلم، كما كثر المشتغلون به من علماء وطلاب علم، وكثرت مجالس التعليم والتعلُّم، حيث لا يكاد يخلو مجلس من مجالس السماع أو حلقة من حلق العلم إلا وبها مُحِدِث وطلاب حديث، ومن الكتب التي كانت متداولة في تلك الفترة:

- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري(تـ/٢٥٦هـ) (٥).
- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري(تـ/٢٦١هـ) (٦).
- جامع السنن للإمام الترمذي(تـ/٢٦٧هـ) (٧).
- الجامع في الحديث للإمام عبد الرزاق الصنعاني(تـ/٢١١هـ)والمشهور بمصنف عبد الرزاق(٨).
- سنن أبي داوود(٩).
- مختصر المزني(١٠).

١- مناع القطان، علوم القرآن،ص ١٨.
٢- مناع القطان،المرجع نفسه،ص ١٩.
٣ - طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، جـ٢،ص٦٠، ١٢٨.
٤ - عمر الجعدي، الطبقات،مصدر سابق، ص٨١، ٩٧ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١،ص ٢٣٧.
٥- عمر الجعدي ،المصدر السابق ،ص ١٠٠، ١٠١.
٦- عمر الجعدي، نفسه،ص ٩٥، ١٩٥.
٧- المصدر نفسه،ص ١٠١.
٨- الحاكم الحبشي، مصدر سابق،ص ٣٨.
٩- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٨١ ؛عبد الله اليافعي، مصدر سابق،ص ٢٤٨- ٢٤٩.
١٠- عمر الجعدي المصدر نفسه، ص٨٩.

- سنن الربيع[1].
- موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي(تـ/١٧٩هـ) [2].

كل هذه الكتب وغيرها من كتب الحديث التي لم يرد ذكرها في المصادر التاريخية التي تم الإطلاع عليها، كانت هي المنهل العذب الذي يعكف عليه طلاب وعلماء اليمن في تلك الفترة من كل المذاهب، فكان طلاب العلم ينتقلون من مدينة إلى أخرى من أجل السماع وطلب الاستزادة من هذا العلم .

وقد برز عدد من علماء اليمن في هذه الفترة ممن اشتغل بعلم الحديث الشريف دراسة وتأليفاً، كان أبرزهم الفقيه الحافظ خير بن يحيى بن ملامس(تـ/٤٨٠هـ) [3]، والذي لم يلقب بالفقيه الحافظ إلا لعلو همته ومنزلته في علم الحديث، وكثرة رواياته واهتمامه بتدريس الصحاح والسنن، مع اهتمامه بالسند العالي[4]، ومن بعده اشتهر أبناؤه، ثم نقلوا هذا العلم إلى أولادهم فأصبحت هذه الأسرة (بنو ملامس) مشهورة بعلم الحديث[5].

وممن اشتهر بعلم الحديث وكان من كبار العلماء وأكثرهم شهرة في مجال التعليم وعلم الإسناد؛ أبو الوليد عبد الملك بن أبي ميسرة اليفاعي(تـ/٤٩٣هـ) [6]، أخذ الحديث عن الإمام القاسم الجمحي (تـ/٤٣٧هـ)، ثم أخذ مختصر المزني[7]، وكتاب الرسالة للشافعي، عن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد البردي في عدن،وفي مكة عن الإمام أبي عبد الله الوليد المالكي(تـ/ بعد ٤٥١هـ)،ثم عاد إلى اليمن وصار يعرف بالشيخ الحافظ[8].

ومن المؤلفين في مجال علم الحديث في تلك الفترة،الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني، حيث يظهر من كتب التاريخ أن له مؤلفاً في علم الحديث يسمى غرائب الوسيط[9].

ومن المؤلفين المحدثين الشيخ المحدث أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازي(تـ/٤٦٠هـ)[10] صاحب تاريخ مدينة صنعاء، وكان إماماً وعارفاً بالحديث والفقه وكتابه يدل على ذلك، ورغم أنه في مجال التاريخ إلا أنه ورد فيه الكثير من الأحاديث الذي يرويها بسندها المتصل؛ خاصة ما يتصل بموضوع الكتاب[11].

---

١ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ص٩٠.
٢ - عمر الجعدي ،نفسه،الصفحة نفسها .
٣- هو خير بن يحيى بن ملامس إمام عصره وفريد دهره، وكان قد أستأذن والده في الذهاب إلى مكة لسماع كبار علماء الحديث، فوافقه بشرط أن لا يتزوج إلا بكراً لأن والده قد مكث بمكة وتزوج بها كثيراً من النساء، وأنه لا يأمن عليه أن يتزوج من كان أباه قد تزوجها قبله، فوافق على ذلك [عمر الجعدي،طبقات الفقهاء،ص ٩٢.
٤ - محمد الجندي، السلوك، جـ١، ٢٤٣ ؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ٢، ص٤٠١.
٥ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٠١.
٦ هو الشيخ الحافظ المحدث عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة اليفاعي،من علماء الجند ،سكن جبل الصلو[عمر الجعدي،مصدر سابق،ص٩٨]
٧ـ هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت/٢٦٤هـ)،اختصر كتابه هذا من مسند محمد بن إدريس الشافعي[إسماعيل المزني، المختصر،جـ١،ص١].
٨ ـ عمر الجعدي ،الطبقات،مصدر سابق،ص ٩٨- ٩٩.
٩ ـ عمر الجعدي المصدر نفسه،ص ١٠١
١٠ ـ كان إماماً عارفاً بالفقه والحديث،وهو من بلاد الري من أرض فارس، من الأبناء الذين قدموا إلى اليمن مع سيف بن ذي يزن،[محمد الجندي السلوك،مصدر سابق،جـ١ ص٢٨٢].
١١- أحمد الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص٢٣٧- ٢٣٩.

خلاصة ذلك أن المقررات الدراسية في هذه الفترة من علم الحديث كانت هي تلك المقررات التي سادت العالم الإسلامي، واشتهرت فيه من المسانيد وكتب الصحاح، وكان ذلك هو السائد في اليمن أيضاً، مع اهتمام بعض الفرق بالأسانيد التي تروي وتذكر الأحاديث التي تدعم وتؤيد فكرها السياسي، أما عن الإسماعيليين فإن المصادر تؤكد على كثرت مجالس الذكر؛ وقد تكون مجالس حديث لكن لم تتحدث هذه المصادر عن مؤلفات بعينها.

مع الإشارة إلى أن علم الحديث في هذه الفترة كان من أهم العلوم والمقررات الدراسية حيث لا يخلو مجلس ولا حلقة علمية إلا وبها من يهتم بعلم الحديث أخذاً أو عطاءً أو اهتماماً.

ج- علم الفقه وأصوله:

الفقه في اللغة: الفهم، ومنه قوله تعالى:{ **فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**}[1]، واصطلاحاً هو العلم الذي يهتم بأحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات وما يتصل بالأمور الدنيوية في كل المجالات التي يمارسها الإنسان[2].

وأما أصول الفقه فيُعنى بالأدلة التي بني عليها الفقه وهي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة من أهل الاجتهاد ثم القياس[3].

وكان أهل اليمن يتفقهون على مصنفات أهل مكة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فكانوا أهل سنة، إما مالكية أو حنفية، حتى لحقتهم فتنتا الإسماعيلية والهادوية (الزيدية)[4]، ـ على حد تعبير ابن سمرة- وبهذا أصبح في اليمن ثلاث مدارس فقهية، لدى كل مدرسة أو فرقة مذهب فقهي خاص بها.

وفيما يلي يستعرض الباحث أهم المذاهب الفقهية الموجودة في تلك الفترة، ودورها في تطوير الحركة الفكرية الفقهية ،مع الإشارة إلى أهم المقررات التي سادت مدارسها في هذه الفترة.

(١) المذهب الحنفي:

يعد من أقدم المذاهب الفقهية دخولاً إلى اليمن، إلا أنه قد تراجع أواخر القرن الثالث وبداية الرابع الهجريين؛ ليحل مكانه المذهب الزيدي خاصة في المناطق الشمالية من صعدة إلى صنعاء، وبقي محصوراً في زبيد وما حولها[5].

والمذهب الزيدي يتصل اتصالاً وثيقاً بالفقه الحنفي[6]،بل عد بعضُ مؤرخي الزيدية ورجالها ؛أن الإمام أبو حنيفة من رجالهم وأن نصوصه من نصوصهم[7]،وهذا ما سهل مهمة الزيدية في نشر آراءهم الفقهية والفكرية في مناطق نفوذ المذهب الحنفي،خاصة صعدة وما جاورها.

١- سورة النساء، آية ٧٨.
٢ - سيد سابق، فقه السنة، جـ١ ،ص ٣٢٥.
٣ - الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، جـ١ ،ص ٥٤.
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٧٥- ٧٧.
٥ - عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية في اليمن،ص ٢٢٤، ٢٢٥.
٦ - أيمن سيد،تاريخ المذاهب،ص ٢٢٥.
٧ ـأحمد بن أبي الرجال ،مطلع البدور،جـ٢،ص١٠١.

وفي أواخر القرن الرابع الهجري دخل المذهب الحنفي كغيره مرحلة التقليد والتعصب بين المذاهب، مما أدى إلى انحصاره عن معظم مناطق اليمن وفي زبيد على وجه الخصوص، لأنه حصل تبادل إتلاف كتب كل من المذهب الشافعي والحنفي، ولكون المذهب الشافعي هو الأكثر انتشاراً، فقد ظهر في الميدان وبقي المذهب الحنفي ممثلاً في بعض رموزه ومؤلفاته الفقهية[١]، مع وجود بعض الأتباع الذين لم يكن لهم شهرة تذكر في هذه الفترة.

وخلاصة القول: أن المذهب الحنفي لم يكن له وجودٌ يذكر في الفترة موضوع الدراسة، وإنما جاء ذكره هنا للتأكيد على أن أهل اليمن كانوا أهل سنة قبل مجيء الهادوية الزيدية إليها؛ ولأن الزيدية تتفق مع الحنفية في أغلب المسائل الفقهية فلم تعان كثيراً من أجل التغلب على الفكر الحنفي في المناطق التي وجدت فيها ـ لا سيما المناطق الشمالية ـ ، وأن العامل السياسي كان ذا دورٌ واضح في نشر المذهب الزيدي.

(٢) المذهب الشافعي:

كان دخول المذهب الشافعي إلى اليمن مع نهاية القرن الرابع الهجري كما صرح بذلك كل من ابن سمرة والجندي[٢]، حيث انتشر بعد ذلك حتى أصبح بعرض اليمن وطولها، وهو الذي أقصى المذهبين المالكي والحنفي عن اليمن، كما سبق[٣].

وفي مجال أصول الفقه كان لعلماء المذهب الشافعي دور بارز في التعليم والتأليف، فكان تفقه أهل اليمن في تلك الفترة على كتاب الكافي لإسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفي(ت/٥٠٥هـ) والذي كان علامة في علم الأصول والمواريث والحساب والفرائض[٤].

وأصبح لهذا الكتاب أهمية في عصره وانتفع به خلق كثير من اليمن وغيرها حتى غدا مشهوراً في البلدان الأخرى، وقد ذُكِر أنه ابتاع بوزنه فضة في بعض البلدان، وقال عنه أناس من خارج اليمن وممن يهتمون بشؤون العلم:" ما بلغ فضله أحد من أهل اليمن إلا اثنين: صاحب الكافي في الفرائض وصاحب كتاب البيان في الفقه[٥].

وكان تفقه أهل اليمن في هذه الفترة على كتب الشافعية مثل كتاب مختصر المزني[٦] وبعض شروحه، وكتاب الإفصاح لأبي علي الطبري(ت/٣٥٠هـ)، والرسالة للإمام الشافعي، وكتاب الشريعة للآجري(ت/٣٦٠هـ)[٧].

وفي الفترة موضوع الدراسة كان المذهب الشافعي قد أصبح مشهوراً باليمن، ومن المقررات التي تفقه أهل اليمن عليها في هذه الفترة: كتاب الجامع، والمذهب في فروع الفقه لأبي حفص عمر

---

١ ـ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب، جـ٢،ص ٨١؛ عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق،ص ٢٢٥.

٢- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص٧٩- ٨٠؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١ ص٤٠، ٦٨..

٣- عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق،ص ٢٢٨- ٢٢٩.

٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٠٧، ١١٠؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٢، ٨١.

٥- عبد الله اليافعي، مرآة الجنان، جـ٣،ص ١٢٨.

٦ ـ المزني، هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمر بن إسحاق المزني، ولد سنة(١٧٥هـ) وتوفي عام(٢٦٤هـ) وهو واضع كتاب المختصر الذي اعتمد عليه الشافعية في فكرهم وفقههم [الشيرازي، طبقات الفقهاء،ص ٩٧.

٧- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٠، ١١١، ١١٨.

بن إسحاق بن المصوع (كان حياً عام ٤٦٠هـ)، وكتاب الجامع في الخلاف، وكتاب التقريب للفقيه جعفر بن عبد الرحيم المحابي(تـ/٤٦٠هـ)، والبيان ليحيى بن أبي الخير العمراني[(١)].

كما سلك علم الفقه في هذه المدة مسلكاً سياسياً لغرض إقصاء الآخر كما حصل مع الفقيه العلامة الحسن بن محمد بن أبي عقامة(تـ/٤٨٠هـ). حيث ألف كتاباً في الفقه سماه نوادر مذهب أبي حنيفة، تتبع فيه المسائل التي يستشنعها أصحاب الشافعي وغيرهم على أبي حنيفة ومذهبه، وكان ذلك سبباً في تتبع الكتاب وإخفائه[(٢)].

وخلاصة ذلك أن المذهب الشافعي انتشر في أغلب المناطق اليمنية كزبيد والجند وصنعاء وعدن وحضرموت، إلا أنه غلب على المصنفات الفقهية الطابع الانتقاميٍّ من الآخرين، الأمر الذي يشير إلى تأثير العامل المذهبي والسياسي على الفقه وحركته العلمية في تلك الفترة.

كما اتضح أن التقليد كان سائداً إلى درجة كبيرة، ولعل ذلك هو ما دفع السخاوي إلى القول بأن اليمن كان في كل عصر في ازدياد من العلم، ولما ظهر المذهب الشافعي وانتشر في اليمن رجع أهله إلى التقليد[(٣)].

(٣) المذهب الزيدي(الهادوي):

بدأ الفقه الزيدي ينتشر في اليمن من بداية القرن الثالث الهجري، منذ أن أرسل محمد بن إبراهيم المعروف بابن طبا طبا؛ ابن عمه إبراهيم بن موسى المعروف بالجزار إلى اليمن؛ من أجل دعوة الناس إلى الدخول في خاصته[(٤)]، ثم تعزز بدخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وإقامة أول دولة زيدية هادوية في اليمن[(٥)].

وأما عن أهم المقررات الفقهية التي كانت تدرس في مدرسة الفقه الزيدية فهي:

- كتاب الفتاوى في الفقه للقاضي سعيد بن برية (تـ/بعد٤٦١هـ) والذي تولى القضاء في ريدة[(٦)] وكان شيخ الزيدية وعالمهم في عصره[(٧)].
- كتاب الكافي في الفقه لعلي بن محمد بن علي بن سليمان(تـ/٥٠٠هـ) وكان تأليفه على فقه أسلافه وأجداده القاسم والهادي إلى الحق، وكان يلقب بترجمان علوم العترة[(٨)].
- شرح البالغ لإسحاق بن أحمد الصعدي المشهور بابن عبد الباعث(تـ/٥٥٥هـ) وله تعليق على الإفادة ،وهو من أساتذة أحمد بن سليمان(تـ/٥٦٦هـ) [(٩)].

١- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص٩٦. ٢٤٠؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١، ص٢٣٦؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ٢،ص ٣٦٠.

٢- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ٢،ص٢٥٢؛ عمر الجعدي ، مصدر سابق،ص ٢٤٠.

٣ - محمد السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ،ص ٢٦٩.

٤ - إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، جـ١،ص ٢٤٤، ٢٤٦؛ عبد الرحمن الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام،ص ١٥٥.

٥ - عصام الدين الفقي، اليمن في ظل الإسلام،ص ١١٤، ١١٥ ؛ عبد الرحمن الشجاع مرجع سابق ،ص ١٥٤.

٦- ريدة، مدينة تاريخية تقع على بعد عشرين كلم شمال شرق مدينة عمران بها بعض اليهود وهي اليوم عاصمة إحدى مديريات محافظة عمران.

٧- مسلم اللحجي، تاريخ مسلم، ص١٢، ١٧٤؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات الكبرى، جـ٢،ص ٧٣٦- ٧٣٧.

٨ - إبراهيم بن القاسم، المصدر السابق، جـ٢، ص٧٧٧، ٧٧٨.

٩ – إبراهيم بن القاسم، المصدر نفسه، جـ١،ص ٢٤٣.

والظاهر أن دور علماء الزيدية وفقهائها في هذه الفترة قد اقتصر دورهم على تدريس الفقه ونقله من المصادر الأولى، ولم يكن لهم دور ذو بال في هذه الفترة، ولعل ذلك عائد إلى غياب دورهم السياسي أثناء حكم الصليحيين، وانقسامهم إلى مطرفية ومخترعة، الأمر الذي جعلهم يلجئون إلى المصنفات الواردة من بلاد الجيل والديلم، إما على أيدي من رحل من اليمن ثم عاد محملاً بكتب العلم ومنها الفقه، أمثال إسحاق بن أحمد الصعدي[1]، وإما عن طريق من يأتي من الجيل والديلم لهدف نشر الفقه الزيدي والانتصار لفرقة المخترعة ومناظرة المطرفية أمثال داود بن محمد الجيلاني(تـ/ بعد ٥٠١)[2].

وتشير أغلب المصادر التاريخية للزيدية إلى أنه كان تفقه أهل اليمن في هذه المدة على كتب زيدية الجيل والديلم والعراق، وأن القرن الخامس الهجري شهد نقل التراث من هذه البلدان إلى اليمن بشكل كبير، فكانت الوفود تصل كل عام أفراداً وجماعات من أجل لقاء زيدية اليمن[3].وكل ما يمكن ذكره أن تفقه زيدية اليمن كان على المؤلفات القديمة للإمام زيد بن علي والإمام الهادي إلى الحق والإمام القاسم الرسي، وكان أهمها:

- كتب "الأحكام ،و المنتخب ،و الفنون" للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي(تـ/٢٩٨هـ) وهي من أشهر المصنفات الفقهية لدى علماء الزيدية[4].
- كتاب "المجموع الفقهي" للإمام زيد بن علي (تـ/١٢٢هـ) [5].

أما ما جاء من تصانيف متأخرة في هذه الفترة فقد كان عبارة عن شروح وحواشي لهذه المؤلفات، أو ردود على الفرقة المطرفية أو الشافعية بما يضمن بقاء الإمامة في أسرة بعينها وما يعزز مركزها ودورها السياسي والاجتماعي.

(٤) المذهب الإسماعيلي:

سبق القول بأنه قد أقامت الدولة الإسماعيلية الأولى في اليمن على يد أبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب(تـ/٣٠٣هـ) ورفيقه علي بن الفضل الجدني الجيشاني(تـ/٣٠٢هـ) وأقيمت الدولة الثانية على يد الداعي علي بن محمد الصليحي(تـ/٤٥٩هـ) والتي استمرت (٤٣٩- ٥٣٢هـ)[6]، وهي فترة موضوع دراسة الباحث.

والإسماعيلية وهي فرقة من فرق الشيعة، لم يكن يُهمُّها من الفقه شيئ قدر ما يهما ما يحوم حول الإمامة والرئاسة، وحقهم المقدس فيها إلى يوم القيامة، لأن الإمامة في اعتقادهم ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لإمام أن يفوض الإمامة إلى الأمة ،بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، فيصبح معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً ﷺ هو الذي عينه رسول الله ﷺ بنصوص ينقلونها

١- إبراهيم بن القاسم، المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٣.
٢- أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٢،ص ١٨١، ٢١٣.
٣ - أحمد بن أبي الرجال ،المصدر نفسه، جـ٢،ص ١٨١ ؛حميد المحلي، مصدر سابق ، جـ٢،ص ١٠٧.
٤ - إبراهيم بن القاسم، المصدر السابق جـ١،ص ٢٧٧- ٢٧٨].
٥-. إبراهيم بن القاسم، المصدر السابق جـ١،ص ٢٧٧.
٦- أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب ،ص ٩١- ٩٣؛ ١٠٠- ١٠١.

ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، وهي في الغالب مستورة لا يعلمها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة[1].

وإذا كان الإسماعيلية ترى أن الاجتهاد باطل وخروج عن الدين، وأن ما لم يوجد فيه نص لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه فإن مرده إلى الإمام وحده[2]، فأي مجال يبقى بعد ذلك لأصحاب العقل والاجتهاد من الفقهاء والدعاة، الأمر الذي يوجب إتباع ما أتى به الإمام أو صدَّق عليه؛ كما في كتب القاضي النعمان، الذي عاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين وهو المشرع الفقهي للإسماعيليين[3] حسب زعمهم.

وإذا كانت هذه هي منزلة القاضي النعمان بن محمد لدى كل الإسماعيلية؛ فإن مؤلفاته الفقهية هي الأخرى كانت لها منزلة عظيمة[4]، كونها قائمة على نظرية المَثَلْ والممثول[5]، وكان تفقه إسماعيلية اليمن على هذه الكتب أيضاً:

- كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان[6].
- كتاب تأويل الدعائم للقاضي النعمان ، والذي أثبت فيه أن لكل حكم من الأحكام الفقهية ظاهراً وباطناً، ويجب تعبد الله بالظاهر والباطن معاً[7].

وهناك إشارات إلى وجود مؤلفات فقهية أخرى حوتها مكتبة الإسماعيلية في اليمن، وكذا مؤلفين يمنيين في تلك الفترة إلا أنه لم يتيسر الإطلاع على تفاصيلها[8]، تشير عناوينها إلى فقه سياسي واقتصادي ودعوي.

وخلاصة القول: أن اليمن في هذه الفترة حظيت بالعديد من المدارس الفقهية المذهبية، ووجد بهذه المدارس أعداد كبيرة من العلماء والطلاب المشتغلين بالفقه وأصوله تدريساً وتأليفاً، إلا أن العامل المذهبي أضفى على هذه المؤلفات صبغة التقليد وإغفال جانب الاجتهاد ويظهر ذلك من خلال انكفاء أتباع كل مذهب على المؤلفات القديمة وما ظهر هو عبارة عن اختصارات وشروح وإضافات تعمق النظرة العدائية للمذاهب الأخرى وتعمل على إرساء قواعد الإمامة والحكم خاصة لدى الزيدية والإسماعيلية،وأما جانب الاجتهاد الفقهي الذي يعمل على حل الإشكالات الموجودة في تلك الفترة فالراجح أنه كان غائباً الأمر الذي جعل المذهبية والعصبية تسيطر على الحياة الاجتماعية، ففي المناطق السهلية وما جاورها غلب عليهم الفقه الشافعي وفي صنعاء وحراز وجبلة

---

١ – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ،ص،٤٠٥.
٢- النعمان التميمي، اختلاف أصول المذاهب،ص ٣٠٢، ٣١٠.
٣ - النعمان التميمي، تأويل الدعائم، جـ١،ص ١٢، من كلام المحقق محمد حسين الأعظمي.
٤ – النعمان التميمي، المصدر نفسه، جـ١، ١٥.
٥ - عند(أفلاطون) إذ أنه يرى أن مافي العالم من أشباح يقابلها في العالم العلوي مثل عليا،وكذلك ترى الاسماعيلية أن في عالم الدين مثلا لممثولات في العالم الروحاني،فسموا ظاهر الدين مُثلاً وبواطنها الروحانية ممثُولا،[محمود صالح،حركة الشعر في دمشق تحت الحكم الفاطمي،ص١١٤]
٦ - النعمان التميمي ،تأويل الدعائم، جـ١، ١٤.
٧- النعمان التميمي،التأويل،مصدر سابق، الصفحة نفسها.
٨- أنظر في ذلك تأويل الدعائم، جـ١،ص ١٦- ١٧.

كان الفقه الإسماعيلي قوياً مع وجود يسير للفقه الزيدي الذي سيطر على صعدة والبون وما جاورهما من الهجر العلمية.

٢ - اللغة العربية.

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، اختصها الله تعالى لما فيها من البيان من بين سائر اللغات فقال:{ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}[١].

والقرآن الكريم أنزل في فترة ازدهار اللغة العربية، حيث كان العرب أهل فصاحة وبلاغة، والقرآن نزل بلغة الإعجاز والتحدي لهؤلاء الفصحاء والبلغاء فقال تعالى:{ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}[٢].

ومن أجل نقل القرآن الكريم إلى الشعوب التي دخلت في الإسلام كان لا بد من الاهتمام بلغة القرآن كي يسهل فهمه، ولكي يستطيع غير العرب من فهم علومه الشرعية من تفسير وحديث وفقه، والتي لا يستطيع طالب العلم فهمها إلا بتعلم اللغة العربية، ومن هذا المنطلق حظيت اللغة العربية باهتمام المسلمين في كل مكان[٣].

وتعد اللغة العربية بفروعها من أهم المقررات الدراسية في مجتمعات العالم الإسلامي لما تمثله فروعها من عناصر أساسية في ثقافة الدارسين والعلماء في كل الدروس، حيث يجب على دارس العلوم الشرعية أن يكون ملماً بفروع اللغة، بحيث لا يكون الفقيه والعالم مشاركاً في هذه العلوم إلا بعد إتقان هذه الفروع[٤]ومن فروع اللغة العربية التي كانت تدرس في عهد الدولة الصليحية ما يلي:

(١) علم النحو:

كان الاهتمام بعلم النحو في عموم العالم الإسلامي ومنها اليمن وذلك من خلال وضع القواعد والأسس التي تحافظ على اللغة وتعمق إتقانها، فبُذِلت جهودٌ كبيرة في هذا المجال كان نتيجتها العديد من الكتب والمصنفات والشروح المتنوعة، وتنقلت هذه العلوم بين عموم البلدان وانتفع بها طلاب العلم والعلماء[٥].

ومع أن اليمن في هذه الفترة لم يكن له نصيب كبير في تلك المؤلفات إلا أن وجود الكثير من علماء النحو واللغة الراحلين من اليمن وإليها يدل على اهتمام اليمنيين بهذا العلم، فنقلوا الكثير من المؤلفات كان أهمها:

- مختصر العين لأبي الحسن بن إبراهيم بن سعيد الخوافي(ت/ ٤٣٠هـ)[٦].

١- سورة يوسف آية ٢.
٢ - سورة البقرة آية ٢٣.
٣- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٦، ١٧٥.
٤ - عبد الله الحبشي، مصادر الفكر،ص ١٣.
٥ - عبدالرحمن المختار، مرجع سابق،ص٣٢٢، ٣٢٣.
٦- نحوي مصري له مصنفات منها – إعراب القرآن (في عشر مجلدات)[الذهبي، السير جـ١٧، ص٥٢١- ٥٢٢].

- غريب الحديث في اللغة لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت/٢٢٤هـ) [1].
- الجمل الكبرى في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت/٣٣٩هـ) [2].
- كتاب الكافي في النحو لأبي جعفر الصفار(ت/٢٣٨هـ) [3].
- مقدمة ابن باشاذ (ت/٤٦٩هـ) لأبي الحسن طاهر بن أحمد بن باشاذ النحوي، وله شروح لجمل الزجاجي وكان إمام عصره في مصر [4].

كما اشتهرت اليمن بعدد من اللغويين والنحويين الذين تربوا على هذه المصنفات، وأسهموا في إثراء هذا الميدان بمصنفات مهمة وإن كانت قليلة، إلا أن البعض منها نال شهرة واسعة، وصارت تدرس ويتناقلها الطلاب مثل غيرها من الكتب الواصلة من خارج اليمن ومنها:

- نظام الغريب: للغوي عيسى بن إبراهيم الربعي (ت/٤٨٠هـ)، والذي كان من أئمة اللغة في اليمن والمحقق لمُشْكِلِها[5] ،وظل هذا الكتاب يدرس حتى القرن الثامن الهجري.
- قيد الأوابد: قصيدة شعرية لإسماعيل بن إبراهيم الربعي(ت/بعد ٤٨٠هـ)،نظم فيها الكثير من كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي[6] وكان شاعراً وأديباً في زمن الصليحيين.

وكانت أسرة بني الربعي هذه تسمى بالنحويين[7]، وقد كانت اليمن وخصوصاً بعض المناطق ومنها تهامة تعد من البلدان التي يجيد أهلها النحو ويقل فيهم اللحن، باعتبارها مهد العرب وموطنهم الأصلي، ولهذا كان من يريد أن يتعلّم أصل اللغة يخرج إلى البوادي فيختلط بأهلها الذين يتحدثون اللغة على أصولها الأولى، ولقد سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي[8] من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد تهامة[9].

وممن ورد ذكرهم في هذه الفترة؛من أهل هذه البلدان ،الشاعر الإسماعيلي الفقيه عمارة اليمني(ت/٥٦٩هـ) والذي دخل زبيد عام ٥٣٢هـ وحصل معه ومع معلمه ما يفيد ويثبت ذلك[10].

(ب)علم الأدب و الشعر:

الشعر والنثر هما ركنا علم الأدب، ويعبر عنهما ابن خلدون فيقول:" إنهما الإجادة في المنظوم والمنثور من كلام العرب"[11].

١- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٦٤.
٢- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٣- المصدر نفسه، الصفحة نفسها ؛عبد الله الحبشي، مصدر سابق،ص ٣٦٩.
٤ - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢٢،ص ١٧، ١٩.
٥ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٦؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٨٤؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ٢،ص ٢١١٨.
٦- منها نسخة بمكتبة القاضي محمد العمري بصنعاء [الحبشي، مصدر سابق،٣٦٨، عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٦؛ مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٢٥٠، قلادة النحر، جـ٢،ص٤٥٨.
٧- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٥٦.
٨ - هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي إمام النحو واللغة ومخترع علم العروض و القوافي،(تَ/١٧٥هـ)[الجندي،مصدر سابق،جـ١ ص٢٦٨].
٩- محمد الداودي،طبقات المفسرين، جـ١،ص ٤٠٠.
١٠- عمارة/ الأكوع،المفيد،ص ١٢٥.
١١ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص ٥٥٣.

فالشعر يعني الكلام الموزون المُقفّى (الذي تكون أوزانه قافية واحدة) أما النثر فهو الكلام غير الموزون ومنه السجع ومنه المرسل[١].

والأدب بركنيه يعد سلاحاً فتاكاً في مقارعة الأعداء لا يقل أهمية عن السلاح التقليدي المعروف، والظروف الطبيعية قد ساعدت إلى حد كبير في استخدام هذا السلاح، لا سيما الخلافات والنزاعات التي تحدث بين الزعماء والسلاطين العرب بين الحين والآخر، ولم يكن ذلك السلاح الأدبي سوى سلاح الشعر الماضي الفتاك الذي لا جدال في أن العرب كانوا يجيدون استخدامه[٢]، ومنهم اليمنيون في تلك الفترة لكثرة النزاعات بين الزعماء والسلاطين من جهة، وبين المذاهب والفرق من جهة أخرى.

أما عن الأغراض الشعرية الأدبية التي دارت على ألسنة أولئك الشعراء والذين أوتوا نصيباً من الشاعرية، سواءً من الأمراء أو الفقهاء أو الأدباء، فهي لا تخرج عن الأغراض التي أفرزتها وأنتجتها طبيعة الأحداث في تلك الفترة، ومن خلال الوقوف على النصوص المحفوظة في كتب التاريخ يلاحظ أنها لا تتجاوز الفخر والوعيد والهجاء والعتاب والرثاء والوصف.

وفي السياق نفسه كان الجانب الأدبي النثري يسير جنباً إلى جنب مع الجانب الشعري، وما حفظه التاريخ كان شاهداً على وجود حركة أدبية نثرية لا بأس بها،و تتمثل هذه الحركة في دواوين الإنشاء ومجالس الوعظ والتشويق التي كانت تعقد في زمن الإسماعيليين سواءً في مصر أو في اليمن، وكذلك الخطب والمراسلات الديوانية، والتي اشتهرت بها الدولة الفاطمية أثناء التواصل مع أمرائها[٣]، وخير دليل على ذلك ما حفظه التاريخ من سجلات فاطمية، ومراسلات مع الصليحيين في اليمن[٤].

أما عن المقررات الأدبية والشعرية فلم تذكر المصادر التاريخية أيّ مقررات دراسية خاصة بالشعر أو بالنثر، وإنما جاء التركيز على ذكر أدباء وشعراء كتبوا رسائل نثرية أو قصائد شعرية لا تكاد تخرج عن الأغراض المذكورة سابقا، باستثناء السجلات الفاطمية التي كانت تردُ من مصر، والتي كان يُؤمر بقراءتها على عامة الناس في الجوامع والمحافل العامة[٥]، وفي ذلك نوعٌ من التربية السياسية.

وعليه فإن الباحث سيذكر بعض الأمثلة الشاهدة على دور أدباء وشعراء هذه الفترة في إثراء العمل الأدبي واستخدامه كسلاح فاعل ولأغراض متعددة، ودور كل من السلاطين والأمراء والعلماء والأدباء في ذلك:

١-صدّيق القنوجي، أبجد العلوم،ص ١٥٧.
٢ - يوسف حوالة، الحياة العلمية، جـ٢، ص١٧٤، ١٧٥.
٣- يوسف حوالة، المرجع نفسه، ص١٧٦.
٤ - إدريس الأنف، عيون الأخبار، جـ٧،ص ٩٧، ١٢٠.
٥ - إدريس الأنف، المصدر السابق، جـ٧،ص ١٠٣، ١٠٤.

- الأمراء الشعراء:

إن ممن تناول الشعر وكان ضليعاً في الأدب من سلاطين وأمراء هذه الفترة؛ الملك علي بن محمد الصليحي، فبعض المصادر تروي أنه كان شاعراً أو يتذوق الشعر والأدب، ومن أشعاره المتداولة بين الناس في مجال الوصف والفخر[1] قوله:

أنْكَحْتُ بِيْضَ الهِنْدِ سُمْرَ رِمَاحِهِمْ ... فرُؤُوسُهُمْ عَوضَ النثَار نثَارُ

وكَذَا العُلا لا يُسْتَبَاحُ نِكَاحَهَا ... إلا بِحَيْثُ تُطلَقُ الأعْمَارُ[2]

وفي مجال الطموح وبعد النظر قال على لسان حاله:

والَذُّ مِنْ قَرْعِ المَثَانِيْ عِنْدَهُ ... فِيْ الحَرْبِ أَلْجِمْ يَا غُلَامُ وَأَسْرِج

خَيْلٌ بِأقصَى حَضْرَمُوتَ مَجَالُهَا ... وَصَهِيْلُهَا بَيْنَ العِرَاق وَمَنْبَج[3]

ومن الأمراء الشعراء الأمير سبأ بن أبي حمير بن أحمد الصليحي(تـ/٤٩٣هـ) وكان فصيحاً شاعراً يحب الشعراءُ، ومن شعرهم ما يدل على ذلك قول الحسين بن القمّي:

ولمّا مَدَحْتُ الهِزْ بَرىُ ابْنَ أحْمَدِ ... أجَازَ وكَافَأنِيْ عَلَى المَدْحِ بِالمَدْحِ

فعَوْضَنِيْ شِعْرَاً بِشِعْرِي وَزَادَنِي ... عَطَاءً فَهَذَا رَأسُ مَالِيْ وَذَا رِبْحِي[4]

ومن الأمراء الشعراء الأمير جياش بن نجاح(تـ/٤٩٨هـ) والذي كان يلقب بالملك الطامي، وقد ذكر أنه كان ملكاً عادلاً شاعراً فصيحاً بليغاً، وله ديوان شعر في مجلد كبير، وفي مجال النثر له ترسلٌ حسن ومنه عدة مجلدات، وشعره يجمع بين العتاب والغزل والحكم ومنه قوله:

إذَا كَانَ حِلمُ المَرْءُ عَوْنُ عَدُوهِ ... عَلَيْهِ فَإنَ الجَهْلَ أبْقَى وَأرْوَحُ

وَفِيْ الصَفْحِ ضَعْفٌ والعُقُوبَة قُوَةٌ ... إذَا كُنتَ تَعْفُو عَنْ كَثِير وَتَصْفَحُ[5]

قالها مبرراً موقفه؛بعد ما حصل منه قتل الحسن بن أبي عقامة.

ومن الشعراء المجيدين، الوزير خلف ابن أبي طاهر الأموي[6] الملقب بقسيم الملك، كان جياش قد عاهده إن عاد إليه الملك بعد أبيه وأخيه ؛فإنه يقاسمه ذلك وفعل، ثم تغير الوضع بينهما؛ فلما خافه هرب منه، فأرسل إليه جياش يستعطفه في العودة إليه، فأجاب عنه قائلاً:

إذَا لَمْ تَكُنْ أرْضِيْ لِعِرْضِيْ مُعِزَةٍ ... فلسْتُ وَإنْ نَادَتْ إلَيَّ مُجِيْبُهَا

وَلَوْ أنهَا كَانَتْ كَرَوْضَةِ جَنَةٍ ... مِنْ الطِيْبِ لمْ يَحْسُنْ مَعَ الذُل طِيْبُهَا

وَسِرْتُ إلَىَ أرْضٍ سِوَاهَا تُعِزُنِيْ ... وَإنْ كَانَ لَا يَغْوِيْ مِنْ الجَدْبِ ذِيْبُهَا[7]

والخلاصة أن من تولى الإمارة لا بد أن تكون لديه قريحة شعرية تعينه في معركته مع

١- عمارة/ الأكوع، المفيد مصدر سابق،ص ٢٧٨.
٢- الحسين الهمداني، الصليحيون،مصدر سابق،ص ١١٣.
٣- الحسين الهمداني ،المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٤- إدريس الأنف، العيون،مصدر سابق،جـ٧،ص ١٤٣؛ الحسين الهمداني، المصدر السابق،ص ١٦١.
٥ - عمارة/ الأكوع، المصدر السابق،ص ٢٧٦.
٦ - هو خلف بن أبي طاهر المنسوب إلى زياد بن أبيه دعي أبي سفيان بن حرب، صحب جياش بن نجاح إلى بلاد الهند فعاهده على قسمة الملك فسمي لذلك بقسيم الملك [عمارة /كاي، المفيد،ص ٢٧٧].
٧- عمارة/ كاي المفيد،مصدر سابق، ٢٧٩؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ٢ ،ص ٤٥٢.

مناوئيه أو يكون له من ينوبه وينطق باسمه شعراً ونثراً.

- العلماء الشعراء:

لم يكن قول الشعر وتذوق الأدب وقفاً على فئة الأمراء والأدباء وحدهم، بل شارك بعض العلماء والفقهاء في إرواء الحركة الشعرية والنثرية بفيض لا بأس به من شعرهم ونثرهم المتعدد المعاني والأغراض[١].

وما يميز شعر هذه الفئة عن غيرهم من الشعراء أنهم لم يقولوا الشعر من أجل التكسب كما هو حال أغلب الشعراء، وإنما قالوه إما نقداً أو وصفاً أو رثاءً لخطب من الخطوب أو حادثة من الحوادث، ومنهم الشاعر العلامة الخطاب بن الحافظ الحجوري(تـ/٥٣٣هـ)، وأخوه سليمان بن الحافظ(تـ/ بعد ٥٢٠هـ)، وكان الخطاب إسماعيليَّ المذهب، وأخوه سليمان سنيَّ المذهب، ولهما ديوانان من الشعر، فعدا من فقهاء وشعراء اليمن[٢].

وممن كان له باعٌ في هذا المجال: قاضي القضاة أبو بكر بن محمد بن عبد الله اليافعي (تـ/٥٥٢هـ)، الذي عاصر الدولتين الصليحية والزريعية، وكان فقيهاً أديباً، أخذ عنه الأدب عددٌ من الناس[٣]، جمع بين الشعر والنثر، وله ديوان مشهور يقع في مجلدين معظمه في المدح والتوسل، وكان خطيباً مفوهاً[٤].

والذين تناولوا الشعر وتذوقوه من الفقهاء اليمنيين أكثر من أن يحصوا في كل العصور إلا أنه يختلف مدى اهتمامهم من عالم أو فقيه إلى آخر،و منهم: ابن عبدويه المهروباني، والفقيه عمر بن علي بن أسعد السلالي (تـ/بعد٥٢٠هـ)، والفقيه الشاعر عمارة بن علي الحكمي اليمني ،المشهور بتاريخه وشعره، وأبو الفتوح ابن عبد الحميد الفائشي[٥] ،وأبو السعود ابن زيد – كان حياً أيام سبأ بن أحمد الصليحي – وكان أغلب شعره في ذم ومقارعة الإسماعيلية، ومن شعره الأرجوزة التي كانت سبباً في قتله[٦].

ومن أدباء اليمن وعلمائه، المؤرخ الزيدي المطرِّفي مسلّم اللحجي، صاحب كتاب طبقات الزيدية المشهور بتاريخ مسلّم ،والذي قال عنه ياقوت[٧] أنه :" أديب اليمن"، وله مصنف في الأدب اسمه (الأترجة)؛ تناول فيه أدباء وشعراء اليمن من قبل الإسلام إلى عصره[٨]، ومن علماء حضرموت برز في الأدب والشعر العلامة الأديب إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي (تـ/٤٧٥هـ)، وله ديوان شعر اسمه السيف النقاد[٩].

---

١ - يوسف حوالة، مرجع سابق،جـ٢،ص ٢٣٤.

٢- عمارة/الأكوع، مصدر سابق،٢٥٠، ٢٥٢؛ مصطفى غالب، الأعلام، ٢٨٠- ٢٨٢، وقد سبق ذكر الخطاب في علوم التفسير وله ديوان شعر نشره إسماعيل قربان في مصر عام (١٩٦٧م)[الحسين الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن،ص ٢٧٠].

٣- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٠٦.

٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٦٥، ١٦٦؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٠٦.

٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٤٧، ١٤٨؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق جـ١،ص ٣٠٨، ٣٠٩.

٦ - مسلّم اللحجي، التاريخ،ص ١٣٢، ١٣٣؛ يحيى بن الحسين، الطبقات الصغرى،ص ٤٦.

٧- ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥،ص ١٦.

٨ - عبدالرحمن المختار، مصدر سابق،ص ٣٤٦.

٩- عبد الملك حميد الدين، الروض الأغن، جـ١،ص ٢٠؛ با وزير، صفحات من تاريخ حضرموت،ص ٧٠.

ومن العلماء الشعراء القاضي الأديب الحسن بن محمد بن أبي عقامة(ت/٤٨٦هـ)،كان غزير العلم،ومع غزارة علمه وجلال قدره؛كان شاعراً فصيحاً مسترسلا، وقصيدته المعروفة بالنونية تدل على ذلك، حيث قال في مطلعها:

إذَا لَمْ تَسُدْ فِيْ لَيَالِيْ الشَبَابْ فَلَا سُدْتَ مَا عِشْتَ مِنْ بَعْدَ هُنَهْ

وَهَلْ جُلَ عُمْرَكَ إلَا الشَبَابْ فَخُذْ مِنْهُ حَظَّاً وَلَا تُهْدِرَنَّهْ

وهي قصيدة طويلة تدل على اتساع علمه وعلو همته،ومقدرته الشعرية والأدبية[١] .

وخلاصة القول: أن أدب الفقهاء تميز عن أدب الشعراء بالتزامه بأخلاق وآداب وقيم الإسلام العامة، فليس فيه ما يدعو إلى مدح كاذب يسعى من ورائه إلى طلب المال أو الجاه كما هي عادة الشعراء، ولكن كان أقرب إلى الإيمان والعمل الصالح مصداقاً لقوله تعالى:{ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**}[٢].

وكان بعض الفقهاء يكره الشعر ويعيب على من يشتغل به من زملائه العلماء، فلم يكن الأدب أساسياً لديهم وإنما عارض أثناء أعمالهم الفقهية والعلمية الأخرى[٣]، فكان أغلب شعرهم إما مدحاً لشيخ أو رثاءً لفقد آخر أو عتاباً بين شيخين أو مناجاة أو توسلاً إلى الله سبحانه وتعالى أو حمداً له على نعمائه وفضائله[٤].

ومن ذلك مدح الإمام سيف السنة لشيخه الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني على تأليف كتابه (البيان) حيث قال:

سَقَىْ اللهُ يَحْيَىَ سَلسَبِيْلَا وَخَصَّهُ بقصْرٍ مِنْ اليَاقُوتِ أعْلَى جِنَّانِ

بِتَصْنِيْفِهِ هَذَا الكِتَابَ الذِيْ حَوَى تَصَانِيْفِ أهْلَ الفِقهِ قَاصٍ وَدَانْ

وسَمَّاهُ بِالِإسْمِ الذِيْ هُوَ أهْلَهُ بَيَانَاً ومَا فِيْ الأرَضِ مِثْلُ بَيَانِ[٥]

وفي الرثاء يقول الفقيه عمر بن علي السلالي، رثاءً لوفاة شيخه الإمام عبد الله بن محمد بن عبدويه المهروباني:

أمِنْ بَعْدِ عَبْدَاللهِ نَجْلِ مُحَمْدٍ يَصُونُ دُمُوعُ العَيْنِ مَنْ كَانَ مُسْلِمُ

تَضَعْضَعَ بُنْيَانُ العُلُومِ لِفَقْدِهِ وَأصْبَحَ وَجْهُ الدِيْنِ أرْبَدَ أقتَمُ[٦]

وفي المناجاة والتوسل والصبر على المصائب يقول بن عبدويه المهروباني أيضاً:

وَقَالُوا قَدْ دَهَى عَيْنَيْكَ سُوءٌ فَلَوْ عَالَجْتَهُ بِالقَدْحِ زَالَا

فَقُلْتُ الرَبُّ مُخْتَبِرِيْ بِهَذَا فَإنْ أصْبِرْ أنَلْ مِنْهُ الجَلَالَا

١ـ الطيب با مخرمة،مصدر سابق،جـ٢،ص٢٠٨٣.
٢ - سورة فاطر آية ٢٧.
٣ - حسين الأهدل، تحفة الزمن،ص ٢٥١، ٢٥٢.
٤ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١، ٣٢٣؛ حسين الأهدل، مصدر سابق، ص٢٧٠ ؛ عبدالرحمن المختار، مرجع سابق، ص٣٥٧.
٥ - محمد الجندي، المصدر السابق، جـ١،ص ٣٢٣.
٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٤٧، ١٤٨؛ محمد الجندي، المصدر نفسه ، جـ١،ص ٢٨٢.

فصَبْراً مَعْشَرَ العُمْيَان صَبْرَ   فَلَيْسَ الأجْرَ عِنْدَ الله مُحَالا

وكان قد لحقه العمى(المياه البيضاء) في آخر أيام حياته،ثم برئ منه بسبب صبره وقوة إيمانه[1].

- الأدباء الشعراء:

ويقصد بهم أولئك الذين طغت عليهم صفة الأدب عامة وصناعة الشعر خاصة[2]، وسواءً كانوا من المساندين للدولة أو الناقمين عليها، وهؤلاء في الغالب غير ملتزمين بآداب الإسلام العامة، فمنهم إما مادحٌ من أجل كسب مال أو منصب أو جاه أو واصف مبالغ أو متهتك، لا يتقيدون بآداب معينة في أغلب الأحيان.

كما حفل هذا العصر بالعديد من الأدباء والشعراء الذين تذوقوا الشعر فقالوه لأغراض متعددة؛ كان أهمها المدح والهجاء والوصف والغزل والفخر.

واشتهرت بعض الأسر بتذوق الشعر وتقوله؛ كأسرة آل أبي الحسن الحكميون، وأسرة آل أبي عقامة المشهورة بالأدب والشعر والفصاحة، وبذلك حظيت هذه الأسر باهتمام الأمراء والملوك من بني نجاح في زبيد[3].

وكما هي العادة لدى الشعراء والأدباء المتكسبين، يقولون الشعر مدحاً لمن أعطى ولمن غلب، فألسنتهم تلهج بذكر من يكون لهم الأمر والحكم، ومن أمثال هؤلاء الشاعر حسين بن علي بن القم (ت/بعد٤٧٧هـ) والذي كان شاعراً وأديباً مدح ملوك بني نجاح ثم ملوك بني الصليحي، وهو كما يصفه الخزرجي:" من أجود أهل اليمن فصاحة وبلاغة وشعرا... وهو في اليمن كالمتنبي في العراق والشام "[4]، وله رسائل توضح حسن ترسله وإجادته لهذا النوع من النثر على لسان المكرم إلى الخليفة الفاطمي[5].

وممن يستحق الذكر من هؤلاء الشعراء؛ عمرو بن يحيى بن أبي الغارات الهيثمي(ت/٤٧٠هـ) الذي جعل منه علي بن محمد الصليحي شاعره الخاص، وكان أديباً بليغاً فصيحاً ،من شعره على لسان الصليحي والذي يغلب عليه الفخر والحماسة:

سَلْ فَرَسِيْ عَنّي وَدِرْعِيْ وَ صَعْدَتِي   وَسَيْفِـيْ إذا مَا المُشْرَفِيَّةِ سُلَّتِ

أنَا ابْنَ رَبِيْـعَ المُنْشِـدِيْنَ مُحَمَّـدِ   إذا المعصرات السُودُ بالمَاءِ ضَنُتِ

وَسُمِيْتُ فِيْ قَوْمِي عَلِياً لِأنَنِـي   عَلَوْتُ فَأَحْذَيْتِ الكَوَاكِبُ هِمَتِي[6]

---

١ - عمر الجعدي، الطبقات،مصدر نفسه،ص ١٤٦، ١٤٧.
٢- يوسف حوالة، الحياة العلمية،مرجع سابق، جـ٢،ص ٢٣٨.
٣ - عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٣، ٣٢٢.
٤ - علي الخزرجي، طراز أعلام الزمن،ص ١٠٦؛ با مخرمة، قلادة النحر، جـ٢، ص٤٥٢.
٥ - حسين الهمداني،الصليحيون،، مرجع مصدر سابق ،ص٣٠٨، ٣١٨، ضمن رسائل طويلة في ملاحق الكتاب.
٦ - عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ٢٧٧.

ومن اشتهر من الشعراء في ذلك العصر وكان لهم موقف الذم لعلي بن محمد الصليحي ودولته، الشاعر حماد بن أحمد بن يوسف الحجبري[١]، هجا الصليحي وهو لا يزال في جبل مسار، ثم لما ملك الصليحي اليمن هرب حماد إلى جبال خولان ومن شعره:

بَنِيَّ اصْبِرُوا عِنْدَ الزَّلَازِلِ   وَلَا تَجْزَعُوا عِنْدَ الخُطُوبِ النَّوَازِلِ[٢]

ومن الشعراء والأدباء في هذا العصر بنو الربعي، قال عنهم مسلّم اللحجي[٣]: لهم فصاحة وأدب ظاهر اشتروا به ثمناً قليلاً وآثروا الفاني على الباقي ،منهم إسماعيل بن إبراهيم الربعي(ت/٤٨١هـ) وكان مؤدباً لأولاد الصليحي، وكان يمدحهم كثيراً، وهو صاحب القصيدة المشهورة في علم النحو (قيد الأوابد)، ومنهم كذلك ابن أخيه يحيى بن محمد بن إبراهيم الربعي(ت/ بعد ٤٨١هـ)[٤].

ومن خلال ما سبق يمكن القول :أن الصفة الغالبة على شعر هذه المدة، يتمثل في مخاطبة الملوك والسلاطين والتغني بمجدهم وكرمهم، والثناء والشكر على أعمالهم، باستثناء البعض من الشعراء- وهم قليل- الذين اتجهوا إلى ذكر مساوئ الصليحيين والتحذير من معتقداتهم وأعمالهم، كما يلاحظ تأثير العامل المذهبي الواضح على سير الحركة الفكرية و الأدبية، وكذلك العامل السياسي كان له دور بارز في الحياة الأدبية شعراً ونثراً، وظهر أثر العامل الجغرافي من خلال محافظة بعض المناطق على سليقتهم اللغوية بعيداً عن الاختلاط الذي يضعف ذلك،كما ظهر اثر العامل الاقتصادي في تردد الشعراء على الملوك والأمراء بغية العطاء لكثرة ما في أيديهم من الأموال .

٣- العلوم الأخرى.

اهتم أهل اليمن كغيرهم من البلاد الإسلامية بالعديد من العلوم إضافة إلى العلوم الرئيسة السابقة (الدينية و اللغوية)، وسميت هنا رئيسة لوجودها في مؤسسات وأماكن التعليم الرسمية؛ مقررات أساسية في فترة حكم الصليحيين، فتعددت هذه العلوم ووجدت لها مؤلفات ونالت اهتمام بعض العلماء ،وهي على النحو الآتي:

أ- علم التاريخ:

يعد علم التاريخ من العلوم التي اهتم بها المسلمون منذ القدم، لما تقدمه من معرفة عن أحوال من مضى من الأمم، فيما يخص ملوكهم ومدنهم وخبراتهم، ومن ثم نقلها والاستفادة منها لمن يروم لهم ذلك[٥].

١- لم نعثر على تاريخ وفاته فيما بين أيدينا من المصادر.
٢ - مسلم اللحجي، تاريخ مسلم،ص ١٣٦.
٣ – مسلم اللحجي،التاريخ،مصدر سابق،ص ٢٥٠.
٤ – مسلم، التاريخ،المصدر نفسه،الصفحة نفسها.
٥ - عبد الرحمن بن خلدون،، المقدمة،ص ٩.

وفي عصر الصليحيين اهتم اليمنيون بعلم التاريخ، فتخصص البعض منهم في كتابة التراجم والطبقات ،وبعضهم في كتابة تواريخ المدن وأحوالها ،والبعض الآخر في سير الملوك ومناقبهم، كما يتضح ذلك من خلال المؤلفات التي وجدت في تلك الفترة.

فمن المؤلفات التي ظهرت في مجال التراجم والطبقات والمناقب كتاب (تاريخ مسلّم) للأديب العالم مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي (ت/٥٤٦هـ)، الذي كان مجيداً للكثير من العلوم، وكتابه هذا يقع في خمسة مجلدات، ويسمى تاريخ مسلم وطبقات مشاهير اليمن، وأكثره في مجال تراجم رجال المطرفية، وذكر بعض الحروب بين أولاد الهادي والقرامطة[١].

ومن التراجم والطبقات أيضاً كتاب مسلّم اللحجي (الأترجة)، حيث تضمن تراجم شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام إلى عصره[٢]، وبهذا يكون مُسَلّمْ اللحجي أول من كتب في طبقات الشعراء في اليمن.

وفي مجال تاريخ المدن وأحوالها وجدت بعض المؤلفات الشهيرة في تلك الفترة منها:

- تاريخ صنعاء للمؤرخ إسحاق بن يحيى بن جرير الزهري الصنعاني (ت/بعد ٤٤٣هـ) أول كتاب يؤرخ لمدينة يمنية منذ فجر الإسلام، وعلى الرغم من أنه أرخ فيه من عصر النبي ﷺ إلى عام (٤٢٩هـ) إلا أنه كان متداولاً بين أبناء اليمن في تلك الفترة، ويمثل مرجعاً علمياً للكثير من العلماء وطلاب العلم[٣].
- تاريخ صنعاء لأبي العباس أحمد بن عبد الله الرازي(ت/٤٦٠هـ)[٤]، وكان إماماً عارفاً بالفقه والحديث، وهو كسابقه اهتم بمدينة صنعاء وملوكها وتقلباتها السياسية، وتراجم علمائها ومعالمها العمرانية[٥].
- تاريخ مدينة زبيد المشهور بالمفيد في أخبار زبيد، للأمير جياش بن نجاح الأحول(ت/٤٩٨هـ) ويعرف بمفيد جياش[٦]، وعلى منواله جاء مفيد عمارة ،و أغلب الظن أنه نقل منه الكثير، ولكن هذا الكتاب عزيز الوجود، ولعل ذلك بسبب تعرضه لأسرة آل أبي عقامة بالقتل والقدح فبالغوا في طلبه وإعدامه[٧].
- تاريخ اليمن – المسمى بمفيد عمارة – للفقيه الأديب نجم الدين عمارة بن أبي الحسين علي الحكمي اليمني(ت/٥٦٩هـ)[٨]، وضمّنه أخبار صنعاء وزبيد، وعمارة يعد من أبرز مؤرخي

---

١ - عبد الله الحبشي، مصادر الفكر،ص ٤٠٦؛عبد السلام الوجيه، أعلام المؤلفين،ص ١٠٢٨، عبدالرحمن المختار، مصدر سابق،ص ٣٨١.

٢- ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥،ص ١٤،علي القفطي، أنباه الرواة، جـ١، ص٣٦١، عبد السلام الوجيه، مصدر سابق،ص ١٠٢٨.

٣ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٦٧.

٤- أحمد الرازي، تاريخ مدينة صنعاء،ص ١١٠ ١١٥.

٥ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٧، ٢٨٢.

٦ - محمد الجندي ،المصدر نفسه،ص ٢٥٥؛ علي الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١١٠، ١١١؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر،جـ٣ص ٤٤٨،حسين العرشي، بلوغ المرام،ص ١٦.

٧- محمد الجندي،مصدر سابق، جـ١، ٢٥٥؛ عمارة/ الأكوع،المفيد،مصدر سابق،ص ٣٨.

٨- محمد الجندي ،المصدر نفسه، جـ١،ص ٣٦١، ٣٦٢.

اليمن وهو الوحيد الذي أرخ للدولة الصليحية في زمنها وعن قرب ولذلك أدرج في ضمن مؤرخي هذه الفترة وإن كانت وفاته وحياته متأخرة عن زمن الدراسة.

- جوهر الأخبار للحسن بن محمد بن أبي عقامة (ت/٤٨٠هـ) تناول فيه الكثير من الأخبار والأنساب لبعض الأسر اليمنية[١].

وفيما يتصل بسير الملوك والأمراء فقد اقتصرت المؤلفات في هذا الجانب على المذهب الزيدي وأئمته – حسب علم الباحث – فلم تكتب سيرة خاصة بملك أو أمير من أمراء اليمن قبل وأثناء هذه الفترة، باستثناء سيرة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي ، وما كتب عن وزراء وأمراء بني نجاح أو عن الصليحيين فهي تعد كتابات تاريخية، و لم تكن مختصة بسيرة أمير أو ملك بعينه كما هو الحال لدى الزيدية، ومن المؤلفات التي برزت في تلك الفترة ما يأتي:

- سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني ،للمؤرخ الأديب مفرج بن أحمد الربعي – كان حياً إلى زمن جياش بن نجاح والملكة الحرة الصليحية - فهذا الكتاب كان مؤلفه معاصراً للإمامين الأميرين (من ٤٣٩هـ إلى ٤٦٨هـ) وهو تاريخ وفاة الأمير القاسم، ثم أخيه محمد في (٤٧٣هـ)، فهو يتطرق إلى تفاصيل حروبهم مع الصليحيين، حيث اعتمد في منهجه على ما شاهده من أحداث[٢].
- سيرة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي – لمؤلف مجهول – تناول فيها مؤلفها تفاصيل (شخصية و سياسية وأسرية) عن حياة الملك المكرم أحمد[٣]، استخدم فيها المنهج الذي استخدمه مفرج الربعي في تدوين سيرة ذي الشرفين، ولعل ذلك يوحي بأن كاتب هذه السيرة ربما يكون هو إسماعيل بن إبراهيم الربعي(ت/٤٨١هـ)، من أسرة آل الربعي سالفة الذكر، وقد كان يعمل مؤدباً لأولاد الصليحي في بلاط ملكهم، وكان ذو ميول واضحة إلى ما عليه الصليحي من (السمعلة)، كما ذكره مسلم في تاريخه عن هذه الأسرة[٤]، ولعل اسمه سقط من هذا المؤلف عن غير قصد، أو ربما يكون سقط عبر الزمن، وربما يكون ذلك التأليف أو الكتابة بإيعاز من مفرج الربعي أيضاً، أو اتفاق بينهما على أن يقوم كل منهما بكتابة سيرة صاحبه وأن يغفل المؤلف كتابة اسمه، حتى لا يواجه اللوم من الآخرين[٥]، خاصة وأن هذا اللوم قد بدا واضحاً من قبل مُسَلَّمْ اللحجي حينما قال:" أن أسرة آل الربعي من الأدباء والشعراء الذين اشتروا بشعرهم ثمناً قليلاً[٦].

١- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٥٢؛ علي الخزرجي، طراز أعلام الزمن،ص ١٠٤؛ عبد الرحمن الوصابي، مصدر سابق،ص ٢٤٧.

٢ - مفرج الربعي،سيرة الأميرين الشريفين،ص ١٨٧، ١٩٠، ١٩١؛ مسلم اللحجي، التاريخ، ص٢٥١؛ أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٤،ص ٤٣.

٣- مجهول، سيرة الملك المكرم،ص ٨- ١٢.

٤ - مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٢٥٠ .

٥ - عبدالرحمن المختار، مرجع سابق،ص ٣٦٩.

٦ - مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٢٥٠.

وهنالك بعض الكتابات التاريخية التي عنيت بتاريخ بعض الفرق المذهبية في تلك الفترة منها كتاب (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة)[١] للعلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري(ت/في القرن الخامس الهجري)[٢] وألف كتابه هذا بناءً على مشاهدته لأحداث ووقائع عايشها بنفسه كما يفيد مؤلفه.

مما سبق يتضح أن هناك تنوعاً واختلافاً في مجال وموضوع المؤلفات التاريخية التي وجدت في زمن الصليحيين، وهذا التنوع راجع إلى تأثير العوامل الدينية و المذهبية والاجتماعية والطائفية التي كانت سائدة في ذلك العصر، والتي ساهمت بدورها في ترسيخ دعائم هذا العلم فسلكت به مسلكاً جديداً تمثل في المنافسة في كتابة السير والطبقات لدى كل المذاهب والفرق الإسلامية آنذاك، فكان لذلك عظيم الأثر في إثراء الحياة العلمية بما تحتاجه من المصادر التي تتحدث عن الماضي وتجاربه وخبراته وتأثير عوامله السياسية وغيرها في سير العملية التعليمية بشكل عام.

ب- علم الكلام والمنطق والفلسفة:

علم الكلام هو العلم الذي يعمل صاحبه بواسطته على إثبات الحقائق الدينية، بإيراد الحجج عليها ودفع الشُبَه عنها[٣].

والمنطق هو علم يعصم الذهن عن الخطأ،في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة،فائدته تمييز الخطأ من الصواب[٤]

والفلسفة هي علم خاص بالنظر في المعرفة والخبرة، من أجل تنظيم وتفسير وتوضيح ونقد ما هو موجود بالفعل في ميدان المعرفة والخبرة[٥].

وقد لاقت دراسة هذه العلوم معارضة شديدة من أتباع بعض الفرق والمذاهب الإسلامية في العالم الإسلامي عموماً وفي اليمن خصوصاً، ومع تطور هذه العلوم وتشعب وتنوع الفرق الإسلامية وتعمق الخلاف فيما بينها؛ وجدت أغلب هذه الفرق أنه لا بد من الخوض في غمار علم الكلام من أجل الرد على المخالفين والمتكلمين[٦]، فأخذوا علم الكلام واشتهر لدى كل من الزيدية والسنة في اليمن في تلك الفترة[٧]، لتأثير الفكر المعتزلي على زيدية اليمن، وأما الفلسفة فقد اشتهر بدراستها والعناية بها أتباع المذهب الإسماعيلي بشكل ملحوظ، لتأثرهم بالفلسفة اليونانية والماورائية[٨](الغيبيات).

١- طبع الكثير منه: طبعة بتحقيق محمد زينهم محمد عزب،طبعة عن دار الصحوة للنشر في القاهرة عام ١٩٨٦م،وأخرى بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع طبعة صادرة عن مركز الدراسات والبحوث اليمنية في صنعاء عام ١٩٩٤م.

٢ - يرجح أيمن فؤاد سيد :أنه أخ القاضي لمك بن مالك الحمادي ،قاضي قضاة الدولة الصليحية وداعي البلاغ في عهده.

٣ - طاش زادة، مفتاح السعادة، جـ٢، ص١٥٠.

٤- عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة،ص٢٩٠.

٥ - فيليب فينكس، فلسفة التربية،ص ٢٤.

٦ - طاش زادة، مصدر سابق، جـ٢،ص ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩.

٧ - عبد الله الحبشي،مصادر الفكر،ص ٥٧٢.

٨- طه أبا زيد،فكرة الزمان عند أخوان الصفا،ص ٥١، ٥٤.

وفيما يخص علم الكلام فقد شهد تطوراً ملحوظاً، من خلال ما دار بين الفرق والمذاهب من جدل، وخاصة لدى الزيدية الذين يميلون إلى المعتزلة في معظم أفكارهم ، وبين بعض علماء السنة وعلماء الباطنية[١].

وكانت الخلافات المذهبية تؤدي دورها في السعي إلى التمكن من هذا العلم، من أجل السيطرة والظهور على الفريق الآخر، فوضعوا في ذلك المصنفات وبرز عدد من العلماء الذين اشتغلوا في هذه العلوم.

ففي مجال علم الكلام ظهرت العديد من المؤلفات منها:

- كتاب الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الزيغ والبدعة، للحسين بن جعفر المراغي(تـ/قبل ٥٠٠هـ)، الذي أخذ عنه الكثير من الطلاب في مدرسة سهفنة[٢].
- كتاب إيضاح البيان، للفقيه أبي محمد عبد الله بن أبي الهيثم (تـ/٥٠٣هـ)[٣].
- كتاب السبع الوظائف على مذهب السلف الصالح، في علم الكلام، للعلامة عبد الله بن يزيد بن عبد الله اللعفي الحرازي (تـ/ بعد ٥٠٠هـ)[٤].
- التبصرة في علم الكلام، ليحيى بن عيسى بن ملامس – ممن عاصر الصليحيين – ومن أساتذة زيد بن الحسن الفائشي[٥].
- كتاب الانتصار في الرد على القدرية الأشرار، للإمام يحيى بن أبي الخير العمراني والذي دفعه إلى ذلك هو الرد على القاضي جعفر بن عبد السلام فقيه الزيدية ومتكلمها عندما نزل إلى إب من أجل مناظرة علمائها السنة[٦].

ولما كان الإسماعيلية يعدون الفلسفة منهجاً يدينون به ،وطريقة من طرق الكسب والتربية للأتباع والمبتدئين؛ فقد عمدوا إلى تأليف كتبٍ يغلب عليها الطابع الفلسفي، متأثرين في ذلك (برسائل إخوان الصفا وخلان الوفا)[٧] والتي أصبحت لديهم (قرآن الأئمة) والقرآن الكريم هو قرآن للعامة[٨].

وما ترويه كتب التاريخ يدل على أن قضاة الدعوة الإسماعيلية ودعاتها في اليمن في هذه المدة قد زودوا المكتبة الإسلامية الإسماعيلية بالعديد من المؤلفات الفلسفية، أمثال القاضي لمك بن

---

١ - عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية،ص ٣٩٢.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٨٩، ٩٠.
٣ - يحيى بن الحسين،الطبقات الصغرى،ص ٩٨، ٩٩؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات الكبرى، جـ١،ص ٩٢.
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ١١٢؛ محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ٢٥.
٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٢٠، ١٧٧.
٦- يحيى بن الحسين، مصدر سابق، ص١٢٩.
٧ـ جماعة تنسب إلى القرامطة العبيديين،ظهرت في القرن الرابع الهجري،من أشد الدعوات الفكرية سرية وغموض،جمعت بين مذهب الشيعة المعتزلة من جانب وبين الفلسفة اليونانية من جانب[صابر أبوزيد،ص٣٣،٣٢]،وقيل عن معتقداتهم أنها تخالف الملل السماوية الثلاث [ابن تيمية،الفتاوى الكبرى،جـ٥ص١٨٨،١٧٠].
٨ - حسين الهمداني، بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا،ص ١٣.

مالك الحمادي والذؤيب الوادعي ويحيى بن لمك لكن مؤلفاتهم ظلت حبيسة الستر في دهاليز بيوت الدعاة و لم يظهر منها إلا النزر القليل[١]، أمثال:

- رسالة النفس، للذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني(تـ/٥٣٦هـ) في الفلسفة[٢].
- رسالة معرفة الموجودات، للذؤيب الوادعي ، كلها في معرفة الموجودات المبنية على أساس فلسفي[٣].
- كتاب الابتداء والانتهاء، لإبراهيم بن الحسين الحامدي (تـ/٥٥٧هـ).
- كتاب تسع وتسعون مسألة في الحقائق، لإبراهيم بن الحسين الحامدي أيضاً.
- كتاب الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة ،لإبراهيم بن الحسين الحامدي أيضاً[٤].
- كتاب النفس، للخطاب بن الحسن الحجوري(تـ/٥٣٣هـ) في الفلسفة الماورانية (الغيبيات) [٥]، وتكلم فيه عن معرفة النفس، وظهور النفس، ووجود النفس ضمن ثلاثة أبواب.
- منيرة البصائر، للخطاب بن الحسن الحجوري أيضاً.

والخلاصة :أن تعلُم هذه العلوم قد ارتبط باختلاف الفرق ونظرتها إلى كل من الكلام والمنطق والفلسفة؛فاهتم الزيدية بعلم الكلام والمنطق لتأثرهم بالفكر الاعتزالي ،وكانت الفلسفة من اهتمام الإسماعيلية لتأثرهم بالفلسفات القديمة وكذلك علم المنطق، أما مذاهب السنة فكان اهتمامها بهذه العلوم قليل.

ج- علم الطب والبيطرة:

يعرِّف ابن خلدون علم الطب فيقول:" هو علمٌ ينظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرضى بالأدوية والأغذية[٦]، وعليه فهو علم مرتبط بجسم الإنسان و البيطرة علم يهتم بالحيوان.

وفي الفترة موضوع الدراسة لم تشر المصادر إلى وجود مقررات دراسية مرتبطة بعلم البيطرة أو علم الطب ،تدرس سواءً أكانت في المؤسسات أو في أماكن التعليم، إلا أنه لم يكن يعقل أن أمراء وحكام وسلاطين اليمن في تلك الفترة لم يتداووا أو يتعرضوا للأطباء، وعليه فإن الباحث سيذكر من عمل بالطب واشتهر به أو وجدت معه قرينة تدل على الاهتمام بعلم الطب أو البيطرة.

ومما يدل على الاهتمام بعلم الطب: أنه وجد من يرتحل من اليمن إلى البلاد الأخرى طلباً لهذا العلم، مثل العلامة عبد الله بن المظفر بن محمد الباهلي الذي ولد سنة(٤٨١هـ) وسافر إلى بلاد الأندلس طلباً للعلم، وتذكر المصادر أنه أصبحت لديه معرفة بعلم الطب وعلوم أخرى[٧].

---

١ - مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٤٤١، ٦٠٥.
٢- مصطفى غالب ،المصدر السابق، ص٢٩٣.
٣ –مصطفى غالب،المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٤- مصطفى غالب، الأعلام ،مصدر سابق،ص ٨٧.
٥ - مصطفى غالب، الأعلام مصدر سابق ،ص ٢٨٢.
٦ - المقدمة،ص ٤٩٣.
٧ - الطيب بامخرمة، قلادة النحر، جـ٢،ص ٥٩٣.

وممن اشتهر بعلم الطب: الشيخ تبع بن المسلم الزيدي(معاصر لزمن الصليحي)، وقد ذكر عنه لقاؤه بأحد الأطباء ودار بينهما حوار عن العظام والعروق وعددها ومهامها في جسم الإنسان، حتى أتاه تبع بغرائب لم يستطع الإجابة عنها العالم الآخر[١]،إلا أنه لم تذكر له مؤلفات في ذلك.

كما وجدت إشارات إلى أن هناك عديداً من التخصصات، كأخصائي للأمراض الجلدية في جبلة، وأخصائي أمراض العيون الذي استدعي إلى جزيرة كمران لعلاج ابن عبدويه عندما أصابه العمى[٢](المياه البيضاء)، من مدينة المهجم.

و كان للعامل المذهبي دوره البارز في حصر مهنة الطب على فئة دون أخرى،يتضح ذلك في؛ أنه لما قدم الفقيه المتكلم الزيدي عبدالله بن أبي القاسم البشاري إلى مدينة شبام؛ من أجل العلاج من مرض الجرب؛ فرفض الطبيب معالجته للاختلاف المذهبي الذي بينهما[٣].

وفي مجال البيطرة؛وجد اهتمام ملحوظ به من قبل اليمنيين،تمثل في نقل خبرة وتجارب حكماء وساسة الخيل[٤]، وانتقاء السلالات القوية من فحول البقر والغنم وغيرها من المواشي،من أجل تحسين النسل، ويدل على ذلك أوقاف السيدة الصليحية من أجل شراء فحول البقر(تعرف الآن بصلبة السيدة)،[٥] وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن علم البيطرة كان موجوداً، و كان هناك من يشتغل به من الخبراء ولو بشكل غير مباشر.

والخلاصة أن اليمن شهد في هذه الفترة العديد من الأطباء الذين اشتغلوا بعلم الطب والبيطرة، ومن المرجح أنهم نقلوا هذه الخبرات إلى غيرهم عبر طرق عدة، ورغم ذلك إلا أن المؤلفات نادرة إن لم تكن معدومة في هذا الجانب.

د- علم الهندسة:

يقصد بها الهندسة المعمارية وهندسة المساحة، و اليمن خلال مدة الدراسة كان قد شهد تطوراً ملحوظاً في هذا الجانب، يتجلى ذلك من خلال الحركة العمرانية التي رافقت هذه الفترة ، والتي تمثلت في إنشاء بعض المدن والأسوار والمساجد والقباب والحواجز المائية.

وما ذكرته المصادر التاريخية التي أتيح للباحث الاطلاع عليها؛ هو وجود عدد من العلماء الذين اشتهروا بالبراعة في علم الهندسة وإن كانوا قلة كما أفاد مسلّم اللحجي، منهم الحسن بن عبدالله البحيري(عاصر مسلم اللحجي) الذي كان إماماً في الحساب والهندسة في بلاد اليمن يجلس إليه العلماء ويناظرهم[٦]، وعبد الله بن المظفر الباهلي(ت/بعد٥٢٣هـ) الذي جمع بين الطب

---

١ - أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ١ ص ١٦٩.

٢- عمر الجعدي،مصدر سابق،ص ١٤٥، ١٤٦، ١٩٧؛ محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ٢٨، ٣٤٢؛ الشرجي، طبقات الخواص،ص ٢٤٦، ٢٤٧.

٣ - أحمد بن أبي الرجال، مصدر سابق، جـ١،ص ٨٤.

٤- عبد الله الحبشي ،مصادر الفكر،ص٥٧٢.

٥- الحسين الهمداني،الصليحيون،مصدر سابق،ص٢٠٥.

٦ - مسلّم اللحجي، التاريخ،ص ٢٢٤.

والهندسة، والعلامة الزيدي أبو السعود بن زيد(عاصر سبا بن احمد الصليحي) الذي كان طبيباً ومهندساً[١]، ورغم ذكر هؤلاء إلا أنه لا توجد لهم مؤلفات تذكر في هذا الجانب حتى يومنا هذا.

ولكن من خلال الجانب التطبيقي لعلم الهندسة المتمثل في الجانب المعماري يلاحظ الباحث اهتمام أهل اليمن بهذا العلم الذي توارثوه ونقلو خبراته عبر الأجيال وهو بمثابة التربية العملية في نقل الخبرات والتفصيلات مع الإضافة إليها، ومما يدل على توسعه وانتشاره الأمثلة التالية:

- اختطاط مدينة جبلة التي تم التخطيط لها من قبل عبد الله بن محمد الصليحي بأمر من الملك علي بن محمد الصليحي لتكون مستقبلاً عاصمة ملكهم فتم تجهيزها هندسياً بناءً على ذلك، فأسس بها قصر الإمارة المعروف بدار العز وكذا المسجد الكبير[٢].
- تحصين المدن الرئيسة بالأسوار، كما حصل في مدينة زبيد، حيث عمل عليها الوزير من الله الفاتكي في عام (٥١٨هـ) سوراً أحاط بالمدينة وبه العديد من الأبراج (النُّوَبْ)المعدة للحراسة[٣].
- إجراء الأنهار وممرات المياه لغرض الشرب والري، كما حصل من المفضل بن أبي البركات الذي قام بعمل نهر صناعي من قرية خنوة إلى الجند، وقد تطلب ذلك الحفر في الصفا (الصخر) حفراً عديدة وخروقاً عظيمة من موضع إلى آخر بطول عدة أذرع، كل ذلك تطلب خبرات هندسية فائقة، قال عنه الخزرجي:" من رآه ظنه من صنيع الجن[٤]، وقال عنه أبو بكر اليافعي مادحاً:

وأقلُ مَكْرُمَـةٍ لـهُ وَفَضِيْلـــةٍ	إجْرَاؤهُ لِلغَيْلِ فِيْ الأجْنَادِ
شَقَّ الجِبَالَ الشَامِخَاتَ فَأصْبَحَتْ	وَكَأنَّمَا كَانَتْ نُعَابُ وِهَادِ[٥]

- بناء القباب في الجوامع وعلى المنابر، فإلى الصليحيين ينسب ذلك الفن المعماري، ففي زبيد بنيت ثلاث قباب سميت بقباب (الجنابذ) في عهد علي بن محمد الصليحي، ودفن في إحداهن، كما توجد في جامع سيدة بنت أحمد قبة تسمى قبة البهو في جبلة وهي أقدم القباب الباقية حتى الآن[٦].

كل ذلك كان يتم بخبرات علمية متقنة وفي أوساط اجتماعية حاشدة تنقل هذه الخبرات وتستفيد منها وتفيد الآخرين.

---

١ - أحمد بن أبي الرجال، مصدر سابق، جـ٢،ص ١٣٦.
٢- عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ١٣٩، ١٤٢؛ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٦٨.
٣- عبد الله الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد،ص ٦٢، ٦٣.
٤- علي الخزرجي، العسجد المسبوك،ص٦٦، ٦٧.
٥- محمد الجندي، السلوك، جـ١، ص٣١٠، ٣١١.
٦- شيحة،المدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في اليمن،س ٦١.

هـ- علم الفلك:

هو العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكالها وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها هذه الحركات والمحسوبة بطرق هندسية[١]، ومن فروعه علم الزيج والنجوم والأرصاد[٢].

وقد بدا اهتمام المسلمين بهذا العلم منذ بداية القرن الثاني للهجرة ونشطت حركة الترجمة للكتب اليونانية والفارسية وظهر الكثير من العلماء الذين أثروا هذا العلم وصنفوا فيه مختلف الكتب التي أصبح لها شهرة كبيرة واستغنى بها المسلمون عما سواها من الكتب[٣].

واهتم اليمنيون بعلم الفلك منذ وقت مبكر، كان في مقدمتهم مفخرة اليمن العالم الشهير أبو الحسن الهمداني – من علماء القرن الرابع الهجري – وأخذ عنه الكثير من أهل اليمن وعنهم كذلك أخذ علماء اليمن في الفترة موضوع الدراسة هذه، وبعضهم صنف كتباً في هذا المجال والبعض الآخر لم تذكر لهم المصادر أي مؤلفات.

وممن اشتغل بعلم الفلك إضافة إلى العلوم الأخرى العلامة الحسن بن عبد الله البحيري الذي اشتهر بزياراته المتكررة للحسابيين والفلكيين وجلوسه إليهم ومجادلتهم[٤]، وهذا يدل على أنهم كانوا كثيراً، والعلامة حمزة بن سليمان وهو ممن عاصر الملكة الحرة بنت أحمد والذي عرف بإجادته لعلم النجوم[٥]، والعلامة أبو السعود بن زيد الذي ناظر علي بن الحسين في علوم عدة منها علم النجوم والأفلاك[٦].

كما كان لتعدد الدويلات في هذا العصر أثره في أن أغلب الزعماء والسلاطين كان لهم منجمين بحسب الاعتقاد السائد آنذاك، فهذا الأمير الشريف بن القاسم بن جعفر العياني وهو ممن عاصر الملك المكرم أحمد كان له منجماً يدعى بحراً، وكان متبحراً في علم الفلك[٧].

ومنهم العالم اللغوي المنجم الشاعر الحاسب الهندسي زيد بن عطية الصعدي (كان حيًّا سنة ٥٠٣هـ)، وكان يسلم إليه المنجمون في كلٍ من صعدة وصنعاء، وله مصنفات في هذا المجال منها الزيجان الكبير والصغير، وكتاب(أحكام نجومية) وكتاب (فصول) والزيجان هي جداول لتحديد المواقيت، فكان يرجع إليه علماء اليمن في هذا المجال، ويذكر القفطي أن زيداً هذا دخل زبيد وامتدح الأمير فاتك بن جياش (ت/٥٠٣هـ)[٨].

١- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص ٤٨٧.

٢ - الزيج، يتعرف منه مقادير حركات الكواكب السبعة ومنه يعرف مواقيت الصلاة، والنجوم علم يعرف به الاستدلال على علم الكون والآثار التي تحدث عن حركة النجوم، والأرصاد علم يتوصل إلى مقادير الحركة الفلكية [ابن خلدون، المقدمة،ص ٤٨٨، ٤٨٩].

٣ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩.

٤- مسلم اللحجي،التاريخ،ص ٢٢٤.

٥ - يحيى بن الحسين، الطبقات الصغرى،ص ١٣٠، ١٣١.

٦ - مسلم اللحجي،التاريخ،ص ١٦٣.

٧ - أحمد بن أبي الرجال،مصدر سابق، جـ٢،ص ٣٩؛ عبدالرحمن المختار،مرجع سابق،ص ٣٩٨.

٨- علي القفطي،إنباه الرواة، جـ٢،ص ١٥، ١٦؛ حميد الدين، الروض الأغن، جـ٢،ص ١٩٠.

والخلاصة أن علم الفلك بأنواعه، كان مرتبطاً بحاجات المجتمع الدينية والاقتصادية وحياة الناس الزراعية والأسفار البريّة والبحرية، وأن هنالك اهتماما من قبل اليمنيين بهذا العلم، الذي جاء نتيجة ظروفهم الطبيعية التي مكنتهم من الإشراف على طرق التجارة البرية والبحرية، واشتغل أغلب اليمنيين بذلك حتى من ليس له اهتمامات علمية، فهذا ابن المجاور لما دخل اليمن وصف أهلها وخاصة صنعاء وما حولها بأنهم يشتغلون بعلم النجوم والنحو والمنطق والفلسفة والهيئة (الفلك) والهندسة والحساب[1].

و- علم الجبر والحساب والمساحة :

يقصد بعلم الحساب: صناعة علمية يعرف بها كيفية حساب الأعداد في العملية الحسابية (الجمع ،و الطرح ،و الضرب ،و القسمة ، التناسب)[2].

والجبر: زيادة ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء في الجملة الأخرى لتتعادلا.

والمقابلة: إسقاط الزائد من أحدى الجملتين لتتعادلا أيضاً.

والمساحة: ما يحتاج إليه في قسمة الأراضي والحوائط بين الشركاء والورثة[3].

وهذه العلوم تعد من فروع علم الفرائض المرتبط بعلم الفقه وفي ذلك إشارة إلى أن العلوم الشرعية لم تكن بمعزل عن العلوم التطبيقية، فعلم الفقه وخاصة المعاملات هو بحاجة إلى علم الحساب فلذا وجد التداخل بين بعض المؤلفات، ولما كانت اليمن في تلك الفترة محط أنظار القوى السياسية وكثرت بها التجارة والزراعة أدى ذلك إلى وجود أسواق عدة؛ وهذا ما أوجد الحاجة إلى هذه العلوم؛ من أجل معرفة الفرائض الدينية، مثل الزكاة والمواريث وبقية الأعمال الحسابية أثناء التجارة وتحصيل الضرائب.

وفي هذه الفترة برز في اليمن العديد من العلماء المشتغلين بهذه العلوم التي كان اليمنيون إلى ما قبلها بقليل يعولون على تصانيف غيرهم من خارج اليمن[4]، ثم قيَّض الله لهم من يصنف ما يسد حاجتهم في هذا الجانب، ومن أهم المؤلفات التي وجدت في تلك الفترة وكانت هي المقررات العلمية ما يلي:

- كتاب الملطف في علم المساحة للفقيه أبو الحسن بن محمد بن أبي عقامة (ت/٤٨٠هـ) من علماء زبيد[5].
- مختصر الفرائض والحساب للفقيه أبي الحسن بن محمد بن أبي عقامة، وكان هذا الفقيه قد تولى قضاء زبيد لكل من الصليحيين والنجاحيين وكان يمارس هذا العلم عملياً[6].

١- يوسف بن المجاور، صفة بلاد اليمن،ص ١٩٢.
٢ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة،ص ٤٨٣.
٣- صديق القنوجي، أبجد العلوم،ص ٣٥٣، ٣٥٤، ٥٠٣، ٥٠٤.
٤ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٠٦، ١٠٧.
٥ - الطيب با مخرمة، قلادة النحر، جـ٢، ص ٤٣٥، ٤٣٦.
٦ - محمد الجندي، السلوك، جـ١ ،ص ٢٥٢؛ علي الخزرجي، طراز أعلام الزمن،ص ١٠٤؛ عبدالرحمن المختار، مصدر سابق،ص ٣١٤.

- كتاب الكافي لإسحاق بن يوسف الصردفي (ت/٥٠٠هـ) وشمل علم الفرائض والدور والحساب والمساحة والوصايا، يقول عنه الجندي:" لم يتفقه أحد من أهل اليمن في شيْ من الفنون المذكورة إلا منه ..."[١]، وهو الذي بيع بوزنه فضة في عدد من بلدان العالم [٢]، وعلى هذا الكتاب تفقه خلقٌ كثير من أهل اليمن في مدرسة الشيخ الصردفي في قرية سهفنة، واعتبر صاحب هذا الكتاب طبقة في العلم وحده، استمر تفقه أهل اليمن عليه لعدة قرون.

والخلاصة أن اليمن في هذه الفترة شهدت حركة علمية كبيرة في هذا المجال سيما المناطق الساحلية التي تأثرت بالعامل الاقتصادي (التجارة) وبلغت معه التركات حداً يتطلب من علماء الحساب والفرائض الحضور إليها من أجل تقسيم هذه التركات كما حصل مع ورثة القائد رزيق الفاتكي[٣]، عندما عجز الكثير من الفقهاء عن قسمتها[٤].

١- محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص٢٤٥؛ عمر الجعدي،مصدر سابق،ص ١٠٦، ١٠٧.
٢ -عبد الله اليافعي، مرآة الجنان، جـ٣،ص ١٢٨.
٣- رزيق الفاتكي،أحد وزراء دولة بني نجاح الذين حكموا زبيد إلى سنة(٥٢٤هـ) ثم استقال لعدم خبرته في الإدارة وكان له من الأموال ما لا تحصى قيمته أو تعد[ابن عبد الباقي،بهجة الزمن،ص ٧٠].
٤- عمارة/ الأكوع،المفيد،مصدر سابق،ص ٢١٣، ٢١٤.

الخلاصـــــة:

من خلال دراسة المقررات الدراسية في عصر الدولة الصليحية؛ تبين للباحث أن العلوم ذات الطابع الديني أخذت حيزاً كبيراً في مقررات المؤسسات التعليمية لدى كل الفرق والمذاهب الموجودة آنذاك، فكان أغلب رجال العلم هم من علماء الفقه والعلوم الشرعية، وكذلك الطلاب.

كما أن المقررات الدراسية لدى كل فرقة ومذهب كانت قد ركزت إلى حد كبير على تأصيل وتثبيت الجوانب السياسية لكل فرقة من هذه الفرق ـ وخاصة الزيدية والإسماعيلية ـ بما يدعم مسألة الإمامة ؛وإخضاع عامة الناس لها،كما كان للعامل الديني(المذهبي) أثره الواضح في إقرار بعض المقررات ذات الطابع الفكري الذي يتناسب ومعتقدات كل فئة أو مذهب وخاصة علمي الكلام والفلسفة حيث وجد تباين في مدى الاهتمام بهما.

وقد لاحظ الباحث أن العلوم التطبيقية كالرياضيات والطب والهندسة؛ لم تكن لها مقررات دراسية نظرية في المؤسسات التعليمية المختلفة، وإنما جاء استقاءه من خلال مقار العمل والورش الفنية الصناعية ،باعتبارها مقررات عملية تتناقلها الأجيال بالخبرة والمحاكاة العملية.

وكان للعامل الاقتصادي أثره الواضح في انتشار هذه العلوم في المدن والقرى التي شهدت وفرة مالية، إما بسبب التجارة أو الزراعة، وأدى العامل الاجتماعي دوره في انحصار بعض الخبرات والفنون العملية والعلمية على شرائح محددة من المجتمع، وحرمت منها شرائح أخرى بسبب النظرة الدونية إلى أصحابها في بعض المناطق القبلية، ويتضح دور العامل الجغرافي في حرمان بعض المناطق البعيدة والنائية من الحراك التجاري والثقافي جراء الانفتاح على الخارج ، فبقيت ذات طابع تقليدي ومنغلق على الذات، وظهر دور العامل السياسي في رفده الجانب العلمي بالعديد من المؤلفات والعلماء المؤلفين وخاصة في الجانب الفلسفي، حيث ظهر في اليمن الكثير من الكتب ذات الطابع الفلسفي لوجود الإسماعيلية في سدة الحكم آنذاك.

الفصل الرابع

طرق وأساليب التعليم

المبحث الأول: طرق وأساليب التعليم في المرحلة الأولى.

١. طريقة الحفظ (القرآن – الحديث).

٢. طريقة تعليم الخط والحساب.

٣. طريقة تعليم الشعر.

٤. أدوات التعليم في المرحلة الأولى.

المبحث الثاني: طرق وأساليب التعليم والتعلم في المرحلة العليا.

أ- طرق التعليم و التعلم:

١- طريقة السماع.

٢- طريقة القراءة والعرض

٣- طريقة الإملاء .

٤- الحفظ والتلقين.

ب- أساليب التعليم والتعلم:

١- أسلوب السؤال والجواب.

٢- أسلوب المجادلة والمناقشة.

٣- أسلوب المكاشفة.

٤- أسلوب التفلسف.

٥- أسلوب الوجادة.

المبحث الثالث: تنظيم عملية التعليم والتعلم:

١- بداية التعليم والتعلم.

٢ - نظام القبول.

٣ - نظام الحلقة العلمية.

٤ - نظام المجالس.

٥ - نظام التعليم لدى الإسماعيلية .

المبحث الرابع- البحث العلمي والتفرغ العلمي.

تمهيد :

من أجل تحقيق أهداف التعليم، لا بد من آليات ووسائل تتم بها ومن خلالها عملية التعليم، وهي تلك الطرق والأساليب التي يستخدمها المعلم أو العالم أو الفقيه لكي ينقل ما لديه من علم وخبرة إلى طلابه.

والباحث لم يجد فيما اطلع عليه من مصادر تاريخية تعريفاً لطرق وأساليب التعليم عند المعلمين العلماء في فترة حكم الصليحيين لليمن، وكل ما وجده هو شرح لبعض الطرق والأساليب التي كان يتم بها نقل العلم من المعلم إلى المتعلم، ولكن من خلال النظر والاطلاع على التراث التربوي الإسلامي يمكن تعريف الطريقة على أنها الأداة المساعدة للمتعلم على اكتساب المهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرغوب فيها، كون هذه الأمور قابلة للاكتساب والتغيير معاً، لما يمثله عمل المربي من مساعدة للفرد على تحقيق التعلم المرغوب أو محو سلوك وإحلال آخر[١]

ولما كانت طرق التعليم في اليمن في فترة حكم الدولة الصليحية لا تختلف كثيراً عن طرق وأساليب التعليم القائمة في معظم البلاد الإسلامية، وذلك بسبب الوحدة الفكرية والثقافية التي تربط بين أجزاء الأمة المستمدة من قوله تعالى:**{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمةً وَاحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**[٢]، فإن طرق وأساليب التعلم التي أخذ بها طلاب العلم علومهم ومعارفهم من معلميهم ومشايخهم، هي تلك الطرق والأساليب التي اقتضاها الواقع المعاش والممارس في مختلف البلاد الإسلامية، وطبيعة المقررات الدراسية، وبحسب استعدادات وقدرات الطلاب وخبرات المعلمين وتجارب من سبقهم من أهل العلم.

وكان المتعارف عليه في اليمن وغيرها من البلاد الإسلامية أن طالب العلم يبدأ التعلم من الصبا فيما يسمى بالكتّاب(المعلامة)، ثم إذا أكمل ما يجب عليه أن يتعلمه في الكتّاب ينتقل إلى التعلم لدى المشايخ والعلماء؛ إما في المدارس المسجدية أو في القرى العلمية المشهورة بعلمائها، أو في الهجر العلمية (في المناطق الزيدية) أو في غيرها من الأماكن التي خصصت للتعليم.

وقد يكون على طالب العلم أن ينتقل من قرية إلى أخرى، أو من بلد إلى آخر من البلدان الإسلامية، كل ذلك في سبيل طلب العلم وسيتم توضيح ذلك من خلال الآتي:

ومن ثم فإن الباحث سيتعرض في هذا الفصل إلى إيضاح طرق وأساليب التعليم المعمول بها في تلك الفترة في مراحل التعليم المختلفة ، وذلك على النحو الآتي:

---

١ - عبدالغني عبود وآخرون، التربية الإسلامية وتحديات العصر،ص ٤٩١.
٢ - سورة الأنبياء الآية ٩١.

المبحث الأول: طرق وأساليب التعليم في المرحلة الأولى:

لما كان الهدف من التعليم في المرحلة الأولى هو: تعليم الصبيان أساسيات الحياة المتمثلة في حفظ القرآن، والعبادات، وأحكام الطهارة، وأمور الدين الأولية، وتعليم القراءة والكتابة، فإن تعليمهم ليس من الأمور السهلة، بل يحتاج إلى صبر وتحمل وطول أناة، وعليه فلا يكفي أن يكون المعلم ملماً بما يعلمه فقط، ولكن كان عليه أن يلم ببعض المهارات والأساليب التي تجعله قادراً على توصيل المعلومات إلى طلابه، فليس كل من كان عنده علم قادراً على أن يكون معلماً[١].

هذا ولم يقف الباحث على مصادر تاريخية تشير إلى استخدام علماء اليمن لطرق وأساليب محددة وملزمة لأي معلم أو مربٍ، ولكن كان هناك طرق وأساليب شائعة في هذه الفترة في عموم بلاد الإسلام واليمن جزء منها، وقد يختلف استخدام أو اتّباع هذه الطرق والأساليب من معلم إلى آخر ومن مذهب إلى آخر أيضاً.

وسيعرض الباحث في الصفحات التالية، أهم الطرق التي استخدمت في تلك الفترة ومدى تأثرها بالعوامل المجتمعية وهي:-

١. طريقة الحفظ (القرآن – الحديث - الشعر):

كان اهتمام المعلمين في المرحلة الأولى منصباً على تعليم القرآن الكريم؛ لما له من عظيم الأثر في نفوس الطلاب، ولما له من أثر في توثيق معرفتهم بالدين وتعاليمه، ونظراً لما يوليه أولياء الأمور من اهتمام بالقرآن الكريم وحرصهم على أن يحفظه أبناؤهم في الصغر.

فكان معلّم الكتّاب يبدأ بتعليم الصغار للقرآن الكريم من قصار السور، فيبدأ هو في قراءة السورة ويردد الصبيان بعده القراءة آية بعد آية، وكان على الصبي أن يحفظ ما تم تلقينه من المعلم، مع مراعاة مخارج الحروف، والتدرب على ذلك حتى يألفها الطالب، ثم يأتي الطالب في اليوم التالي ليُسمِّعَ ما تم حفظه، ويستمر على هذا حتى يجيد الطالب القراءة فيتمكن من قراءة المصحف الشريف[٢].

ولما كان المنهج هو كتاب الله تعالى فإن طبيعته تقتضي الحفظ والقراءة باللفظ دون تحريف أو تبديل، وبالتالي فإن اتباع طريقة الحفظ والتلقين للقرآن الكريم أمر واجب في المرحلة الأولى وفي كل مراحل التعليم، ومثل تعليم القرآن الكريم بطريقة الحفظ والتلقين يكون تعليم أحاديث النبي ﷺ، فحرص الطلاب على الأخذ بهذه الطريقة من أجل تعلم القرآن، وكذا أولياء أمورهم تنفيذاً وتطبيقاً للحديث الصحيح الذي رواه عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٣].

١- عبدالرحمن المختار، مرجع سابق،ص ٨٤.
٢ - علي النباهين، نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك،ص ٣٦٢.
١- البخاري، الصحيح ،كتاب فضائل القراء،في باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم ٥٢٧-ص ٥٢٨-٥٢٩.

فكانت طريقة تعليم القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ واحدة في أرجاء الدولة الإسلامية، تستوي في ذلك كل المذاهب والفرق الإسلامية في اليمن وغيرها من البلدان الإسلامية، فلا تختص بها طائفة دون أخرى[١].

وقد كان الصبي يحفظ القرآن إما في الكتّاب أو في منزله، كما حدث مع الفقيه علي بن أسعد بن عبدالله السلالي، والذي حفظ القرآن صبياً في منزل والده على يد خاله الفقيه الحافظ إسحاق بن يوسف الصردفي[٢]، ويعد حفظ القرآن شرطاً أساسياً للقبول في المرحلة العليا وشهادة تخرج من هذه المرحلة.

ولم يقتصر الحفظ والتلقين على كتاب الله والحديث النبوي الشريف، بل تعداه إلى غيره من العلوم المذهبية والعقلية، فهذا سليمان بن عبد الله الزواحي يلقن علي بن محمد الصليحي علم الباطن، وفقه المذهب الإسماعيلي، حتى حفظه في بيت والده، وهو لم يبلغ الحلم ـ على حد تعبير صاحب العيون ـ وبهذا استحق الترقية ليصبح خلفاً للزواحي في تولي رئاسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن[٣]، وهذا يعني أن علي بن محمد الصليحي قد فهم علوم المذهب وألَمّ بها حتى أصبح عالماً بها وهو في سن الصبَا ـ على حد تعبير عمارة اليمني ـ.

٢. طريقة تعليم الخط والحساب:

من المواد الأساسية المقررة في المرحلة الأولى تعليم الخط، إلا أنه لم يكن القصد منه الإجادة والتحسين، بل يتعلمه الصبيان بقدر ما يمكنهم ليكتبوا ويقرءوا دروسهم من المواد المطلوبة منهم[٤].

وقد يفرد الخط بتعليم خاص ولدى معلمين يجيدون فنونه، إذ ليس كل معّلم في الكتّاب كان يجود الخط، ومن ذلك ما كان يمتاز به أهل صنعاء من ميل إلى تعلم الخط بصورة خاصة لإجادته وتحسينه، فكان لهم الخط الصنعاني المسمى (بالمكسر)[٥] أو التحسين الذي كان لا يضارع، وخلافه نوع من الخطوط يسمى (المَشْق)[٦] ومع هذا كان لهم مقدرة على توضيح الشكل وإعجام الكتابة وإزالة لبسها[٧].

ولما كان تعليم الصبيان: الخط من أجل القدرة على كتابة ما يملى عليهم من الدروس، وما يطلبه منهم المعلم من واجبات، فقد اهتم اليمنيون بتعليم أولادهم القراءة والكتابة، ومما يدل على عظيم الاهتمام بذلك ما ورد في رسالة الملك جيّاش بن نجاح لمؤدب ولده حيث يقول: "وإذا أراد

٢- عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية،ص ٦٤.
٣ - عمر الجعدي ، طبقات الفقهاء،ص ١٠٨.
٤ - إدريس الأنف، مصدر سابق، جـ٧،ص ٦-٧.
٥ - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، جـ٢،ص١٠٤.
٦ - المكسّر،على وزن مفعّل ،وهو الخط المتداخل في بعضه البعض(الفيروز ابادي ،القاموس المحيط، جـ٢،ص٤٦٤)
٧ـ المشق .هو سرعة الكتابة وسرعة الطعن والأكل،ويقال خط ممشوق أي رفيع ونحيف وله جمال(الثعالبي ،فقه اللغة،جـ١ ص٣٩)
٨ـ الحسن الهمداني،صفة جزيرة العرب،ص ٨٢.

الكتابة فسَوِّس قلمه، وصَوِّر له وضع الخط بمثال التصوير في مواضعه، وعلّمه الفرق بين الواوات والفاءات، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح، ولا من قلمه غير العُقَدْ الصحاح..."[١].

ومن خلال هذا النص الصريح يلاحظ الباحث: الاهتمام بالأخذ بمبدأ التدرج في تعليم المتعلم القراءة والكتابة بدءً من السهل إلى الصعب، فيبدأ بإمساك القلم، ثم كتابة الحرف وأشكاله، ثم كتابة الكلمة، ثم كتابة الآيات القصيرة، فكانت هذه الطريقة من طرق التعليم المعمول بها في ذلك العصر، وتعد من الطرقّ العلمية المعمول بها حتى العصر الحديث.

ونظراً لأهمية تعليم الصبيان أوليات علم الحساب، فمن الراجح أن ذلك كان يتم متزامناً مع تعليم الخط في الكتاب، من أجل تهيئة الطالب للانتقال إلى المرحلة العليا .

٣. طريقة تعليم الشعر:

أما بالنسبة لتعليم الشعر فقد كان يرافق تعليم القرآن والحديث في المرحلة الأولى،أي أنه كان يتم عبر التلقين والحفظ، بحيث يختار المعلم للصبيان من الشعر ما كان سهل العبارة، قصير الأبيات،خفيف الوزن ،من أجل أن يسهل عليهم حفظه وتلقينه،وما كان ذا معنى قريب الفهم ،كحب الوالدين، ومدح العلم، وذم الجهل، وما يحث على الأخلاق الفاضلة كإكرام الضيف وفعل المعروف،وكل ما يساعد على تشكيل أخلاقهم،وغرس القيم الحسنة في ذلك السن[٢].

ورغم أن المصادر التي اطلع عليها الباحث لم تشر إلى تفاصيل عن طريقة تعليم الشعر، إلا أن ذلك كان هو السائد في أغلب الأمصار الإسلامية قبل ذلك العصر، ولا يوجد ما يدل على اختلاف الطريقة في ذلك العصر عما سبقه من العصور، واليمن ليس بمعزل عن العالم الإسلامي ، وعليه فإن معلمي المرحلة الأولى قد استخدموا هذه الطريقة مراعين التدرج في تدريس الشعر من أجل التسهيل على الطلاب.

٤. أدوات التعليم في المرحلة الأولى:

أما أدوات التعليم في المرحلة الأولى (الكتّاب) والتي يستخدمها كل من المعلم والمتعلم ، فهي اللوح الخشبي والقلم ودواة الحبر، وأما الورق فلأنه كان قليل الوجود؛ فلم يكن يستخدم إلا لما هو أهم؛ كنسخ الكتب والمصاحف، وكان يتم الحصول عليه إما من مكة أو من بغداد أو من مصر[٣].

وعليه فقد كان اللوح هو رفيق التلميذ طوال فترة دراسته في المرحلة الأولى والثانية، بحيث يدون فيه كل الدروس ثم يحفظها ليتم عرضها على المعلم، ثم يمحوها ليكتب محلها دروساً أخرى، وكان ذلك يتم على جهتي اللوح[٤]، أما الحبر أو المداد فكان يتم تحضيره من شجر الكلبلاب[٥]

---

١ - الطيب با مخرمة،تاريخ ثغر عدن،ص ٧٨.
٢ - علي النباهين،مرجع سابق،٣٥٦، حسن عبد العال،١٥٢،١٥١.
٣- علي النباهين ،نفس المرجع، ص ٣٢٢.
٤- حميد المحلي، الحدائق الوردية، جـ٣، ص ١٣٩.
٥- (شجرة لا زالت معروفة إلى الوقت الحاضر)، وسمي أيضاً كُلّاب لكثرة ما به من أشواك[محمد الجندي، مصدر سابق، من كلام المحقق، ٢٤٠].

أو شجر العفص[1] ويسمى الحبر الأسود، ومن شجرة الصبَّار يتم تحضير مداد يميل إلى الحمرة[2]، وكان يصنع في إب وذي جبلة ويزرع في وادي شواحط، وعن ذلك يقول الشاعر محمد بن عمر العمراني (ت/٥٧٢هـ)مادحاً توفر تلك الشجرة:

قُولا لإبٍ ولذي جبلــةٍ — إنْ مَنَعَا الحِبْرَ وَشَحَــايَهِ

فإنَّ فِيْ وَادِيْ شَوَاحِطِنَا — بَحْراً غَزِيْراً مِنْ كِلِبْـايهِ[3].

لكن الباحث لم يطلع على مصادر تذكر أي تفاصيل عن طرق تحضير المداد بأنواعه إلا ما ذكره القاضي محمد الأكوع : أن شجرة العَفصْ إذا وضعت في الماء يتحلل منها سائل أسود، وكذلك هي الأقلام لم تشر المصادر إلى كيفية صنعها إلا أنه من المحتمل أن تكون من شجرة الحَلاَّل والتي كان يتم عمل الأقلام منها إلى وقت قريب[4].

المبحث الثاني : طرق وأساليب التعليم والتعلم في المرحلة العليا.

ورد في المصادر التاريخية كثير من المصطلحات العامة التي تدل على حصول التعليم، مثل (تفقه على - وأخذ عن - وسمع من – ورويت عنه)[5] وغيرها من المصطلحات التي تشير إلى الأساليب والطرق والوسائل المتبعة في تعليم وتعلم طلاب المرحلة العليا في زمن الدراسة، وهذه الطرق والأساليب والوسائل لم تكن في اليمن فحسب، بل كانت متبعة في سائر بلاد العالم الإسلامي، وليست خاصة بهذه الفترة التاريخية المحددة لهذه الدراسة، بل استخدمت منذ القرون الهجرية الأولى، وأهم هذه الطرق هي: السماع – القراءة – الإملاء ، وإن اختلفت من مذهب إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، أو اختلفت طبيعة المعلمين والمتعلمين، أو المادة العلمية،أحاول عرضه على النحو الآتي:

١- الطرق.

أ - طريقة السماع.

وهو سماع الطالب -" لفظ شيخه حفظاً أو من كتاب " تحديثاً أو إملاءً، وهذه أعلى الطرق عند جماهير العلماء[6] والذي يحق للطالب بعدها أن ينقل ما حفظه أو سمعه إلى من سواه فيقول: حدثنا، وأخبرنا، وسمعت فلاناً يقول كذا وكذا[7].

وتتمثل طريقة السماع في قيام العالم أو المعلم بإلقاء دروسه على طلبته، في حين يستمع الطلاب أو يكتبون عنه أثناء السماع[8].

---

١ - شجرة لها ثمر مكور ، يوجد لدى العطارين، توجد في مدينة إب ،الجند بكثرة إذا تبللت بالماء ينحل منها محلول أسود [عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ص، ١٩٣ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١ص ٣٣٩-٣٤٠].
٢- عمر الجعدي ،المصدر نفسه،الصفحة نفسها .
٣ - عمر الجعدي ،المصدر نفسه، ص١٩٣، ١٩٢.
٤- عبدالرحمن المختار، مرجع سابق،ص ١٥١.
٥- إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق،جـ١ص ٢٤٣، ٦١٥؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٢٨، ٢٤٤-٢٤٥، ٢٩١.
٦ - عثمان بن الصلاح، المقدمة المشهورة بمقدمة ابن الصلاح، ، ص٨٧ ؛ ابن كثير، الباعث الحثيث،،ص ١٠٩.
٧ - إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق، ج١ ص ، ٧٣-٧٣٨ ؛ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٨١.
٨- الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية، ص٦٧١.

وكانت هذه الطريقة منتشرة في عموم المدن والقرى والهجر العلمية المشهورة في اليمن، وكان يستخدمها جميع العلماء وخاصة علماء الحديث، حيث أصبحت كلمة المسمع تطلق على من يسمع الحديث ويُقرئه، فهذا الحافظ عبد الملك بن أبي ميسرة(ت/٤٩٤هـ) كان يجلس بمسجد الجند فيسمع عليه الطلاب سنن أبي قرة وكان ذلك بين عامي ٤٨٠-٤٩٠هـ[١].

وفي قرية المشيرق[٢] سمع الأخوان محمد وعلي ابنا الفقيه أسعد بن خير بن يحيى بن ملامس وجماعة كثيرة من الفقهاء المحدثين، سمعوا صحيح البخاري على والدهما أسعد سنة٥٠٠ هـ[٣].

وفي جزيرة كمران سمع عيسى بن عبد الملك المعافري كتاب المهذب على الشيخ ابن عبدويه، وكذلك خير بن عمر بن عمر بن عبد الرحمن من قرية المشيرق أيضاً، وممن سمع على ابن عبدويه أيضاً عبدالله بن أبي القاسم بن حسن المعروف بابن الأبار،وكان ذلك بعد٤٩٥هـ[٤].

ونظراً لتعدد العلوم وانتشار الكتب لدى كل المذاهب لم تعد طريقة السماع طريقة مقتصرة على علم الحديث فقط، بل تعدته إلى بقية العلوم وفي مقدمتها اللغة وعلوم القرآن وغيرها.

ومن العلماء الذين تعدى سماعهم الحديث إلى غيره من العلوم ،الفقيه عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي(ت/٤٩٤هـ) الذي سمع الرسالة الجديدة في الفقه للإمام الشافعي على الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد البردي(ت/بعد٤٥٠هـ) في عدن سنة ٤٣٧هـ ، وسمع أسعد بن خلاد(ت/ بعد٤٩٠هـ) على القاسم معاني القرآن للصفار[٥].

ومن العلماء من شد الرحال إلى خارج اليمن ليأخذ العلم، مثل إبراهيم بن أبي عمران موسى الخداشي (عاصر الصليحي)، الذي ارتحل إلى مكة، فسمع مختصر المزني على أبي رجاء البغدادي، فلما عاد إلى اليمن سمع منه جماعة، مثل يعقوب البعداني، وأسعد بن الهيثم[٦].

ومما يدل على أهمية طريقة السماع في عملية التعليم والتعلم هو كثرة استخدام العلماء والطلاب لهذه الطريقة، فكان بعض الطلاب يأخذ أكثر من كتاب في أكثر من علم سماعاً على شيخ واحد[٧].

فهذا أيوب بن محمد بن كديس (ت/٤١٠هـ) أخذ عن الحافظ عبد بن أحمد الهروي كثيراً من مسموعاته فلما عاد إلى اليمن سمع منه خلق كثير، وأصبحت قلعته قبلة لطلاب العلم من بعده لما بها من كتب، وكان ينادى في مكة أثناء مواسم الحج أن من أراد الوَرّق والورق[٨] والسماع العالي

١ - أبو قرة موسى بن طارق اللحجي،كان حافظاً فقيهاً وكتابه الجامع في السنن (ت/٣٦٠هـ)محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق ،ج١ ،ص ٢٤٩، ٢٨٧.

٢-انظر التعريف بهذه القرية،ص١٦١منهذه الرسالة.

٣- عمر الجعدي ،مصدر سابق،١٢٣.

٤- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق ،ج١،ص ٣٠٦، ٣٢٦.

٥- المصدر نفسه،ج١ص ٢٤٢- ٢٤٣.

٦ - المصدر السابق،ج١ص ٢٤٠- ٢٤١.

٧ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص٤٥١، لم يعثر على تاريخ وفاتهما.

٨-إشارة إلى عظيم القيمة العلمية لما بقي قلعة ظبا من الكتب والعلماء.

فعليه بقلعة كديس[1] من أرض اليمن[2]، ونتيجة لذلك أصبحت كثير من الكتب يطلق عليها مسموعات أو الكتب المسموعة[3].

وقد ينسبها الطالب إلى نفسه فيقول: مسموعاتي ومقروءاتي[4] بعد أن يكون قد سمعها وقرأها على العلماء أما دون ذلك فلا.

وهذا يدل على أن العمل بهذه الطريقة كان ناجحاً ومعمولاً به في توصيل المعلومات إلى المستهدفين في الفترة الزمنية موضوع الدراسة ولدى أغلب العلماء والطلاب، ويتخلل هذه الطريقة بعض الأساليب والأنشطة الموضحة لذلك كالسؤال والجواب .

ب ـ طريقة القراءة والعرض.

ومن الطرق المتّبعة في تلك الفترة طريقة القراءة، وتأتي في المرتبة الثانية بعد طريقة السماع، وكيفيتها: أن يقرأ الطالب على شيخه من محفوظاته أومن كتاب، أو يقوم غيره بالقراءة وهو يسمع والشيخ ممسك بالكتاب[5]، ويكون ذلك من مرويات الشيخ أو كتبه التي يرويها عن مشايخه أو من مؤلفاته[6]، وتسمى هذه الطريقة عند المحدثين بطريقه العرض أيضاً؛ لأن القارئ يعرض على شيوخه ما يقرؤه كما يُعرض القرآن على المقرئ، وبتقدم العلوم أصبحت القراءة والإقراء تستخدم في تدريس جميع العلوم، وإن كان استخدامها في علم الحديث هو الغالب[7].

وفي اليمن أثناء الفترة التي حكم فيها الصليحيون كانت هذه الطريقة متبعة لدى العلماء والمتعلمين بأشكالها وصورها السابقة، أي :قراءةً وعرضاً وإن كانت القراءة أشهر وأكثر استخداماً كونها أفضل الطرق عند العلماء[8].

وكان يستخدم هذه الطريقة أغلب علماء اليمن شيعة وسنة، فهذا الفقيه الزيدي أحمد بن الحسين الأكوع ـ عاصر الدولة الصليحية ـ يروي عنه أحد طلابه أنه كان يقرأ عليه وهو ينظر إلى كتابه[9]، ومنهم من قرأ من حفظه كالفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني والذي كان يحفظ المهذب عن ظهر قلب، والفقيه أبو بكر بن جعفر المحابي والذي كان يحفظ المجموع في الفقه للمحاملي[10].

ومن خلال وقوف الباحث على ما تمكن من الاطلاع عليه من المصادر والكتب وجد أن القراءة من الكتب هي الأكثر اتباعا، فكثيراً ما تشير المصادر إلى قراءة الطلاب للكتب على شيوخهم سواءً داخل اليمن أو خارجه أثناء رحلاتهم العلمية، كما كانت تقرأ كتب متنوعة، ولم يقتصر الإقراء على علم بعينه، فهذا الفقيه زيد اليفاعي قرأ على شيخه إسحاق بن يعقوب الصردفي

---

١ ـ قلعة كديس، هي قلعة ظبا ،وهي ما بين ذي سفال وسهفنة من محافظة إب ولا تزال تسمى بهذا الاسم (إلى يومنا هذا) [محمد الجندي، السلوك ، من كلام المحقق الأكوع ،ص ٢٣٧].

٢- محمد الجندي، السلوك،ج١ ص٢٣٧.

٣- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١.

٤- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ج١ ص٢٣٧.

٥- عثمان بن الصلاح،مرجع سابق ،ص ٨٩-٩٠ ؛ حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع،ص ١٥٣.

٦ ـ عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية، ١٢٠.

٧- عثمان بن الصلاح، مرجع سابق ،ص ٨٩ ؛ عبدالرحمن المختار، مرجع سابق،ص ١٩١.

٨- صبحي الصالح ، علوم الحديث، ص ٩٣- ٩٤.

٩ ـ إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق،ص ١١٥- ١١٦.

١٠ ـ جمال الأسنوي، طبقات الشافعية،ص ١٠٤ ؛ حسين الأهدل، تحفة الزمن،ص ١٩١.

في علم الفرائض والمواريث والحساب، ثم قرأ على أبي بكر بن جعفر كتاب الفروع في الفقه، ثم رحل إلى مكة فقرأ على الفقيهين الطبري والبندنيجي[1] كتاب المهذب في الفقه، وكتاب التبصرة في علم الكلام، وغيرهما من الكتب للشيخين[2]، وكان هذا أثناء رحلته الأولى إلى مكة.

ومن أكثر العلماء والمعلمين شهرة باستخدام هذه الطريقة الشيخ زيد بن الحسن الفائشي في قرية أحاظة حيث ذكره الخزرجي بقوله:" وقرأ عليه عدة من الناس ..."، والفقيه علي بن أبي بكر العرشاني الذي كان يقرئ الحديث في جامع عرشان([3]) وقصده الطلاب من أنحاء اليمن، والفقيه محمد بن عبدويه المهروباني في زبيد ثم في كمران، اشتهر بإقرائه كتابي المهذب والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي والذي أخذهما عن مؤلفهما قراءة عليه[4]، وهذا الشيخ مقبل بن محمد بن زهير الهمداني يطلع عليه شيخه الفقيه أبو بكر بن جعفر المحابي ويرى أصحابه يقرؤون عليه فيعجبه ذلك ويقول:" صدق من سماك مقبلا"[5]، وذلك لكثرة المقبلين عليه للقراءة، وكان ذلك في دمنة خدير[6].

وكما كانت تتم طريقة القراءة لعدد من الطلاب كما سبق؛ كانت تتم أيضاً فردياً بين الطالب وشيخه، أو بين الشيخ وولده، مثل محمد بن نشوان الحميري الذي قرأ على أبيه مؤلفه شمس العلوم، والفقيه المؤرخ عمارة اليمني الذي قرأ الفرائض وقراءة أبي عمرو بن العلاء على الشيخ أحمد بن محمد الحاسب (ت/ بعد ٥٥٠هـ) في زبيد بمنزل عمارة[7]، وقرأ الفقيه عبدالله بن عيسى بن أيمن الهرمي كتاب (المهذب) وكتاب(البيان) و(الانتصار) و(الحروف السبعة) على شيخه الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني[8].

جـ ـ طريقة الإملاء:

شهد القرنان الخامس والسادس الهجريان انتعاشاً كبيراً لما يسمى بمجالس الإملاء في جميع الأمصار الإسلامية، وخاصة في بغداد وبلاد الشام [9]،واليمن لم يتخلف عن ركب دار الإسلام، وما توفر للباحث من معلومات تفيد بأن بعض العلماء كانوا يخصصون أياماً من كل أسبوع كيوم الخميس والجمعة لغرض الإملاء[10] في حين تكون بقية الأيام للقراءة أو السماع .

---

١ ـ هو أبو نصر هبة الله بن ثابت البندنيجي نسبة إلى بلد بالقرب من البصرة يسمى بندنيجين،كان صبوراً على الاقراء،[محمد الجندي ،مصدر سابق،ج١ ص٢٧٥]

٢- عمر الجعدي،الطبقات،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٩- ١٢٠.

[3]ـ قرية تقع أسفل جبل التعكر بجوار مدينة جبلة[إبراهيم المقحفي ،معجم البلدان،جـ٢ص ١٠٤٣].

٤- علي الخزرجي، طراز أعلام الزمن،ص ١١٦ ؛الطيب با مخرمة، تاريخ ثغر عدن،ص ١٣٦- ١٣٧ ؛ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص٤؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٧٨- ٢٧٩.

٥- محمد الجندي ، المصدر السابق، ص ٢٧٥.

٦- دمنة خدير، بلدة في الجنوب الشرقي من مدينة تعز تبعد عنها حوالي ٣٠كم [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان،ص ٦٢٢].

٧- إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق ص ١٠٨٤- ١٠٨٥؛ عمارة، المفيد،ص ٢١٤.

٨- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٣٤٥ ؛ الطيب بامخرمة، مصدر سابق،ص ٧٣٦- ٧٣٧.

٩- عبد الكريم السمعاني،أدب الإملاء والاستملاء، ص،١٦،٢٣،١٧.

١٠ - إبراهيم بن القاسم،المصدر السابق ،جـ١ ص٤٤٧.

وقد اعتُبِرَ الإملاء احد أركان السماع لدى أغلب العلماء، سواءً كان من حفظ الشيخ أو من كتابه، وهو ارفع طرق التلقي عند جمهور العلماء [1]واستخدمت بشكل واسع في حلقات المساجد وفي المجالس العلمية[2].

واشتهرت في اليمن خلال هذه الفترة عدد من مجالس الإملاء، أهمها مجلس الشيخ الحافظ زيد بن الحسن البيهقي، القادم إلى اليمن في عام ٥٤٠هـ في مسجد الإمام الهادي بصعدة، حيث كان يعقد كل خميس وجمعة لمدة عامين ونصف[3]،وان كان هذا متأخراً على زمن الدراسة بقليل إلا أنه يرجح أن يكون معمولاً به قبل هذا في اليمن .

كما اشتهرت في اليمن كتب (الأمالي)، والذي يشير لفظها إلى أنها من المحفوظات أو المسموعات التي كان يمليها أصحابها من العلماء الكبار على طلابهم، ومن ثم يقوم الطلاب بتدوينها حتى ينتهي المجلس، ولذا أطلق عليها اسم الأمالي، وأغلبها في الحديث[4].

ومن الأمالي المشهورة في اليمن في تلك الفترة، وخاصة لدى الزيدية: (أمالي أحمد بن عيسى) و(أمالي أبي طالب) و(أمالي السمان) و(أمالي السيد ظفر بن الداعي) و(أمالي المؤيد بالله)[5] وغيرها.

مما سبق تتضح أهمية طرق السماع والقراءة والإملاء في عملية التعليم ونقل المعلومات من المعلم إلى الطالب، ولما كان الطالب والمعلم هما محوري العملية التعليمية ؛ فإنه لم يقتصر دورهما على القراءة أو السماع فقط ، بل كان يرافق ذلك استخدام عددٍ من الأساليب التي من شأنها أن تساعد على ترسيخ الفهم والحفظ في أذهان الطلاب وتُطمْئِن المعلم على التأكد من أن جهوده موفقة، كما تساعده على تقويم أدائه ومن ثم فهم الطلاب، وأن كلاً من المتعلم والمعلم قد شاركا بشكل أو بآخر في عملية التحصيل، واستفاد كل منهم من الآخر.

د ـ طريقة الحفظ والتلقين:

وهي طريق خاصة بالاسماعيليين ؛وهي غير الحفظ التلقين في المرحلة الأولى؛فهذه القصد منها حفظ و تلقين مسائل الخلاف وآراء أهل الملل والنحل من الفرق الإسماعيلية وغيرها، والحفظ هنا يختلف عن الحفظ والتلقين لدى بقية المذاهب، ففي المذاهب الأخرى يلقن ويحفظ المبتدئ أو الطفل ،بينما يتم عند الإسماعيلية تلقين من أصبح لديه القدرة على استيعاب الآراء والأفكار والمسائل الخلافية، والغوص في علمي التنزيل والتأويل الباطني.

وفي هذا يقول مصطفى غالب وهو أحد الإسماعيليين:" إذا توصل الداعي المكاسر إلى إقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون في الوصول إلى معرفة الحقيقة فيأخذه إلى أحد الدعاة الذين هم أعلى

١- عثمان بن الصلاح، المقدمة، ص٨٧.
٢- محمد العمايرة، الفكر التربوي في بلاد الشام،ص١٥٤.
٣- إبراهيم بن القاسم،الطبقات،مصدر سابق ،جـ١ ص٤٤٧،أحمد بن أبي الرجال،مطلع البدور،جـ٢ص ١٠٧.
٤- عبدالرحمن المختار، مرجع سابق، ص٨٠.
٥ - إبراهيم بن القاسم ،المصدر الاسبق،جـ١ ص٤١٧- ٤١٨.

منه مرتبة، فيلاطفه ويفاتحه في لين ورفق ... ويُحَفِظّهُ بعض المسائل الخلافية، ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية دون أن يخبره أنه إسماعيلي..."[١].

وفي المدرسة الإسماعيلية ،عمل مدير هذه المدرسة القاضي لمك بن مالك الحمادي على تلقين طلبته من الدعاة فيها كل ما أخذه من علوم الدعوة في مصر، ومن هؤلاء الطلاب الذؤيب بن موسى الوادعي ويحيى بن لمك الحمادي[٢].

٢- أساليب التعليم والتعلم:

أ- أسلوب السؤال والجواب.

يعد أسلوب السؤال والجواب من أساليب التعليم التي يستخدمها المعلمون لغرض معرفة قدرات طلابهم وتحديد مستوياتهم وجذب عقولهم، ومن ثم تقويم أدائهم ،وذلك لم يكن جديداً على العلماء المعلمين من أهل اليمن ،فكان أسلوباً معمولاً به لدى أغلب المعلمين .

وممن استخدم هذا الأسلوب خلال تلك الفترة معلم الفقيه سليمان بن فتح بن مفتاح الصليحي(ت/٥٥٧هـ)[٣] الذي سأله عدة أسئلة في غريب الحديث ومختصر العين فأجاب إجابات موفقة نال على إثرها الثناء الحسن [٤].

واستخدم السؤال والجواب أثناء الحوار والنقاش الذي يرافق عملية السماع والقراءة، وقد يكون حول مسألة من المسائل الفقهية، فيسمح للطالب بإبداء رأيه وقول كلمته، ولعل الطالب يكون على دراية في جانب من جوانب العلم نتيجة لرحلاته وسماعه على أكثر من شيخ، وفي ذلك يستفيد كل من الطالب والشيخ، حتى أن بعض المشايخ قال عن أحد طلابه:" لا أدري أينا انتفع بصاحبه"[٥].

كما استخدم هذا الأسلوب في إدارة المناظرات والجدل ومجالس التأويل ،أثناء المجادلة والمناقشة .

ب - أسلوب المجادلة و المناقشة:

يقصد به: مجادلة أهل العلم - من علماء الإسماعيلية - ويقوم بهذه المهمة المكاسر (المكالب) والذي هو أدنى من الداعي مرتبة، فيبدأ بمجادلة الداعي أو العالم أمام جماهير الناس، وكأنه يريد أن يفهم ويستفيد منه، موهماً الحاضرين أنه واحد منهم ، وهذا الجدال من أجل التوضيح والإبانة للآخرين من قبل الشيخ، وبطلب من الجماهير[٦].

والمكاسر هذا على درجة كبيرة من الثقافة،ولا يتولى تلك المرتبة إلا بشروط ،أهمها: أن يكون من أبناء،المنطقة وذا حسب ونسب، متبحراً في علوم الإسلام ؛لا سيما المذاهب والفرق

١- مصطفى غالب، تاريخ الدعوة، ص ١٤٠، ١٥٠.
٢ - المصدر نفسه،ص ٢٢ ؛ محمد الإدريسي ، نزهة الأفكار،ص ٨٦.
[٣]ـــ لم تذكر المصادر التي اطلع عليها الباحث اسم معلم فتح بن مفتاح الصليحيز
٣ - عمر الجعدي ،مصدر سابق ،ص ١٩٤، ١٩٥ ،محمد الجندي ،مصدر سابق ،جـ ١، ٣٠٤.
٤- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٧٣٢ ؛ حسين الأهدل، مصدر سابق،ص ٤٦٨ ؛الأفضل الرسولي، العطايا السنية،ص ٤٩٦.
٥- مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٢١.

وعلوم اللغة، وفنون الجدال، ومواطن الضعف في كل الفرق والمذاهب الإسلامية، وأن لا يعرف عنه أحدٌ أنه إسماعيلي[١].

فإذا ما شرع المكاسر في مجادلته جادل مجادلة عنيفة ووضع أسئلة غامضة ، وفي أغلب الأحيان يظهر عجز الداعي (العالم) عن الجواب الصحيح، أو يسمح عن قصد بإظهار بعض الأخطاء، فيسخر المكاسر من الداعي ويتركه، وهنا تظهر عبقريته فيسرع إليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن ما أشكل من أسئلة، وفي هذه اللحظة يمكن له أن يبدأ ببث أفكاره وانتقاء طلابه من بين الجمهور الذي استمع إلى مجادلته مع العالم[٢].

من هذا يتضح أن المجادلة والمناقشة كانتا من أهم طرق التعليم في اليمن في تلك الفترة، كون الحاكم هو إسماعيلي المذهب، وعمل على نشر دعوته في أنحاء اليمن عبر دعاته الموثوق بهم، والذي يفهم أنهم تمكنوا من نشر الدعوة في ما يسمى لديهم ب(جزيرة اليمن)[٣]، وهذه هي وسائلهم سواءً أكانت في جزيرة اليمن أو في غيرها، والذي مكنهم من ذلك هو العامل السياسي الذي تهيأ بقيام الدولة الصليحية.

ج - أسلوب المكاشفة:

ويقصد بها - كما ذكر مؤلفو الإسماعيلية ودعاتهم - أنها أسلوب يستخدم عندما يصل المستجيب إلى درجة من الوثوق به، يمكن أن يسمح له معها كشف بعض الأسرار الخفية التي لا ينفر منها[٤].

فإذا أخذت العهود واطمأن داعي الليل - المكاسر الليلي الذي يأخذ العهود ليلاً- إلى أن يصبح المستجيب موثوقاً به ومؤهلاً لأخذ العلم، بدأ يكاشفه ويظهر له بعض الأسرار الباطنية وينقله من داعي إلى آخر تمهيداً لحضوره[٥] مجالس التأويل[٦].

ومن هذه المكاشفات ما تم لعلي بن محمد الصليحي من مكاشفة على يد معلمه وأستاذه سليمان بن عبدالله بن عامر الزواحي، حيث تشير المصادر التاريخية أنه بعد أن نال منه الغرض (البيعة) بدأ بمكاشفته، ورقاه في مراتب العلم والأدب من مرتبة إلى أخرى، حتى أبلغه الذروة فأفاض إليه بمكنون سره[٧].

وعليه يمكن القول بأن المكاشفة كانت من أساليب التعليم الفردية لدى الإسماعيلية، و من خلالها تم تربية أعلام الدعوة الإسماعيلية وأتباعهم في اليمن في الفترة المذكورة.

١- مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٢١.
٢ - مصطفى غالب، تاريخ الدعوة، ص١٤٠، ١٥٠ ؛أحمد الكرماني، راحة العقل،ص ١٥٠ .
٣ انظر تفاصيل عن الجزر الدعوية ص٢٠ من هذه الدراسة.
٤ - أحمد الكرماني، مصدر سابق،ص ٧٣.
٥- مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٢٢.
٦- لا يعقد هذه المجالس إلا داعي دعاة الجزيرة وهي خاصة بتأويل القرآن والسنة وكلام الأئمة الإسماعيليين[مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٢٢].
٧ - إدريس الأنف، عيون الأخبار،ص ٥- ٦.

د ـ أسلوب التفلسف:

ويقصد بها الفلسفة الإسماعيلية التي لا يعرفها غير الدعاة[١]، من التأويلات والآراء الباطنية التي يحظر على عامة الناس فهمها وإدراكها.

وعدها الباحث هنا أسلوباً من أساليب التعليم؛ لأن الإسماعيليين أنفسهم اعتمدوا عليه كأسلوب محوري في تثبيت وتقويم العقيدة، وطريقاً مهماً في سبيل كشف جوهر الخالق والدين.

وعليه يعتمد المكاسر في سبيل كسب جولته أثناء المجادلة والمناقشة إذا ما وجد حرجاً أثناء النقاش، كأن يكون من يناقشه أكثر منه علماً في مختلف فنون العلم، هنا وجب على المكاسر أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها ولا يفهمها العامة، فيدخل معه في مناقشات باطنية هي من أخص علم الفلسفة الإسماعيلية، ولا يعرفها غير الدعاة، وبعد ذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة، بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها[٢].

فإذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة في السلم التنظيمي وهو المكاسر فكيف يمكن أن يكون عليه حال أكبرهم ومن هم أعلى منه مرتبة، فبالفلسفة والمنطق والنقاش والمجادلة استطاع الإسماعيليون أن ينشروا دعوتهم في أنحاء اليمن وما جاورها في الفترة موضوع الدراسة والبحث.

هـ ـ أسلوب الوجادة :

وهو أسلوب تعلمي ؛يقصد به ما أخذ من العلم من صحيفة أو كتاب من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة[٣].

وهي أسلوب من أساليب الحصول على العلم والتعلم الذاتي، وهذا يعني قدرة المتعلم الذاتية على الفهم والاستنباط عن طريق الكتب من غير سماع أو عرض من صاحب الكتاب[٤].

وقد استخدم هذا الأسلوب من قبل طلاب العلم الذين بلغوا درجة من التمكن العلمي وتوفرت لهم الكتب ،ويدل على ذلك أن الفقيه الزاهد مقبل بن محمد بن زاهر الهمداني (ت/٥٧١هـ) فضل السكن في ذي أشرق رغبة في الكتب الموقوفة فيها[٥]، وهذا يعني أنه قد استفاد وتعلم من تلك الكتب من غير سماع ولا عرض على مؤلفيها.

يتضح من ذلك أن الوجادة كانت من الأساليب المعمول بها في تلك الفترة، نتيجة لتوافر الكتب والتي تشير المصادر أنها لقيت اهتماما من قبل العلماء والمتعلمين والحكام .

١ ـ مصطفى غالب،الأعلام، مصدر سابق،ص٢٢.
٢ـ مصطفى غالب،الأعلام، مصدر سابق،ص ٢٢، ٣١.
٣ ـ الخطيب البغدادي ،مصدر سابق ص٣٥٣.
٤ ـ منير الدين ،تاريخ التعليم عند المسلمين،ص٦٥.
٥ـ عمر الجعدي ،الطبقات،مصدر سابق ،ص ١١٥، محمد الجندي ،السلوك،مصدر سابق ج١ـ٢٧٥.

المبحث الثالث: تنظيم عملية التعليم والتعلُّم :

إن تقسيم نظام التعليم إلى مرحلتين مرحلة أولى ومرحلة الثانية،أو ما يمكن أن يصنفها الباحث وفقاً لتقاليد السلّم التعليمي السائدة اليوم ب(التعليم العالي) وما يميز المرحلة الثانية عن الأولى هو طول مدتها، واختلاف طرق وأساليب التعليم فيها، ولذا سيتم الحديث عن تنظيم عملية التعليم والتعلم في مؤسسات وأماكن التعليم والتي أخذت إشكالاً وصوراً متعددة وذلك على النحو الآتي :

١- بداية التعليم:

لم ترتبط بداية التعليم في المرحلة العليا بشروط معينة ولا بسنوات محدده من عمر الطالب، ولكن إذا ما انتهى الطالب من ختم القرآن وحفظه مع تعلم الخط وشيء من علوم اللغة والحساب، وكان محافظاً على الصلاة وعارفاً بالطهارة، عند ذلك يمكن أن يبدأ السماع من الشيوخ ويجالس العلماء[١].

وفي خلال الفترة الزمنية المحددة وجد الباحث تفاوتاً في أعمار المتعلمين الذين يريدون الالتحاق بالمرحلة العليا، فبعض المتعلمين قرأ وسمع على مشايخه عدداً من الكتب في الفقه والفرائض وغيرها، ولم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة،مثل يحيى بن أبي الخير العمراني[٢]وبعضهم لم يتجاوز الثماني عشرة سنة، ومنهم قبل أن يبلغ الحلم يكون قد حصّل علوماً متعددة، كما ذُكر عن علي بن محمد الصليحي، حيث أصبح عالماً بالتأويل وفقه المذهب ولم يبلغ الحلم[٣]،على حد تعبير عمارة.

وهناك من الفقهاء والعلماء من كان يعقد مجلس العلم أو حلقة العلم، وفيها من يطلب العلم مع أولاده ، مثل حلقة الفقيه خير بن يحيى الذي كان يأخذ عنه الشيخ أسعد بن الهيثم وولداه عمر وزيد؛ أخذوا عنه صحيح البخاري[٤].

من هنا يمكن القول إنه لم يكن هناك سن محدد لبداية التعليم في المرحلة العليا، وإنما الأمر متروك للطالب ومدى اجتهاده واهتمام أسرته، مما يؤكد أن نظام الالتحاق بالتعليم العالي يختلف من طالب إلى آخر.

٢- نظام القبول:

لم تكن هناك شروط محددة تتعلق بسن المتعلم، ولا شروط تتعلق بفئة أو طبقة ينتمي إليها المتعلم، فجميع العلماء لم يكونوا يترددون في قبول أي طالب علم يريد أن ينضم إلى أي حلقة أو مجلس علم، وكان هذا سائداً لدى جميع العلماء ،إلا ما ورد عن الفقيه أبي بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي، و كانت حلقته بجامع الجند ،فإنه كان متى وصله طالب سأله عن حسبه ونسبه،

١- عبد الرحمن المختار ،الحياة العلمية، ص١٥٧.
٢- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ١٩٤.
٣- عمارة/ كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ١٤٣،إدريس الأنف، مصدر سابق،ص ٥-٦.
٤ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ١٩٤.

فإذا ما وجده صاحب حسب ونسب أقرأه وأمره بالاجتهاد، وإن لم يكن كذلك صرفه عن طلب العلم، وكانت حلقته تضم نحو خمسين أو ستين طالباً لهذا السبب، وكان بجوار مدرسته مدرسة أخرى لتلميذه زيد والذي كان يقرئ كل من وصل إليه من غير بحث عن نسب أو حسب، ولهذا بلغ عدد من يجلسون في حلقته أكثر من ثلاثمائة طالب، ملأوا ما بين المنبر والباب(١).

وكان يتم قبول طالب العلم متى وجدت لديه الرغبة في طلب العلم،وكان قد أتم حفظ القرآن ، ولديه خبرة في اللغة العربية ولو كان ذلك سليقة دون معلم،فهذا عمارة بن علي اليمني دخل زبيد يريد طلب الفقه وهو دون العشرين من عمره عام ٥٣٠هـ،فكان جميع المعلمين يعجبون من فصاحته وبلاغته الطبيعية التي تفوق أقرانه الذين درسوا اللغة(٢)،فتم قبوله والاكتفاء بما لديه من قدرات طبيعية.

أما عن نظام القبول لدى بقية المذاهب فلم تذكر المصادر التاريخية التي اطلع عليها الباحث أي شروط أو مواصفات لطالب المرحلة العليا غير ما ذكر، ولعل ذلك هو النظام المعمول به في اليمن خلال تلك الفترة.

٣- نظام الحلقة العلمية:

إن تنظيم عملية التعليم في اليمن خلال فترة حكم الصليحيين لا تختلف كثيراً عن تنظيمها في البلاد الإسلامية، حيث كانت عملية التعليم تنفذ في المساجد والمكتبات ومنازل العلماء وغيرها.

وكان من الوسائل ضمن التنظيمات التعليمية نظام الحلقة العلمية، وأول من استخدم نظام الحلقة العلمية هو النبي ﷺ حيث كان أصحابه يحلقون حوله في المسجد النبوي ليعلمهم أمور دينهم، وكانت تعقد في المسجد حلقاً لتعليم القرآن والفرائض وحلقاً للذكر(٣)، وكانت هذه الحلقات ثابتة ومستمرةً في كل العصور الإسلامية حتى الوقت الحاضر.

أما عن شكل الحلقة وكيفيتها، فكان المعتاد أن يجلس الشيخ إلى سارية من سواري المسجد أو المنبر ويتحلق حوله الطلاب بحيث يكونون في مدى رؤيته، خاصة إذا كانت الحلقة صغيرة أو متوسطة(٤)، أما إذا كانت كبيرة فإنه يتعذر ذلك؛ لأن بعض الحلقات بلغ عدد الطلاب فيها أكثر من مائتي طالب(٥)، ولعل هذه الحلقات الكبيرة كانت تعقد في المساجد الجامعة ،مثل الجند ، أما المساجد الصغيرة فالغالب أنها كانت تعقد بها حلقات صغيرة أو متوسطة.

---

١ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٥٠.
٢ - عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق ،ص ٦٧.
٣ - مصطفى البغا، الوافي في شرح الأربعين النووية، ص١٥، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ،ص ١٩، ٥٣.
٤- الأفضل الرسولي،العطايا السنية،ص ٣٢٣.
٥- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٤٥ ؛ عبد الرحمن الوصابي، تاريخ وصاب،ص ٢١٥.

وأما الأساليب المستخدمة في الحلقة فهي: إما النقاش بين الطرفين الطالب والمعلم ، أو عبر توجيه الأسئلة الموجهة من المعلم لجميع الطلاب، ابتدءاً بمن على يمينه؛ ثم الذي يليه حتى ينتهي بمن على يساره، وقد توجه أحياناً أسئلة لمن كان غافلاً من الطلاب[١].

ومن أشهر حلقات العلم في المدة المذكورة: حلقة الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني في كل من قرى سير[٢] وذي أشرق[٣] وذي سفال[٤]، وكانت هذه الحلقة تقام أينما استقر وأقام ،ويتبعه طلابه حينما ينتقل من قرية إلى أخرى، ولم تنقطع حتى بعد موته، حيث خلفه عليها ولده طاهر بن يحيى الذي تفقه على يد والده وغيره[٥].

ومن الحلقات العلمية: حلقة الشيخ إسحاق بن أحمد بن محمد بن عبد الباعث الصعدي بجامع الهادي في صعدة، فكان خطيباً للجامع ومدرساً لعدد من الطلاب في حلقته بالجامع الكبير في صعدة[٦].

ومن حلق العلم التي كانت تعقد في هذه الفترة، حلقة القاضي لَمَكْ بن مالك الحمادي، و كان هو قاضي قضاة اليمن وهادي دعاتها – الإسماعيليين – كما جاء وصفه في عيون الأخبار، ومما يرجح أنه كان يعقد حلقة علمية؛ أنه بعد عودته من مصر وتوليه منصب داعي القلم[٧]، جند جهوده من أجل تخريج دفعة جديدة من الدعاة المؤهلين لقيادة جزيرة اليمن الدعوية، لكن المصادر المتاحة لم تذكر شيئاً عن تفاصيل هذه الحلقة، إلا ما ذكر من خصوصيتها بأعضاء الحركة الإسماعيلية، وأن صاحبها لم يعط كل ما عنده من العلم لطلابه، حيث تروي المصادر الموجودة ما نصه " أن القاضي لمكاً لم يسمح من حقائق علمه إلا بالشيء القليل للداعي المكرم والملكة الحُرة وأحمد بن قاسم..." [٨].

٤- نظام المجالس:

يقصد بالمجالس الأمكنة التي يجتمع فيها الناس للحديث في مختلف شئونهم سواءً الخاصة أو العامة، وقد يكون المجلس للعلم أو الشعر أو البت في قضايا الناس أو غير ذلك، وكانت تعقد إما في المسجد أو في قصور العلماء أو الأمراء أوفي الميادين العامة إذا كان عدد الحاضرين كثيراً لا تتسع لهم المساجد ،مثل مجالس الإملاء والوعظ والتشويق[٩].

١- مُسْلم اللحجي، مصدر سابق،ص ٣٢٣.

٢- سير، مركز إداري من مديرية بعدان، ووادي سير مركز إداري يتبع مديرية السياني وهي منطقة استوطنها الفقهاء من بني عمران [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان، جـ١،ص ٨٣٥].

٣- أنظر التعريف بهذه القرية ص ١٥٢ ،من هذه الدراسة.

٤- من القرى التي بنيت في عهد الدولة الصليحية،وهي إحدى القرى المشهورة بالفقهاء،تقع على بعد مرحلة جنوب مدينة الجند[إسماعيل الأكوع،الهجرجـ٢،ص٧٦٦].

٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٨٧.

٦- إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق،ص ٢٤٣-٢٤٤.

٧- كان الداعي علي بن محمد الصليحي داعياً مطلقاً، ولما تولى المكرم أحمد عُين داعي السيف والقاضي لمك داعي القلم (إدريس الأنف،عيون الأخبار،ص١٢٨-١٣١).

٨ - إدريس الأنف، مصدر سابق،ص ١٢٨-١٣٠.

٩- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٨٧-٢٣٣ ،إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ص،٢٩،[التشويق؛هو ما يلقى من الدروس والمواعظ الخاصة بالمستجيب في فضل الأئمة والدعاة وبعض العبادات والأوقات،/يوسف ملا أحمد،الوعظ والتشويق،ص١-١٧] .

وقد حرص بعض العلماء على عقد مجالسهم خارج المسجد وخاصة مجالس الأدب والشعر والمناظرات، وذلك لما يثار فيها من الردود وارتفاع الأصوات، والذي يُكره أن تكون في المسجد، أما بقية المجالس العلمية والخاصة بالعلوم الشرعية من حديث وفقه وأصول وغيرها فقد ظل العلماء يحرصون على إقامتها في المساجد[1]وقد أخذت صوراً متعددة ،:

ومن أهم هذه المجالس: مجلس الفقيه أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم ،والذي عرف بابن الأبار في زبيد بمسجد الأشاعرة حيث كان به مدرسته، وكان هذا المجلس يزدحم بالطلاب حتى أنه لم يبق بينهم مكان في المسجد، فأنشد من شاهد ذلك منهم ولم يجد مكاناً فقال:

مَجْلِسُكَ الرَحْبِ مِنْ تَزَاحُمِهِ — لا يَسَعُ المَرءُ فِيهِ مَقْعَدَهُ

كُلٌ عَلى قَدْرِهِ يَنَالُ فَذا — يَلقُطُ مِنْهُ وذاكَ يَحْصُدُهُ

فقال الفقيه: أفرجوا له، فقعد، وتفقه على يديه خلقٌ كثير [2].

ومن المجالس المشهورة مجلس الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي (ت/٥١٥هـ) بمسجد الجند، وهو غير الحلقة العلمية التي كان يعقدها بالمسجد المذكور، لأن طلاب المجلس كان عددهم أكثر من عدد طلاب الحلقة فكانوا يملؤون ما بين المنبر والباب [3].

ومن المجالس ما كان يعقد في المنازل والقصور، و كان أغلبها في الشعر والأدب والقضايا الفقهية، كما كان يحدث في مجلس ابن أبي عقامة في منزل الأمير جياش، وكان زيد اليفاعي يدرس الفقه في دهليز بيته[4].

وكان دعاة وعلماء الحركة الفاطمية ينقلون علومهم وأفكارهم ومعتقداتهم من خلال مجالسهم والتي تسمى بمجالس التأويل، والتي يتم إملاؤها على الأتباع والطلبة في هذه المجالس لتصبح منهجاً حركياً وعلمياً فيما بعد، ومن أمثلة تلك المجالس مجالس قاضي القضاة النعمان بن أبي عبدالله محمد بن منصور التميمي(ت/٣٦٣هـ)، المشهورة بمجالس التأويل أو دعائم الإسلام، والاسم الحقيقي لهذا الكتاب هو " تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين"، وهذا الكتاب يعتبر أول المصادر الرئيسة الخمسة عند الفاطميين في علم التربية والتأويل[5]وكان هو المقرر لدى إسماعيلية اليمن في مجالس الوعظ والتشويق .

وفي الإطار نفسه كانت مجالس داعي الدعاة هبة الله الشيرازي (ت/ ٤٧٠هـ) في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي والتي أصبحت كتباً تدرس في مدارس الدعوة في أنحاء العالم وتسمى "المجالس المؤيدية" وهي عبارة عن ثمانمائة مجلس أو محاضرة تم جمعها في كتاب سمي بالجامع، وعلى الجامع هذا تتلمذ دعاة اليمن أمثال يحيى بن لمك(ت/٥٢٠هـ) والذؤيب بن موسى

١- يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله،ص ١٦٨-١٦٩.

٢- محمد الجندي:السلوك، مصدر سابق،جـ١،ص ٣٢٦-٣٢٧.

٣ - محمد الجندي المرجع نفسه، جـ١ص٦٧-٦٨.

٤- محمد الجندي المرجع نفسه جـ١،ص ٢٦٧ ؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر، مصدر سابق،جـ٢ ص ٥٠٧.

٥ ـ النعمان التميمي، تأويل الدعائم،ص ١٢-١٤.

الوادعي(ت/٥٣٦هـ) [١]،وإبراهيم بن الحسين الحامدي(ت/٥٥٧هـ)، ثم يأتي علي بن حاتم بن إبراهيم الحامدي(ت/٦٠٥هـ) ليختصر الجامع في كتاب ويسمى بالمختصر الجامع تسهيلاً لطلاب العلم[٢].

من خلال ذلك يمكن القول أن القاضي لمك بن مالك الحمادي نقل هذه المجالس وغيرها إلى اليمن، أثناء عودته وبدأ بتطبيق الأسلوب نفسه أثناء عمله على من يتم تعليمهم، ومنه إلى بقية مدارس الدعوة في اليمن، فأصبحت مجالس التأويل تؤدي دورها في نشر العلم، ومن الوسائل والطرق المعتمدة في تلك الفترة، ولو لم تذكر المصادر ذلك إلا أن الغالب أنه عُمل بها، لأن من عادة الطالب أن ينقل خبرات أستاذه ومعلمه، ولعل عدم ذكرها في المصادر التاريخية يعود إلى ما تتميز به الدعوة الفاطمية من السرية والتكتم، وخاصة من الاطلاع على كتبها وأمورها التنظيمية[٣].

ومن خلال ما قام به الحامدي من تلخيص لكتاب مجموع المجالس يتضح مدى أهمية اختصار هذا الكتاب ليكون سهلاً بين يدي الطلاب والقضاة اليمنيين في مجالس الدعوة الفاطمية العلمية.

وتشير بعض المصادر إلى أن الملكة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحي كانت ذات منزلة كبيرة في علم التأويل والتنزيل، وكان يحضر مجلسها الدعاة والوجهاء من أهل الدعوة الفاطمية في اليمن، فيأخذون عنها من وراء ستار[٤]، وفي ذلك دلالة على أنها كانت تعقد مجلساً للتأويل في منزلها.

٥- نظام التعليم لدى الإسماعيلية :

أولى الإسماعيليون اهتماماً كبيراً بتنظيم دعوتهم ودعاتهم، فعمدوا إلى تقسيم العالم إلى اثنتي عشرة جزيرة، وجعلوا للجزيرة تنظيماً خاصاً بها وجعلوا أيضاً تنظيماً دقيقاً للقيادة المركزية ،و لمعرفة نظام التعليم والقبول لابد أن يتحدث الباحث عن التنظيمات الدعوية على هذا الأساس، تنظيم الجزيرة ثم تنظيم القيادة المركزية.

أ- تنظيم الجزيرة.

كما سبق الحديث عن تقسيم العالم إلى اثنتي عشرة جزيرة دعوية – عند الإسماعيليين – وقارنوا ذلك بعدد الأشهر والنجوم وما إلى ذلك[٥]، وجعلوا لكل جزيرة من هذه الجزر دعاة، وحدد الإمام مهام كل داع، وكان ذلك على النحو التالي:

(١) داعي دعاة الجزيرة: وهو نائب الإمام في الجزيرة.

(٢) النقباء: وعددهم ثلاثون نقيباً، لكل داعي جزيرة ثلاثون نقيباً، هم وزراؤه ومستشاروه في كل أمور جزيرته.

١- أول الدعاة الفاطميين المطلقين باليمن بعد استتار الإمام الطيب بن الأمر فيها، حيث تشير المصادر أنه قام في اليمن ثلاثة وعشرون داعياً مطلقاً قبل نقل الدعوة إلى الهند (النعمان التميمي: تأويل الدعائم، ص٢٢).
٢- النعمان التميمي: تأويل الدعائم مصدر سابق،ص ١٠، ١٥، ٢٢.
٣- النعمان التميمي المصدر نفسه،ص، ١٠.
٤ - مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، ١٤٤.
٥ - يراجع في ذلك، أعلام الإسماعيلية ،ص ١٩- ٢٠ ؛ النعمان التميمي، تأويل الدعائم،ص ٢٢٠.

(٣) المعاونون: وهم أربعة وعشرون معاوناً لكل نقيب، وكلهم دعاة.

وبهذا يكون إجمالي عدد الدعاة بكل جزيرة سبعمائة وواحداً وعشرين داعياً، يعدهم الإمام عصب دعوته وينتخبهم من ذوي المواهب والقدرة الفائقة في العمل الدعوي، وجعلهم من حدود الدين، ليتمكنوا من نشر الدعوة[١].

وهؤلاء المعاونون يسمون بالمكاسرين أو المكالبين، ولكل نقيب أربعة وعشرون مكاسراً، اثنا عشر مكاسراً بالنهار و اثنا عشر مكاسراً بالليل، وعلى عواتقهم تقع مسؤولية الدعوة لما يقومون به من جهد، أثناء نقاشهم وجدالهم أمام العامة من الناس ثم مع المستجيب في مراحله الأولى، وعمل هؤلاء الدعاة هو الذي يمكن لعامة الناس الإطلاع عليه ،أما بقية الدعاة الذين هم أعلى مرتبة منهم،فعملهم محاط بسرية تامة.

ب ـ القيادة المركزية .

يقصد بالقيادة المركزية مجموعة الدعاة المقيمين بحضرة الإمام، ويسمون القيادة العليا، وهم من أقوى وأعلم الدعاة، ومن القيادة ما هو سري للغاية لا يسمح بمعرفته لأحد دون الإمام، ومنها ما هو ظاهرٌ بحكم عمله، وتسمى مراتب، وهي على النحو الأتي:

(١) مرتبة الباب: وهي أعلى المراتب وسريِّة للغاية، لا يعرف صاحبها إلا الإمام، وصاحبها قد بلغ حد العصمة[٢].

(٢) مرتبة الحجة: وهي سريِّة أيضاً لا يعرف صاحبها إلا الإمام[٣]، وفي أثناء استتار الإمام الطيب في اليمن تولت سيدة الحرة الصليحية هذه المرتبة ومنحت لقب الحجة، ولعل التصريح بهذا اللقب يعود إلى استتار الإمام، فسمح لها بذلك.

(٣) مرتبة داعي الدعاة أو الداعي المطلق: وهي أعلى المراتب الظاهرة، ويتولى الإشراف على دعاة الجزيرة والوسيط بينهم وبين الإمام، وعليه عقد مجلس الحكمة التأويلية[٤].

ومن الدعاة الذين تولوا هذه المرتبة من دعاة اليمن الداعي ذُؤيب الوادعي(تـ/٥٣٦هـ)[٥]، فكان داعياً مطلقاً وذلك أثناء استتار الإمام الطيب بن الآمرفي أرض اليمن، ومن خلال ذلك يمكن القول بأن هذا الداعي بحكم منصبه وسيطاً بين الدعاة والإمام كان يعقد مجلساً للتأويل والحكمة، ولكن كتب التاريخ لم تذكر من ذلك شيئاً إلا كونه داعياً مطلقاً، ولعل هذه المجالس كانت تعقد سراً للدعاة فقط بحكم استتار الإمام[٦].

١- مصطفى غالب، الأعلام، الأعلام ،مصدر سابق،ص ١٩- ٢٠.(على حسب تعبير مصطفى غالب).
٢- مصطفى غالب، الأعلام، مصدر سابق،ص ٢٢- ٢٣.
٣ - مصطفى غالب، الأعلام، مصدر سابق الصفحة نفسها.
٤- مصطفى غالب، الأعلام، مصدر سابق الصفحة نفسها.
٥- هو أول الدعاة المطلقين باليمن، وبلغ عددهم (٢٢) داعياً مطلقاً (النعمان التميمي، تأويل الدعائم، ص٢٢).
٦ - مصطفى غالب ،المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وهناك ترتيبات عامة، تشمل القيادة المركزية وعامة الدعاة ،والتي تحدد مهام كل داع من الدعاة وخاصة العلمية والتربوية، وهو الأساس الذي أُقيم عليه جهاز أنظمة الدعوة، وهي:

(١) الناطق: وله رتبة التنزيل.

(٢) الأساس: وله رتبة التأويل.

(٣) الإمام: وله رتبة الأمر.

(٤) الباب: وله رتبة فصل الخطاب.

(٥) الحجة: وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً.

(٦) داعي البلاغ: وله رتبة تعريف المعاد والاحتجاج.

(٧) داعي الدعاة (الداعي المطلق): وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.

(٨) الداعي المحدود: وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة.

(٩) المأذون المطلق:وله رتبة أخذ العهد.

(١٠) المأذون المحدود: وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة، ويسمى (المكاسر أو المكالب)[١].

(١١) الجناح الأيمن: وله مؤازرة المأذون المحدود والقيام بمهامه أثناء غيابه.

(١٢) الجناح الأيسر: وله مؤازرة المأذون المحدود والقيام بمهامه أثناء غيابه أيضا.

وما يوجد في بعض الكتب الإسماعيلية أو غيرها من مسميات أو ترتيبات تخالف هذا فإنما هو عائدٌ إلى ظروف وأسباب لاحقة، وخاصة بعد افتراق الدعوة الإسماعيلية إلى طيبية ونزارية، وانتقال النزارية إلى بلاد فارس، حيث أجريت عليها بعض التعديلات[٢].

ومن خلال النظر في هذه التقسيمات والتنظيمات يمكن القول بأن عملية التربية والتعليم كانت تتم على شكلين:

- **الشكل الأول**: تربية خاصة:

وهذه التربية يقوم بها الدعاة أصحاب المراتب العليا، وهي خاصة بأبناء الفرقة الإسماعيلية دون غيرهم، وهي أشبه ما تكون بالتعليم العالي و التأهيل المستمر في صفوف الدعاة والمستجيبين لهم.

- **الشكل الثاني**: تربية عامة:

وهي من أعمال أصحاب الرتب الأقل شأناً، مثل المكاسر والأجنحة التابعة له، وهي تشبه إلى حد كبير التعليم في المرحلة الأولى في عموميتها.

---

١ - مصطفى غالب، الأعلام،مصدر سابق،،ص ٢٢- ٢٤.
٢- مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص ١٤٥ ؛ أعلام الإسماعيلية،ص ٢٠ .

المبحث الرابع- البحث العلمي والتفرغ العلمي:

تميز التعليم في تلك الفترة وخاصة في المرحلة العليا؛ باشتغال المعلمين بالبحث العلمي والجمع والتصنيف، لأن ذلك يثبت الحفظ ويزكي القلب ،ويشحذ الطبع ،و يساعد على إجادة البيان، ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر(١).

ثم إن الاشتغال بالتأليف والجمع قد يساعد على إضافة معلومات وأفكار جديدة والحصول على نتائج جيدة، لم يتوصل إليها من سبقه، وفي ذلك فضل كبير، فإذا لم يستطع الطلاب والمعلمون القيام بذلك؛ فعليهم بالتفرغ والاطلاع والجد والاجتهاد من أجل التحصيل ؛ إما بالنسخ والتعليق وكتابة الحواشي والشروح أو التصنيف والابتكار(٢)وهذا ما يمكن تسميته بالتفرغ العلمي.

وفي اليمن خلال فترة الدراسة وجد الباحث أن الكثير من حملة العلم – معلمين وطلاباً – كانوا يجمعون بين التعليم والتصنيف،فشدوا من أجل ذلك الرحال إلى مراكز العلم سواء داخل اليمن أو إلى خارجه، و كان البعض منهم يدرِّس بالنهار ويخص الليل للتصنيف(٣)، والبعض منهم كان يلجأ إلى المسجد ليقوم بالتأليف والتصنيف فيه(٤)، نظراً لما تمثله البيوت من مصادر للإزعاج أو مشاكل إما لكثرة الأولاد أو لكثرة تردد الناس عليها أو غير ذلك، فيجلس في المسجد من أجل الهدوء والسكينة والبركة،وقد يرحل من بلد إلى آخر؛طلباً للعلم أو من أجل نشره،ومن أجل ذلك عد الباحث الرحلات العلمية من طرق البحث العلمي ؛رغم أنها تعد ضمن الوسائل العلمية أحياناً.

ويحاول الباحث توضيح ذلك من خلال عرض الرحلات العلمية الداخلية والخارجية وأثرها في البحث العلمي،وكذلك في التفرغ من أجل البحث والتأليف على النحو التالي.

١ - البحث العلمي :

البحث العلمي من خلال الرحلات العلمية الداخلية والخارجية .

تعد الرحلة من أجل طلب العلم؛ طريقة من طرق البحث العلمي في سبيل الحصول على المعرفة،ومظهراً ثقافياً مهماً خاصة في مراحل التعليم العليا ،وقد كانت الرحلة وسيلة لتلقي الكثير من العلوم سيما علم الحديث(٥).

ولأن الارتحال من أجل طلب العلم يعد وسيلة من وسائل البحث العلمي وأداة مهمة من أدواته فإن الباحث سيعرض الأثر العلمي للرحلات من اليمن وإليها من خلال الآتي:

١- إبراهيم ابن جماعة، تذكرة السامع،ص ٧٨، ٨٠.
٢- إبراهيم ابن جماعة ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
٣ - عبد الرحمن الوصابي، تاريخ وصاب،ص ١٦٩.
٤ - عبد الرحمن الوصابي ،المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ حسين الأهدل، تحفة الزمن،ص ١٩٢.
٥ - الخطيب البغدادي،الكفاية في علم الرواية،ص ٦٠.

(١) الرحلة الداخلية وأثرها العلمي:

يقصد بها الانتقال بين مدن ومراكز العلم داخل اليمن أو داخل الإقليم الواحد والذي كان يتم بناءً على شهرة المركز العلمي أو شهرة العالم الذي يوجد فيه، فشهدت كل من صعدة زبيد والجند وجزيرة كمران وذي أشرق وأحاضة وبعض الهجر العلمية الكثير من الرحلات العلمية من داخل اليمن لغرض البحث العلمي وطلب العلم[١].

(٢) الرحلة من اليمن وإليها وأثرها العلمي:

يقصد بها الانتقال من بلد الإقامة إلى بلد آخر للحصول على العلم أو طلب الاستزادة منه[٢]. ومنها ما كان من اليمن إلى بقية أمصار الإسلام، ومنها ما كان من أنحاء العالم إلى اليمن، وسيقتصر الحديث هنا عن هذا النوع من الرحلات ومدى تأثيرها على الحركة العلمية والبحث العلمي وهي على النحو الآتي :

أولاً - المرتحلون من اليمن لغرض البحث العلمي:

شد الكثير من العلماء وطلبة العلم اليمنيين الرحال إلى المراكز العلمية خارج اليمن، مثل مكة، والعراق، وبلاد الشام ،ومصر، وغيرها من البلدان، وكان ذلك إما لشهرة مركز من المراكز العلمية في حاضرة من الحواضر الإسلامية ،أو لبركة وحرمة المراكز الأخرى كمكة والمدينة والقدس، والتي حبب شد الرحال إليها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام و مسجدي هذا والمسجد الأقصى"[٣].

ولمّا كان المرتحلون إلى مكة هم الأكثر، لما لها من قداسة في نفوس ا لمسلمين عامة، فسيبدأ الباحث بالحديث عمن ارتحل إليها وعلّم أو تعلم بها في الفترة موضوع البحث.

فمن الوافدين إلى مكة للحج وأخذ العلم:العلامة خير بن يحيى بن ملامس (ت/ ٤٨٠هـ) ،حيث حج ولقي عدداً من العلماء مثل أبي ذر عبد بن أحمد الهروي وأبي بكر بن محمد بن منصور الشهرزوري، فأخذ عنهم الكثير من كتب الفقه والحديث[٤].

ومن الوافدين إلى مكة الحافظ عبد الملك بن أبي ميسرة (ت/ ٤٩٤هـ) أخذ بعد أن حج سنة ٤٥١ هـ عن الشيخ العكي الرسالة الجديدة للإمام الشافعي في الفقه، وبعد عودتهما إلى اليمن أخذ عنهما خلق كثير في كل من عدن والجند وغيرهما[٥].

ومن أشهر من أخذ عن علماء مكة من أهل اليمن أبو محمد عبد الله بن عمير العريقي أحد طلبة زيد اليفاعي، فلما حج أدرك البندنيخي فأخذ عنه كتابه المعتمد من الخلاف، والبندنيخي

١ـ أنظر تفاصيل ذلك في فصل المؤسسات العلمية من الرسالة ،ص ١٥٤،
٢- الطيب بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ٧١.
٣ - مسلم ،الصحيح، باب (فضل المساجد الثلاثة) رقم -٣٣٤٨،ج٢،-ص٥٨٤ .
٤ـ عمر الجعدي،الطبقات ،مصدر سابق،ص٩٦.
٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ٩٨، محمد الجندي، السلوك: ج١ص ٢٤٠، ٢٤٣.

هذا هو شيخ الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني(ت/٥٥٧هـ) [١]، وكذلك أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن الأبار[٢].

وإذا كان الكثير من هؤلاء العلماء قد أخذوا عن علماء مكة،فإن البعض منهم كان قد درّس بمكة أيضاً أمثال زيد اليفاعي الذي كان يأتيه مغلّ أرضه إلى مكة فينفقه على أهل العلم وطلبته وذلك أثناء محنته مع أبي بكر بن جعفر المحابي في الجند،بعد أن أوقع بينهما مفضل بن أبي البركات، وعلى إثرها رحل إلى مكة وجاور بها اثنتي عشرة سنة أخذ عنه خلالها خلق كثير وإليه انتهت الفتوى بمكة[٣].

ومن العلماء الذين رحلوا إلى مكة لغرض الحج وانتفع بعلمهم هناك:الفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني ، الذي ناظر علماء الأشاعرة مناظرة قوية أظهر فيها تفوقاً علمياً ، فجلس بعد ذلك للمذاكرة في بعض فروع الفقه وأصوله[٤]،ولا بد أثناء ذلك أن يكون قد استفاد منه الكثير من الناس علماء وطلاب علم.

وممن جاور بمكة والمدينة الإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت/ ٥٢٨هـ) وقد كان كثير الحج والمجاورة،فأخذ عنه الكثير من العلماء والطلاب[٥].

ومن العلماء من قصد مكة للسكنى، وقد يكون أعظم أثراً وتأثيراً ممن يقصدها للحج أو المجاورة، كون الساكن يكون أكثر ملازمة للعلماء و المشايخ، ومن هؤلاء العلامة جمال الدين علي بن عيسى الحسني السليماني الزبيدي(ت/٥٥٦هـ) والذي وصف بنزيل مكة ومات بها، وقرأ على الزمخشري بمكة وأجازه في كتب عديدة، ثم فاق شيخه وقصده الطلاب من كل مكان، وأصبح إماماً للزيدية بمكة،و كتب وألف العديد من المصنفات بمكة[٦].

يتضح مما سبق عظيم العلاقة بين اليمن والأماكن المقدسة- مكة و المدينة - وأن علماء اليمن استفادوا وأفادوا، ثم نقلوا ما استفادوه إلى اليمن، فتفقه على أيديهم كثيرمن أهل اليمن .

وكذلك شهدت حواضر العالم الإسلامي كبغداد ومصر رحلات علمية من اليمن ، وممن ارتحل إلى بغداد من أهل اليمن العلامة السلطان عمر الأشعري المناخي(ت/٤٨٠هـ) والذي طرده الصليحي لما ملك بلاد ريمة [٧]، فدخل بغداد وأقام بها، وله مدائح وأشعار مشهودةُ في الخليفة العباسي ،وبلغ درجة علمية كبيرة [٨].

---

١ - محمد الجندي، السلوك، ج١ص ٢٨٤ ، ٣١٩.
٢ - محمد الجندي المصدر نفسه ،الصفحة نفسها،
٣- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ،ص ١٢٠ ، ١٢١.
٤ - عمر الجعدي، المصدر السابق،ص ١٧٦، ١٧٧.
٥ - عمر الجعدي، المصدر نفسه،ص ١٥٥ ، ١٥٦.
٦ - إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق ج٢ص ، ٧٧٤.
٧ – أحد مخاليف اليمن الشهيرة ،وكان السلطان الأشعري حاكماً لها قبل الصليحي[محمد الحجري،المعجم جـ٢،ص١٣٤] وهي اليوم إحدى محافظات الجمهورية اليمنية.
٨- عمر الجعدي: مصدر سابق، ص ١٣٠، ١٣١ ، ١٣٢.

وممن ارتحل إلى بغداد القاضي جعفر بن عبد السلام (ت/٥٥٠هـ) فسمع على عدد من المشايخ، ثم عاد إلى اليمن محملاً بكتب المذهب الزيدي وعلوم أخرى، فناظر علماء العراق وأقام عليهم الحجج، فلما عاد إلى اليمن كانت تلك العلوم والكتب هي مادة درسه لطلابه، وهذا العلامة تولى هذا العلامة الرد على فرقة المطرفية وناظرهم في أكثر من مكان[١].

كما رحل إلى بغداد سنة ٥٠٩هـ العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم الزبيدي(ت/٥٥٥هـ) فسكن بها وسمع الحديث عن علمائها، وحدّث ودرّس في بغداد ووعظ بها، وكان نحوياً وأديباً يكتب الشعر في بعض مساجد بغداد، واستمر في بغداد وأسرته من بعده[٢].

مما سبق يتضح أن العلاقة بين اليمن وتلك البلدان كانت في أحسن مستوياتها، وتشير المصادر التي بين يدي الباحث إلى أن تفقه زيدية اليمن كان في هذه الفترة على ما يأتيهم من بلاد العراق من كتب، كما يلاحظ وجود علاقة قوية بينهم وبين زيدية اليمن ،خاصة فرقة المخترعة، وذلك من خلال تدخل زيدية العراق في الرد على فرقة المطرفية بالمؤلفات والمناظرات العلمية.

وأما مصر فإن المصادر تشير إلى وجود علاقة قوية ربطته مع اليمن ،وأبرز ما ذكرته هذه المصادر، هي الرحلة العلمية الشهيرة لقاضي قضاة الدولة الصليحية لَمَكْ بن مالك الحمادي (ت/٥١٠هـ) الذي ظل في رحلة علمية – هي أشبه ما تكون بعثة دراسية عليا- لمدة خمس سنوات، تلقى خلالها الكثير من علوم التأويل والتنزيل والفقه وأسرار الدعوة الإسماعيلية ،ولم يعد إلا بعد مقتل الملك علي بن محمد الصليحي عام ٤٥٩هـ[٣].

وممن رحل إلى مصر الفقيه المؤرخ عمارة بن علي بن الحسن الحكمي اليمني (ت/٥٦٩) وعمارة هذا وإن كان رحيله متأخراً عن زمن الدراسة ؛ إلا أنه من أعلام اليمن الذين عاشوا فترة زمنية من زمن الدراسة ، وكان فقيهاً وشاعراً مفلقاً ،مدح وأثنى على ملوك وأعيان دولة بني زريع في عدن، وكذا بني نجاح في زبيد وهو من أرخ للفترة موضوع البحث ،وإليه يرجع الفضل كل الفضل في ذلك، وعنه أخذ كل المؤرخين من كتابه المسمى " بمفيد عمارة" ثم رحل إلى مصر وظل بها حتى قتل على أيدي الأيوبيين[٤].

ثانياً- المرتحلون إلى اليمن من خارجها وأثرهم العلمي:

كانت اليمن في الفترة موضوع الدراسة مثل غيرها من بلاد العالم الإسلامي، تدفع طلاب العلم إلى الخارج لتلقي العلم ونشره، ثم تستقبل من نواحي شتى طلبة علم وعلماء آخرين فيؤثرون ويتأثرون بعلماء اليمن، كنوع من التبادل الثقافي والعلمي المعمول به في أنحاء العالم الإسلامي.

---

١ - إبراهيم بن القاسم،الطبقات، مصدر سابق جـ ١ ،ص ١٠٥، ١٠٧ ، ٢٧٤، ٢٧٥ ، جـ٢ ،ص ١١٢٣ ، ١٢٢٤ ؛ محمد الجندي ، السلوك جـ١ص ٣٤٦.

٢ - عبد العظيم المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ص ١٧٣، ٢٣٠.

٣ - عمارة / كاي، المفيد ،مصدر سابق،ص ١٧٥،من كلام المحقق. إدريس الأنف، مصدر سابق ج ٧.ص ١٢٨، ١٢٩.

٤- عمارة / كاي، المفيد، المصدر السابق ،ص،١٧٥،١٢٣.

وبوجود المذهبية واختلاف الآراء الفقهية، ووجود الدويلات التي حكمت اليمن في هذه الفترة ذات التنافس الفكري المذهبي ،أصبحت رعاية الفكر أمراً ضرورياً؛وأوجد ذلك حراكاً فكرياً وثقافياً داخل المجتمع اليمني في عهد الدولة الصليحية، وجعل كل مذهب في خارج اليمن؛ يتبنى دعم ممثليه في اليمن بكل الطرق، فأرسلت المؤلفات والبعثات من المعلمين والعلماء من كلٍ من مصر والعراق والهند إلى اليمن لهذا الغرض ولغيره[١].

وممن أرسل إلى اليمن من مصر من قبل الإمام الفاطمي المستنصر بالله العبيدي ، الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي(ت/٤٧٠هـ) الذي أرسل من أجل أن يشرف على سير التعليم في مدرسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن [٢].

ومن العلماء الذين قَدِموا إلى أرض اليمن لغرض الحماية الفكرية المذهبية ومقارعة الخصوم، العلاّمة زيد بن الحسن بن علي البيهقي (ت/٥٤٣هـ) وهو أحد تلاميذ الحاكم الجشمي المعتزلي، قدم إلى اليمن بطلب من العالم علي بن عيسى السليماني(ت/بعد٥٣٠هـ) وكان سبب استدعائه مواجهة النشاط المتزايد لفرقة المطرفية المخالفة لأصول الزيدية [٣]، وكان قدومه إلى صعدة أولاً، ثم إلى هجرة وقش، ثم إلى هجرة سناع ،وكلها مراكز نفوذ لفرقة المخترعة.

وهناك الكثير ممن قدم إلى اليمن واستقر بها وعُدّ من أهلها خلال مدة الدراسة، مثل العلامة أبي عبد الله الحسين بن جعفر المراغي (ت/بعد٤٥٠هـ)وقد قدم إلى اليمن من مكة باستدعاء من الإمام القاسم الجمحي (ت/٤٥٦هـ)،وسكن في سهفنة ودرّس بها ،واشترى أرضاً وعُد من أهلها ،وعنه أخذ الكثير من الطلاب[٤].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدويه المهروباني ،الذي قدم إلى عدن ثم زبيد، ثم استقر بجزيرة كمران وأنشأ بها مدرسته ،وقصده الكثير من العلماء وطلبة العلم ، وأصبحت مدرسته ثاني مدرسة بعد الإمام زيد اليفاعي، وإليه ارتحل طلاب زيدَ اليفاعي عندما هجر اليمن إلى مكة على إثر محنته [٥] مع أبي بكر بن جعفر المحابي[٦]، وإلى هذا العالم يرجع الفضل في إحياء جزيرة كمران كمركز علمي في تلك الفترة، وهو يعد أستاذاً لعلماء اليمن، وظل في الجزيرة حتى وفاته.

وممن قدم إلى مدينة زبيد المحدث أبو الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد الأزدي (ت/ ٤٤٣هـ) قادماً من مكة، وحدّث في زبيد وتوفي فيها[٧].

ومن أشهر من قدم إلى اليمن في هذه الفترة: الحافظ المحدث أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي(ت/ ٤٨٥هـ)، دخل اليمن وسمع الحديث من إبراهيم بن عبد الوهاب

١- محمد الدجيلي، الحياة الفكرية،مرجع سابق ص٢١٩.
٢ - مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية.ص،٢٣١.
٣- أحمد بن أبي الرجال، مصدر سابق ج٢ ،ص ٥١٥.
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ، ص٨٩، ٩٠.
٥- أوقع المفضل بن أبي البركات بينه وبين جعفر حتى شق عصاهم وجعلهم فرقتين ومدرستين في مسجد واحد.
٦- عمر الجعدي ،الطبقات، مصدر سابق،ص ١٤٤ ، ١٤٨. محمد الجندي،السلوك، مصدر سابق ج ١ ،ص ٢٧٩.
٧ - محمد الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج٢ص ١٥٠٨.

السفالي(ت/٤٥٥هـ) ومن أحمد بن محمد الأنباري(ت/بعد٤٥٥)[١]، كما وصل إلى كل من زبيد وعدن الفقيه أبو عبد الله بن علي بن عمير العميري(ت/ ٤٨٩هـ) من خراسان من بلده هراة [٢]، ومن المرجح أنه حدّث في كل من زبيد وعدن[٣].

وفي مجال الشعر والأدب يذكر القفطي أن الأديب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأسدي (ت٥٠٠هـ) قدم إلى اليمن وهو من أهل مكة، وساير بعض الأدباء والعلماء في زبيد مثل أبي الحسن التهامي[٤] الذي تصدى له وعارضه في أكثر من مناسبة[٥]، وهذا يعني أنه استفاد منه أدباء وشعراء اليمن الذين التقوا به وسمعوا منه.

وهكذا يتبين أن زبيد وعدن والجند كانت محط وصول أكثر الوافدين إلى اليمن ، ولعل ذلك عائد إلى قربها من طريق التجارة .

ومن أشهر من دخل اليمن من الأدباء أبو المواهب عبد المحسن بن صدقة بن عبد الإله بن جديد (ت/ ٥٠٣هـ) قادماً من مصر، و كان على درجة كبيرة من البلاغة والنظم، دخل إلى زبيد ثم توجه إلى جبلة طمعاً في عطاء أمرائها حينذاك، فمدح الأمير المفضل بن أبي البركات فأجازه على قصيدته المشهورة بالقافية ألف دينار، ثم تقلب به الحال وهجا الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي فقتلته بسبب هجائه لها[٦]، والقصيدة أوردها عمارة في تاريخه ، فلسان هذا الأديب منحه ألف دينار ثم كان سبباً في قتله.

وقدم إلى مدينة صعدة من العراق القاضي أبو طالب نصر بن أبي طالب (ت/ ٥١٣هـ) وتذكر المصادر أن هذا القاضي كانت له مكتبة فيها اثنا عشر ألف كتاب في جميع أنواع العلوم المختلفة[٧]، ولعله أتى ومعه شيء منها كعادة علماء الجيل والديلم.

وقدم من العراق أيضاً الإمام النحوي أبو عبد الله الحسين بن محمد عبد الوهاب بن أحمد الحارثي البغدادي (ت/٥٢٤هـ) والملقب بالبارع، فسمع الحديث وكان عارفاً بالنحو واللغة والأدب، وكان مدّاحاً للأمراء والملوك وله مصنفات وديوان شعر[٨]، ولم تحدد المصادر المدة التي مكث بها في اليمن.

ووفد إلى اليمن من أهل مصر سهل بن محمد بن محمد بن إسماعيل البرّاني (ت/ ٥٢٤هـ) وكان محدثاً وشاعراً مجيداً دخل إلى زبيد قادماً من مكة ، فامتدح حاكم زبيد مفلح

---

١ - الطيب بامخرمة ، قلادة النحر ج٢، ص٤٢٧.
٢ - هراة، من مدن خراسان وينسب إليها الكثير من الأئمة العلماء ،فيقال هروي [ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٥ ص ٣٩٦]
٣- محمد الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٨،ص ٥٤٥- ٥٤٦.
٤- لم يعثر على تاريخ وفاته.
٥ - علي القفطي، المحمدون من الشعراء، ص ، ١٠٣
٦- محمد بن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ج ص١٥، ١٨٧ ؛ عمارة/ كاي، المفيد،ص ٢٨٥.
٧- أحمد بن أبي الرجال، مصدر سابق ، جـ٤ ص٣١٦ ، ٣١٧.
٨ - محمد الجندي، السلوك ج ١ ،ص ٢٦١ ، عبد الرحمن بن الديبع ، الفضل المزيد ،ص ٩٦.

الفاتكي(ت/٥١٤هـ) وأجازه بخمسمائة دينار، وظل بها مدة من الزمن مخالطاً أدباء وشعراء بني أبي عقامة في زبيد[١].

كما وفد إلى أرض اليمن من بلاد الري العلامة أبو حاتم أحمد بن حمدان الليثي الرازي (ت/ ٥٣٢هـ)، فدرس وتعلم بمدارس الدعوة الإسماعيلية في اليمن ، حتى أصبح من كبار الدعاة، فأوفد إلى بلاد الري من بلاد العراق لنشر الدعوة الإسماعيلية[٢]،وهذا يؤكد وجود وفاعلية مدارس الدعوة الإسماعيلية في نشر وتعليم فكرهم في تلك الفترة.

ومن أفريقيا وفد إلى اليمن عدد من طلاب العلم أمثال ذكي بن معروف الحبشي وعبد الله الحبشي وأحمد بن مطروح الحبشي وموسى بن يوسف الزيلعي وأبو القاسم بن عبد الله وإبراهيم بن محمد بن المثنى وعبد الله بن عبده وأحمد بن المزبكان ويوسف بن عبد الله المزكي[٣] ، كل هؤلاء تتلمذوا على يد الفقيه الشافعي يحيى بن أبي الخير العمراني في مصنعة سير بالقرب من الجند [٤].

كما وفد إلى اليمن من بلاد الهند عدد من الطلاب فأخذوا العلم عن علماء اليمن ،ونقلوا من مصنفاتهم إلى بلدانهم، ولا تزال موجودة في مكتبات الهند وباكستان إلى التاريخ، مثل رسالة " تحفة الإرشاد" لعلي بن الحسين بن الوليد " (ت/٥٥٤هـ) وكتاب " كنز الولد " لإبراهيم الحامدي (ت/ ٥٥٧هـ)[٥]، وغيرها من الكتب الإسماعيلية ، ولم تشر المصادر المتاحة إلى أسماء هؤلاء الوافدين.

كل ذلك يوحي بأن اليمن ممتلأ بالعلماء وطلاب العلم ؛قد قاموا بعمل جبار في البحث العلمي ،فأفادوا واستفادوا طوال تلك الفترة.

٢ـ التفرّغ العلمي.

فيما يتعلق بموضوع التفرغ لغرض البحث العلمي والتأليف، فإن المعلومات حول هذا الموضوع قليلة أو شبه نادرة، لكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن جميع العلماء كانوا يقومون بعملية التصنيف والتأليف مع قيامهم بالتعليم، ولعل المصادر أغفلت ذلك، ولكن المعلومات التي وردت حول الموضوع تؤيد ذلك رغم قلتها، لأن التفرغ يوفر للعالم راحة البال والهدوء اللذين يساعدان على صفاء الذهن واستعادة الذاكرة، وكان التفرغ متروكاً لصاحب الشأن ولم يتقيد بجهة تفرضه على المعلم أو العالم؛ ولكن حسب ظروفه ومشاغله.

ومن الشواهد على وجود التفرغ العلمي بهدف البحث والتأليف تفرغ الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني(تـ/٥٥٨هـ) لمدة ست سنوات (٥٢٨- ٥٣٣هـ)، وذلك عند قيامه بتأليف كتابه

١- علي الخزرجي،العسجد المسبوك ،ج١، ص١٢١ ، ١٢٢. عبد الرحمن بن الديبع ، الفضل المزيد ،ص ٩٦ ، محمد الجندي، السلوك ج٢ ص٢٦١.

٢ - مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية،ص ٩٧.

٣ـ لم يعثر الباحث على تاريخ وفاة احدٍ منهم .

٤ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ص٢٠٩ ، ٢١٠.

٥ - محمد الأعظمي ،من تقديمه لكتاب الذخيرة، لعلي بن الوليد ص١١.

المشهور بـ (البيان[١]) وكان ذلك سبباً في خروج البيان في صورة ملأت العالم الإسلامي شهرة، فقيل عنه:" لولا البيان لما وسعنا اليمن"[٢].

ونظراً لعظيم حبه لطلابه وكون التعليم من أحب الأعمال إليه، يلاحظ أنه عندما اعتذر لطلابه عن الدرس لم يكتف بذلك، بل أرشدهم إلى من يجب أن يذهبوا إليه كي يعوضهم عما فقدوه بسبب تفرغه للتأليف[٣]، فهو بذلك يمارس الدلالة على أماكن العلم عوضاً عن التعليم.

وفي المجال نفسه يتفرغ الإمام يحيى بن أبي الخير من سنة (٥١٧هـ) إلى سنة (٥٢٠هـ) من أجل المطالعة والبحث،فنتج عن ذلك كتابه المشهور بـ(بالزوائد) في الفقه تعليقاً على كتاب المهذب [٤]، وهذا ما يؤكد وجود التفرغ لدى بقية العلماء عندما يتعلق الأمر بخدمة الدين والعلم،ويقاس على ذلك تفرغ القاضي لمك بن مالك الحمادي لمدة خمس سنوات في مصر.

وخلاصة القول: أن الرحلة العلمية كانت من أهم وسائل وأدوات البحث والتحصيل العلمي في تلك الفترة ، فرحل العديد من علماء وطلاب العلم اليمنيين إلى عدد من حواضر العالم الإسلامي لا سيما مكة لما لها من قداسة في نفوس المسلمين ولما تشكله من فرصة للإلتقاء بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

وفي مجال الرحلة إلى اليمن كان دور العامل السياسي بارزاً في استقدام العلماء من أصحاب المذهب الواحد، كما حصل مع الزيدية أثناء استقدام زيدية العراق والاستعانة بهم في مواجهة المطرفية والإسماعيلية ، وبحكم العامل السياسي قدم إلى اليمن العديد من علماء وطلبة العلم الإسماعيليين من مصر والهند وبلاد الشام.

كما يلاحظ تأثير العامل الجغرافي بوضوح، حيث شهدت المدن الساحلية مثل عدن وزبيد والجند حراكاً ثقافياً وعلمياً، لقربها من البحر وسهولة الاتصال مع العالم الخارجي ،وفي الوقت نفسه لم تشهد المدن والقرى الداخلية الحراك نفسه، باستثناء مدينة صعدة، وهذا يعني في تقدير الباحث أن أغلب القرى والمناطق المتوسطة والمرتفعة قد حرمت إلى حد كبير من التعليم، وبالتالي فلم يكن هناك وجود لتكافؤ الفرص وذلك بسبب تأثير العامل الجغرافي.

٣ـ مبادئ التعليم والتعلم:

(١) مبدأ حرية التعليم:

من أهم ما تميز به التعليم في اليمن وفي غيرها من الأمصار في هذه المدة؛ تلك الحرية التي كانت موجدة في كل ما يخص العملية التعليمية، إذ إن الأمراء والحكام والسلاطين وما يتبعهم ـ وهم يمثلون ما يسمى بالمؤسسات الرسمية اليوم ـ لم يكن لهم أي إشراف أو تدخل على التعليم .

١- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٧٧.
٢ ـ حسين الأهدل، مصدر سابق،ص ٢٤٣؛ محمد الجندي، السلوك، جـ١، ص١٩٩.
٣ ـ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٦٥.
٤ـ عمر الجعدي المصدر نفسه،ص ١٦٦، ١٦٧.

والطالب هو الذي يقرر من البداية هل يواصل التعليم في المرحلة العليا أم لا، وهو الذي يختار المعلم الذي يدرس على يده، ثم الشيخ الذي يرحل إليه في البلد الذي يرغب فيه سواء داخل اليمن أو خارجه ،ويختار المادة أو الكتاب الذي سيدرسه ،وفي بعض الأحيان يساعد المعلم الطالب ويوجهه في اختيار بعض الكتب[١]

(٢) مبدأ الجمع بين أكثر من علم:

والاقتصار على فن واحد من العلوم كان قليل الوجود بين حملة العلم في هذه المدة، لما تميز به طلاب العلم من الجد والهمة العالية والرغبة في التحصيل.

(٤) مبدأ توزيع المهام بين الطلاب:

يتبادل كل من الطلاب والمعلم عملية الإقراء والسماع، وقد يشترك أكثر من طالب في القراءة وبقية الطلاب يسمعون[٢]، وهذا التبادل يساهم إلى حد كبير في إبعاد الملل من نفوس الطلاب ومعلمهم حينما يطول بهم الجلوس والسماع على حال واحد.

(٥) مبدأ تعدد الشيوخ:

كانت عملية التعليم والتعلم في ذلك الوقت تتميز بالحرص الشديد من قبل العلماء وطلاب العلم على ضرورة الفهم والانتفاع، فالطالب كان يرحل من بلده إلى بلدان عديدة، قد يكون بعضها على مسافات بعيدة، مثل زبيد والجند وكمران داخل اليمن، وقد يكون البعض الآخر خارجه مثل مكة وبغداد ومصر[٣]،كل ذلك من أجل أن يسمع أو يقرأ على كثير من المشايخ كتباً متعددة، كما تمثل حرص العلماء في أن يفهم المتعلمون دروسهم ومصنفاتهم وبذلهم أغلى الأوقات في التأليف والتعليم، وجعل ذلك كله في سبيل الله دون أخذ الأجر من الطلاب أو ذويهم، بل يتولى البعض منهم الإنفاق على كل من يأخذ عنه علماً، أمثال الفقيه ابن عبدويه المهروباني وزيد اليفاعي.

(٦) مبدأ تدوين الملاحظات:

يقوم كل من المعلم والطالب بتدوين تاريخ السماع وذكر أسماء الطلاب الحاضرين، وذكر رواية وسند الكتاب، وما إذا تم سماع الكتاب كاملاً أو جزءاً منه[٤].

(٧) مبدأ مراعاة الفروق الفردية:

وهذا من أهم المبادئ التربوية التي اتبعت في عملية التعليم من قبل العلماء أثناء القراءة والسماع، وكان ذلك في مدرسة الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني، وهذا يدل على حرص هذا العالم المربي على أن يعطي كل طالب حسب فهمه وقدرته، فكان كما يذكر عنه ابن سمرة:" ... إذا درس من يعلم فهمه فإنه بعد فراغ القارئ من الفصل يعيده هو بنفسه عليه حفظاً، مع التنبيه للقارئ

---

١ ـ محمد الجندي ،مصدر سابق جـ١ ،ص٣٤٥.

٢ـ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص ١٥٢.

٣ ـ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص ١٧٨ ؛ إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق، جـ٢، ص ٦١٥ ؛ حسين الأهدل، مصدر سابق، ص ١٨٨، ٢٢٤ ؛الطيب با مخرمة، قلادة النحر، جـ١، ص ٢٠١، ٢٠٧-٢٠٨.

٤ـ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص ٢٣٣ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، ص ٢٤٢- ٢٤٣، ٢٨٠، ٣٠٣، ٣١٩- ٣٢٠، ٣٤١، ٣٥٢.

على خلاف الإمام مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر معهما غيرهما في بعض المسائل، ثم يذاكره باحتراز الأقيسة والوجوه في أصولها لِمَ خُصَّت بجعلها أصولاً، وذلك إما من جهة النص في الكتاب والسنة، أو تسليم المخالف في حكم المسألة المقيسة، وإن كان في عبارة الكتاب استغلاق أو قصر فهم القارئ أبدلها بعبارة أخرى إلى أن يتصور القارئ الفصل ويفهمه، ومن كان من الطلاب غير فاهم لم يسلك به هذا المسلك، بل يجيبه عما سأل عنه لا غير، مع رده عليه التصحيف"[1].

وفي ذلك أنموذج رائع يمكن من خلاله تكوين تصور تربوي كامل لما كان يحدث أثناء عملية السماع في هذه المدرسة العلمية الفريدة.

١ - عمر الجعدي،الطبقات، مصدر سابق، ص ١٧٨.

الخلاصة:

مما سبق يمكن القول : أن طالب العلم كان يمر خلال فترة تعليمه بمرحلتين أساسيتين هما: مرحلة التعليم الأولي والتي تتم غالبا في الكتّاب (المعلامة)، ومرحلة التعليم العليا التي تتم في المساجد أو في القرى والهجر العلمية وغيرها من أماكن التعليم، ولكل من هاتين المرحلتين نظام تعليمي مختلف عن الأخرى من حيث المنهج، ووقت الدراسة اليومية، والمدة الزمنية، والطرق و الأساليب والوسائل التعليمية، الأمر الذي ميز كل مرحلة عن الأخرى .

وأن الرحلة العلمية كانت من أهم وسائل وأدوات البحث والتحصيل العلمي في تلك الفترة ، فرحل العديد من علماء وطلاب العلم اليمنيين إلى عدد من حواضر العالم الإسلامي لا سيما مكة لما لها من قداسة في نفوس المسلمين ولما تشكله من فرصة للالتقاء بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

الفصل الخامس

مؤسسات التعليم وأماكنه في عهد الدولة الصليحية

المبحث الأول : الكتاتيب.

المبحث الثاني : المساجد.

المبحث الثالث: الهجر والقرى العلمية.

المبحث الرابع: المكتبات.

المبحث الخامس: الورش ومقار العمل.

المبحث السادس: منازل العلماء.

المبحث السابع: قصور الأمراء والملوك.

المبحث الثامن: مدرسة الدعوة الإسماعيلية.

المبحث التاسع: التمويل والإدارة.

تمهـيـــد:

تعد المؤسسات وأماكن التعليم من المكونات الأساسية التي تؤثر على الحياة العلمية في العالم الإسلامي، ولكن دورها كوسائط علمية يختلف من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخر، بحسب العوامل المحيطة بها، ومدى تأثرها بها سلباً أو إيجاباً.

وقد شهدت اليمن في عصر الدولة الصليحية حركة علمية واسعة، شملت الكثير من المدن والقرى، لا فرق في ذلك بين المدن الكبيرة والصغيرة، وفي بعض الأوقات كانت بعض القرى والمدن الصغيرة تنافس كبريات المدن في اجتذاب الطلاب إليها، إما بسبب كثرة علمائها أو عدل سلاطينها والاستقرار الأمني الموجود بها، أو لسبب ما يوفره سلاطين وعلماء بعض المدن من أموال وكتب دعماً للعلم والمتعلمين.

ورغم كثرة الحروب والصراعات السياسية والمذهبية في تلك الفترة، إلا أن المدن والقرى العلمية كانت تحتضن الكثير من العلماء وطلاب العلم، فكل دولة أو مذهب احتفظ بكيانه وظل يؤدي دوره عبر مؤسساته، فوجد الكثير من الكتاتيب والمساجد والهجر والمكتبات والأربطة التي تقوم كل منها بدورها كمؤسسات علمية وتعليمية رائدة في تلك الفترة.

والباحث سيتحدث في هذا الفصل عن المراكز العلمية من خلال الحديث عن مؤسسات التعليم و أماكنه ودورها في نشر العلم، لأنها الدعائم الأساسية التي تقوم عليها العملية التربوية والتعليمية، وأهم هذه المؤسسات هي: الكتاتيب، و المساجد، و الهجر والقرى العلمية، والأماكن تمثلت في منازل العلماء، وقصور الملوك والأمراء، والمكتبات العامة والخاصة، ومعظم هذه المراكز يعود الفضل في الإنفاق عليها – كما سيأتي – إلى العلماء والميسورين في المجتمع، باستثناء بعض المساجد التي كان يشارك في عمارتها بعض الملوك والسلاطين، بالإضافة إلى الوقفيات على دور كل من السلطة والمجتمع في عمليتي التمويل والإدارة لهذه المؤسسات،وسيتضح ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول :الكتاتيب.

عرف ابن منظور الكُتّاب (المَكْتَبْ) بأنه: "موضع التعليم"، والمُكْتِب هو المعلم، والكتّاب هم "الصبيان"[١]، وبالتالي فإن الكُتّاب هو المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة من قبل المعلم.

ومصطلح المكتب هو الذي كان متداولاً في اليمن في هذه المدة بحسب ما تشير إليه بعض المصادر[٢].

ونشا الكتاب في بداية الأمر من أجل تعليم القرآن الكريم للصبيان الصغار، ولم يقتصر على ذلك، بل شمل العلوم المساعدة لتأدية غرض الحفظ ،مثل: الخط والحساب وبعض الأمور الفقهية[٣].

ولأن الإسلام يحث على القراءة والكتابة،ويجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، ونتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، فقد انتشرت الكتاتيب في مختلف أنحاء البلدان الإسلامية، ومن ضمنها اليمن التي لم تكن بمنأى عن تلك البلدان، وما يحدث فيها من تطور، ويمكن القول أن الكتاتيب المنتشرة في اليمن في تلك الفترة كانت على نوعين:

الأول:الكُتّاب المنفصل عن المسجد:

وهو الذي يكون بناؤه منفصلاً عن المسجد، لكنه قريب منه، فيتم التعليم فيه بعيداً عن المساجد والعبث بها من قبل الصبيان، لما تمثله طبيعتهم من عبث وعدم تحرز من نجاسة المساجد المعدة للصلاة، وقد يكون ذلك خاصاً بطلاب المرحلة الأولى (الصبيان)[٤].

ويمثل هذا البناء إما غرفة أو حانوت أو غير ذلك، لأن المصادر لم تذكر شكلاً أو نوعاً لذلك البناء، وهذا النوع هو المفضل لدى العلماء وهو الأكثر انتشاراً، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ كُتّاب تعليم الصبيان في أبين[٥]:

وهو الكُتّاب الذي تلقى فيه الأديب المشهور أبو بكر بن أحمد العندي (ت/ ٥٠٨هـ) تعليمه الأوّليَّ، وحفظ فيه القرآن الكريم وهو في سن العاشرة، وكان معلمه على درجة من العلم والفضل، إلا أن المصادر الموجودة لم تذكر اسم الكتّاب، فكان يذكر أبو بكر بن أحمد بخير فيقول:" إني إذا ما فسحت للصبيان على جاري العادة فرحوا وذهبوا إلا هو، فإنه يقعد عندي ... "، فيصدق فيه قول الشاعر:

بَلغْتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنّكَ ... مَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الأشْيَبُ

فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الأمُورِ ... وهَمُّ أولئِكَ أنْ يَلْعَبُوا[١]

---

١ ـ لسان العرب ،جـ٣ ،ص ٢١٧.

٢ـ عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق، ص٣٢٧.

٣ ـ فاروق حيدر،التعليم في اليمن ،مرجع سابق ،ص١١١.

٤ـ عبد الرحمن الشجاع ،الحياة العلمية ،مرجع سابق،ص٥١.

٥ ـ أبين، مدينة قريبة من عدن وهي أقدم منها، وإليها تنسب عدن فيقال عدن أبين [محمد الحجري، مجموع البلدان،جـ١ ،ص ٥٥].

٢- كُتَّاب تعليم الصبيان في قرية شظب [٢]:

لم تذكر المصادر التي بين يدي الباحث عن هذا الكُتَّاب أي تفاصيل؛ لا عن صفته ولا عن معلميه، إلا أنه تلقى فيه المؤرخ مسلّم بن جعفر بن الحسن اللحجي (تـ / ٥٤٥هـ) تعليمه الأوَّليَّ، وفيه ختم القرآن الكريم[٣].

والذي سوغ إيراده في هذا المكان أن مسلّم اللحجي يعد من أبرز مؤرخي وعلماء المطرفية الهادوية في تلك الفترة، وممن له أثر كبير في إدارة الخلاف الفكري بين المطرفية والمخترعة من الزيدية الهادوية.

الثاني:الكُتَّاب الملحق بالمسجد:

هذا النوع من المكاتب (الكتاتيب) هو المشهور والسائد في عموم بلاد اليمن، ولعل السبب في ذلك لما للمسجد من مكانة عظيمة لدى رواده ومحبيه ،وقد يعود إلى الحالة الاقتصادية الصعبة لدى عامة الناس، الأمر الذي لم يمكن أولياء أمور الصبيان من بناء كتاتيب منفصلة عن المساجد، وخاصة في المناطق الشمالية[٤].

و كان يتم التعليم في غرف ملحقة بالمسجد كسكن أو في فناء المسجد، أو حتى في زاوية من زواياه أو إلى جوار المنابر، فهذا زيد بن عبدالله اليفاعي (تـ / ٥١٤هـ)[٥]، كانت مدرسته على يمين المنبر، وكان يتكئ على المنبر، وبلغ عدد طلابه أكثر من ثلاثمائة طالب وفقيه يتولى إعالتهم قوتاً وكسوة، وكانوا يملئون ما بين الباب والمنبر[٦].

ومن الأسر التي اشتهرت في مجال التعليم في الكتاتيب أسرة آل الربعي الذين منهم الشعراء والمؤرخون، أمثال إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الربعي الأديب والشاعر، كان مؤدباً لبعض أولاد الملوك من الصليحيين وغيرهم[٧].

ويبدو للباحث أن المكاتب (الكتاتيب) ظلت تؤدي دورها باعتبارها مؤسسة تعليمية وتربوية خاصة بعيدة عن توجيه الدول الموجودة آنذاك، فكان تمويلها قائماً على الهبات والعطايا والأوقاف، أو على نفقة أولياء الأمور المهتمين بأولادهم، أو على نفقة العلماء الميسورين والمشتغلين بالتجارة أمثال الفقيه زيد اليفاعي، فنمت نمواً طبيعياً، معتمدة في الغالب على أفراد المجتمع الذين ساهموا في إنشائها وتمويلها رغبة منهم في تعليم أولادهم القرآن والقراءة والكتابة، يدفعهم في ذلك الوازع الديني الذي يحث على طلب العلم.

١- محمد الجندي، السلوك،جـ١ص٣٧٠-٣٧١.

٢- شظب، قرية أعلى مدينة السودة غربي خمر من محافظة عمران، وهو جبل واسع به قرى ومزارع، و ينسب إليه بعض العلماء [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان جـ ١،ص ٨٦٦].

٣ - مسلّم اللحجي، التاريخ ،ص،١٧٩، ١٨٠، ترجم له في الطبقات الكبرى،إبراهيم بن القاسم تحت رقم ٧٠٦ جـ٢،ص ١١٢٢.

٤ - عبدالرحمن المختار، المرجع السابق،ص ٤٤-٤٥.

٥- اليفاعي، نسبة إلى قرية يفاعة من بلاد المعافر شمال تعز في وادي القصبة ، خربة لا أثر لها [محمد الجندي ، مصدر سابق ،ص٢٢٦، من كلام الأكوع في تحقيقه].

٦ - محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ٢٦٣.

٧- مسلم اللحجي،مصدر سابق،ص ٢٥٠ .

وكانت تلك الكتاتيب هي الرائدة خاصة في الأرياف لعدم وجود المدارس النظامية، أما أثاث هذه الكتاتيب فكان في الغالب من الحصير وفي البعض الآخر يخلو من أي أثاث، فيجلس الصبيان على التراب، متربعين حول معلمهم، وهو السائد في معظم بلاد المسلمين[١].

وكان دوام الدراسة فيها طوال أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة، والذي كان عطلة رسمية أسبوعية في جميع بلاد الإسلام[٢]، والنظام اليومي للدراسة في الكتّاب في اليمن لم يكن يختلف عما هو موجود في البلاد الإسلامية أيضاً، حيث تبدأ الدراسة منذ الصباح الباكر وحتى وقت الظهيرة، ثم يسمح لهم بالمغادرة لتناول طعام الغداء، ثم العودة إلى الكُتّاب حتى صلاة العصر، ومن ثم الرجوع إلى البيوت، ويسمح للصبيان خلال ذلك بالراحة لبعض الوقت، وتسمى: الفسحة[٣].

ومن خلال ذلك يلاحظ الباحث عناية أفراد المجتمع بهذه المؤسسة ،فكثر انتشارها وأوقافها،وذلك عائد إلى العامل الديني والاقتصادي.

المبحث الثاني: المساجد:

المسجد هو مقرٌ لأداء الشعائر الدينية التعبدية، وأهم أماكن تحصيل العلم، فهو يعد داراً للتربية والتعليم، ومكاناً تنبعث منه أصول التربية ومنهج الإعداد الشامل للمسلم، وقد عرف ذلك من أيام هجرة النبي ﷺ، حيث كان أول عمل قام به المصطفى ﷺ في سبيل تأسيس المجتمع الجديد هو بناء المسجد[٤]، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أصبح للمساجد وظائف أخرى سياسية واجتماعية وعسكرية، ففيه كان يتم عقد مجالس الشورى، ويفصل بين المتخاصمين وتعلن عقود النكاح وتجهز الجيوش وتعقد الألوية[٥].

وقد اهتم النبي ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدين بالمساجد كمؤسسة جامعة، وأولوها كل الاهتمام، فكانت اليمن من أوائل الأمصار الإسلامية التي شهدت اهتماماً خاصاً من الرسول ﷺ، وذلك عندما أرسل إليها عدداً من الصحابة الكرام وأمرهم ببناء المساجد فيها، وهي: المسجد الكبير في صنعاء، ومسجد الجند، ومسجد صعدة[٦].

وفي الفترة موضوع الدراسة وجد الباحث اهتماماً بالمساجد من قبل كل من الصليحيين والنجاحيين، ثم من بني زريع، حيث اهتم سلاطين وأمراء وقادة وعلماء هذه الدول بإنشاء وتوسيع وترميم المساجد.

ففي عهد دولة بني نجاح بلغ عدد المساجد التي أنشأت في زبيد وحدها خمسة عشر مسجداً، وكذا قام بالدور نفسه الصليحيون، فإلى علي الصليحي ينسب بناء جامع

١- حسن عبدالعال، مرجع سابق، ص ١٨٦.
٢- سعيد إسماعيل، معاهد التربية الإسلامية،ص ١٧٠.
٣- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١،ص ٣٧٠-٣٧١ ؛ الطيب با مخرمة، تاريخ ثغر عدن،ص ٢٠١.
٤ - عبدالله الوشلي، المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلقة التعليمية،ص ١.
٥- عبد الرحمن الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام،ص ٢٦٨.
٦- أحمد الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٢٣٣.

قرضة[١] ومسجد ذي حمد[٢] في وصاب[٣]، وقامت الملكة سيدة بنت أحمد ببناء مسجد جبلة المشهور[٤]، وتوسيع الجامع الكبير بصنعاء وذلك ببناء الجناح الشرقي منه[٥]، وقام الأمير مفضل بن أبي البركات الحميري (ت/ ٥٠٤هـ) بتجديد جامع الجند بالحجر المنقوش و اللبن المربع[٦].

مما سبق يمكن القول بأن اليمن كغيرها من بلاد الإسلام شهدت اهتماما كبيراً ببناء المساجد من قبل سلاطينها وقادتها وعلمائها بكل فئاتهم ومذاهبهم، فلم تزل اليمن عامرة بمساجدها، ولعل ذلك يعود إلى اهتمام أهل اليمن بالدين وكثرة العبادة والمصلين، فكان الأمراء والعلماء سباقين إلى بناء المساجد ووقف الأوقاف عليها وفي خدمتها.

ولم تكن دوراً للعبادة فحسب:بل أصبحت تؤدي وظيفتها كمقرات للتعليم، ويمكن الحديث عنها من خلال دورها كمساجد جامعة تتركز في المدن والقرى الرئيسة ومساجد صغيرة في المناطق النائية والبعيدة،أحاول إيضاح هذا الدور للمسجد،سواء أكان كبيرُ أم صغير وذلك على النحو الآتي:

أولاً:المساجد الجامعة:

هي المساجد التي تقام فيها الجمعة والحلقات العلمية الخاصة بتدريس المراحل المتقدمة، والتي تلي المرحلة الأولى الخاصة بتعلم الصبيان، حيث مثّل هذا النوع من المساجد أهم المراكز العلمية ، وتركزت هذه المساجد في المدن الرئيسة، مثل زبيد وصنعاء والجند وجبلة وصعدة، وكان لها دور بارز في نشر العلم والتعليم في أنحاء اليمن.

ولكي يساير المسجد الجامع حياة المجتمع المعاصر له لا بد أن يصبح مؤسسة شاملة، فيكون مسجداً جامعاً للصلاة والعبادة والذكر ودروس العلم وخطب الجمعة والمناظرات العلمية، وتكون مكتبته عامرةٌ بالمراجع والكتب الإسلامية والتاريخية والعلمية، وفيه وسائل التعليم لتلقي العلوم ودروس التقوية على أيدي متخصصين لإعداد الأجيال وتربيتهم التربية العلمية الشاملة[٧].

وسيتناول الباحث هذه المساجد من حيث مكان وجودها، وأشهر من درّس بها، والمنهج الذي دُرِّس فيها؛ كي يمكن الوقوف على أثر ذلك في نشر العلم، ومن هذه المساجد:

(١) المسجد الكبير بصنعاء:

هو أول مساجد اليمن بناءً وأهمها وأوسعها، نال شهرة كبيرة خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة، إلا أن الفترة الزمنية موضوع الدراسة والبحث لم يقف الباحث فيها على معلومات ذات دلالة علمية تذكر دوره في تلك الفترة من الزمن،ولعل ذلك يعود إلى حدة الصراع السياسي الذي كان قائماً بين الصليحيين وغيرهم من القوى مثل الزيدية وبني حاتم.

---

١ - قرضة، هي حصن لأبي البليدم القدمي، وقرضة من أعمال تعز [محمد الحجري، مرجع سابق، جـ٤،ص ٦٤٨].
٢ - ذي حمد، هي قرية من أعمال وصاب [عبد الرحمن الوصابي، تاريخ وصاب،ص١٤٣].
٣- عبد الرجمن الوصابي،مصدر سابق، ص ١٣٤.
٤ - عمارة / كاي،المفيد، مصدر سابق، ١٧٠.
٥ - محمد الحجري،السلوك، مصدر سابق،ص ٣١ .
٦ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٤٩٦ .
٧ - محمد بريغش، التربية ومستقبل الأمة،ص ٢٩٢.

ومن مظاهر الصراع ما حدث بعد استيلاء علي بن محمد الصليحي على صنعاء، فبلغه أن أهل صنعاء وفقهاءها يتحدثون عن سيرته، وأنه ربما أعاد مذهب علي بن الفضل، فساءه ذلك وأمسك أياماً ثم أمر بتسمير أبواب المساجد[١]،ولعل ذلك هو السبب في تراجع دور الجامع الكبير في تلك الفترة.

ورغم ذلك إلا أن الجامع الكبير كان يُشتَرط في من يتولى إمامته أو الأذان فيه أن يكون من أهل العلم والصلاح والتقوى[٢]،فلا يستبعد أن يكون لهؤلاء العلماء حلقات علم وطلاب يأخذون عنهم ذلك العلم.

(٢) مسجد المهروباني [٣]:

لم يقف الباحث على تاريخ بنائه ومن الذي بناه، وإنما ورد ذكره أثناء الحديث عن الشيخ محمد بن عبدويه المهروباني (ت/٥٢٥هـ)، الذي درّس فيه، واشتهر بعظيم جاهه وسعة علاقاته، مع أهل الفقه والتجّار، حيث أخذ عنه في هذا المسجد العديد من الفقهاء أمثال الفقيه عبدالله بن أحمد بن محمد الهمداني(ت/٥١٨هـ) [٤]، وعبد الله بن يحيى الصعبي(ت/٥٥٣هـ) من سهفنة، وزيد بن الحسن الفائشي(ت/٥٢٨هـ) من أحاظة، وعيسى بن عبد الملك المعافري(ت/٥٤٠هـ)، وغيرهم الكثير من علماء أبين ولحج وزبيد، أخذوا عنه المهذب في الفقه الشافعي و سائر تصانيف أبي إسحاق في الفقه، وكتاب الإرشاد في الفقه لابن عبدويه[٥].

وقد كانت تعقد فيه الحلقات العلمية في الفقه والحديث على يد الفقيه محمد بن عبدويه وولده عبدالله، والذي توفي في حياة والده سنة(٥٢٣هـ) وكان له أثر عظيم في نفوس أقرانه العلماء وطلابه، ويبدو ذلك واضحاً من خلال مرثيته للشيخ عمر بن علي السلالي الكناني(ت/٥٤٩هـ)، والذي يقول فيها:

أمِنْ بَعْدِ عَبْدُاللهِ نَجْلُ مُحَمَّدٍ ... يَصُونُ دُمُوعَ العَيْنِ مَنْ كَانَ مُسْلِمَا
وقد غَاضَ بَحْرُ العِلْمِ مِذ غَابَ شَخْصُهُ ... ولكِنَّ بَحْرَ الوَجْدِ مِنْ مَدِّهِ طَمَا
تَضَعْضَعَ بُنْيَانُ العُلُومِ لِفَقْدِهِ ... وأَصْبَحَ وَجْهُ الدَّرْسِ أرْمَدَ أقتَمَا
غَدَا كُلُّ نُورٍ فِي الجَزِيرَةِ خَامِداً ... فأصْبَحَ رُكْنُ العِلْمِ فِيهَا مُهَدَّمَا
فيَا مَنْهَلاً تُرْوَىَ القُلُوبُ بِوَرْدِهِ ... شَهِدْتُ لَقَدْ أوْرَثْتَهَا بَعْدَكَ الظمَا

ويروي ابن سمرة أنه زار الجزيرة ورأى قبريهما بجوار المسجد، واطلع على مواضع التعليم في هذا المسجد[٦].

---

١ - يحيى بن الحسين، مصدر سابق،ج١،ص ٢٥٤.
٢- أحمد الرازي ،تاريخ مدينة صنعاء،ص٣٤٠،٣٤١.
٣- نسبة إلى محمد بن عبدويه المهروباني، ويوجد في جزيرة كمران (عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٤٧)
٤ - هو أبو محمد عبد الله بن أحمد الهمداني نسباً الزبراني بلداً ولقباً نسبة إلى قرية من بادية الجند يقال لها زبران،[محمد الجندي ،مصدر سابق،جـ١ ص٢٨٣].
٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٧-١٤٩.
٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ،ص ١٤٧-١٤٩.

ومن خلال الوقوف على أسباب رحيلهما إلى كمران يمكن القول إنه لم يكن للدولة الصليحية أي دخل في ذلك، سواءٌ في الإشراف أو التمويل، وإنما كان بجهود فردية من الشيخ محمد المهروباني والمتمثل في علاقاته الطيبة وغزير علمه وكثرة أمواله وتجارته، الأمر الذي ساعده على نشر علمه وأداء رسالته.

(٣) مسجد الجند:

يعد ثاني مسجد بُني في اليمن بأمر رسول الله ﷺ، بناه الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ في العام التاسع من الهجرة[١]، وهو من المساجد المشهورة في اليمن، وكان مركزاً علمياً تقام فيه حلقات التعليم لدراسة الحديث والفقه وسائر العلوم الدينية واللغوية، وكان معاذ بن جبل هو أول معلم ألقى فيه دروسه من خلال خطبة الجمعة وإجاباته على ما وجه إليه من مسائل، ثم أصبح بعد ذلك معلماً وقاضياً لكل من حضرموت والجند[٢].

وكان مسجد الجند في فترة حكم الصليحيين من أهم المساجد التي اكتظت بالعلماء والطلاب، ليس من الجند وما حولها فقط، ولكن من جميع مخاليف اليمن' يأتي في مقدمة العلماء الذين قاموا بالتعليم في هذا المسجد: الإمام الزاهد أبو عبدالله جعفر بن عبد الرحيم المحابي (ت/٤٦٠هـ)، قال عنه الجندي :" كان فقيهاً عارفاً محققاً مبرهناً للنصوص نقالاً لها محققاً مدققاً..."[٣] سكنه في الظرافة ثم الجند بطلب من واليها زيد بن المعمرالكرندي، انتهت إليه رئاسة الفقه والفتوى، عرض عليه القضاء من قبل علي الصليحي(ت/ ٤٥٩هـ) فرفض، وبعد وفاته خلفه ولده أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي(ت/ ٥٠٠هـ) في التعليم، وبلغ مرتبة عالية في الفقه، فتولى رئاسة العلم باليمن[٤]، تفقه على أبيه وأخذ عنه زيد اليفاعي، كان ذاكراً لكتب المذهب حافظاً " المجموع في الخلاف" لوالده، وكانت حلقته بمسجد الجند كبيرة بلغت مابين الخمسين والستين طالباً، من بينهم من صار عالماً مثل زيد بن عبدالله اليفاعي وزيد بن الحسن الفائشي ،وغيرهما كما قال الجندي:" وجمعٌ كثيرٌ لا يكاد الحصر يدركهم ..."،وكان رئيساً في الدين والدنيا يصحب الملوك كجياش بن نجاح وبني الكرندي كونهم أهل سنة ومجانبين ما عليه الصليحيون من السمعلة (الإسماعيلية) ..."، وكانت له في كل عام رحلة إلى زبيد لمناظرة الحنفية، وفي مقدمتهم القاضي محمد بن أبي عوف(ت/بعد ٥١٠هـ)[٥].

وممن تصدر للتدريس والإقراء في مسجد الجند الحافظ عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي (ت/ ٤٩٣هـ) والذي كان يعقد مجلساً للسماع – سماع الحديث[٦] – يحضره الطلاب والعلماء من أماكن مختلفة،وممن أخذ عنه بمسجد الجند عبدالله بن عبد الرزاق بن حسن بن

١- أحمد الرازي، تاريخ مدينة صنعاء،،ص ٢١١-٢١٢.
٢ - محمد الجندي، السلوك، ص ٥٢ ؛ عبد الرحمن الشجاع، تاريخ اليمن،ص ٢٥١ ؛ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٧- ١٨.
٣ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٣٤.
٤ - محمد الجندي، المصدرالسابق،ص ٢٤٤.
٥ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٤٤-٢٤٥.
٦- كما سمعوا عنه في الفقه كتاب سنن أبي قرة وكتاب مختصر المزني[محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ١٤٠].

أزهر(تـ/٥٢٨هـ)[١] وسالم وأبو بكر ابنا عبدالله بن صبيح الصبيحي(تـوفيا بعد ٥٣٨هـ) ويحيى بن عبد العليم بن أبي بكر ومالك بن مري الجندي وولده إبراهيم[٢] وكان ذلك بين سنتي (٤٧٦-٤٩٣هـ)[٣].

وممن تصدر للتدريس في جامع الجند الفقيه الكبير أبو أسامة زيد بن عبدالله بن جعفر اليفاعي (تـ/ ٥١٤هـ)، والذي أجمع أهل زمانه على نزاهة عرضه وجودة علمه وشدّة ورعه[٤]، الأمر الذي جعل طلاب العلم يأتونه من أماكن عدة، وقد كان له مكان مخصص من أرض المسجد فلا يجلس فيه سواه، بلغ عدد طلابه أكثر من ثلاثمائة طالب، في حين كانت حلقة أستاذه الشيخ أبي بكر بن جعفر المحابي إلى جواره في الزاوية من المسجد نفسه[٥].

ورحل إلى مكة وجاور بها اثنتي عشرة سنة ثم عاد إلى اليمن وتصدر التعليم في جامع الجند، فأخذ عنه الكثير من الطلاب والعلماء أمثال يحيى بن أبي الخير العمراني(تـ/٥٥٨هـ)، والفقيه أبي حامد بن أبي بكر(تـ/ بعد ٥٥٠هـ)، وكانا شركاءه في الدرس، ومن الكتب التي كان يدرِّسها كتاب "النكت" في الخلاف للشيرازي والمنهاج لأبي الطيب الطبري، والتعليق في الخلاف لأبي إسحاق الشيرازي، وكلها في الفقه الشافعي والقضايا الخلافية[٦].

كل ذلك يدل على أن المسجد كان يشهد إقبالاً متزايداً من قبل طلاب العلم، خاصة وأنه كان يدرِّس فيه أكثر من عالم، وتقام فيه أكثر من حلقة في وقت واحد[٧]، كما شهد إقبالاً كبيراً على تدريس كتب الخلاف مما يدل على احتدام الصراع الفكري والمذهبي في تلك الفترة، الأمر الذي أهّل هذا المسجد لتخريج عدد كبير من العلماء والفقهاء، فلا غرابة إذا عد مسجد الجند من أهم المساجد والمراكز العلمية في رفد الحركة العلمية والثقافية في اليمن.

(٤) مسجد صعدة:

مسجد صعدة يعد من المساجد المشهورة والمراكز العلمية الكبيرة في اليمن خاصة لدى الزيدية، بناه الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (تـ/ ٢٩٨هـ) عام (٢٨٤هـ)، وأسكن بجواره واسكن الناس حوله وبني الأسواق وأنار الطرقات المجاورة له حرصاً على المارة السالكين[٨].

وبوجود هذا المسجد انتشر الفكر الزيدي حتى أصبح ملئ اليمن، وأصبحت صعدة قبلة للعلماء ومستقراً للشعراء، وعاصمة للدولة الزيدية في اليمن خلال تلك الفترة، وإليها وفد العديد من العلماء

١ـ فقيه جليل القدر من فقهاء ذي أشرق انتهت إليه الرياسة والفتوى في عصره،أخذ عن أبي ميسرة ناسخ القرآن ومنسوخه للصفار[الجندي،مصدر سابق،جـ١ ص٢٧٦].
٢ - لم يعثر الباحث على تاريخ وفاتهما في المصادر التي اطلع عليها إلا أن سماعهم للحديث كان خلال الفترة (٤٧٦ ـ ٤٩٣هـ).
٣- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ١٤٠، ٢٤٩، ٢٧٨.
٤ - الطيب با مخرمة، قلادة النحر جـ٢، ص٤٩٥.
٥- محمد الجندي، السلوك، ٢٦٣ ؛ الطيب با مخرمة، قلادة النحر جـ٢،ص ٤٩٤.
٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ، ١٥٢،-١٥٣.
٧- حسين الأهدل، تحفة الزمن في تاريخ اليمن،ص ١٩١- ١٩٢.
٨ - علي العلوي، سيرة الإمام الهادي إلى الحق،ص ٣٨٦.

من اليمن ومن الجيل والديلم، فأصبح مسجد صعدة بمثابة منارة علمية تقام فيه الحلقات وتعقد فيه المناظرات ومجالس السماع، وتدار منه أمور الدولة[١].

وممن تولى إمامة المسجد ودرس به خلال هذه الفترة إسحاق بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباعث الصعدي (ت/٥٥٥هـ)، والملقب بالقاضي[٢].

(٥) مسجد الأشاعر في زبيد:

يرجع تاريخ بناء هذا المسجد إلى السنة الثامنة للهجرة، وهو أول مسجد أسس في زبيد، ويذكر بعض المؤرخين أن أول من بناه هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري وأصحابه الأشاعر، ثم أعاد بناءه الحسين بن سلامة(ت/ ٤٠٧هـ)[٣].

ولما كانت زبيد مقصد العلماء من داخل اليمن وخارجها في فترة الدراسة، فمما لا شك في أن مسجد الأشاعر كان من أول المساجد المقصودة من العلماء، فهذا العالم الكبير أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المحابي كان يقصد زبيد كل عام مرة من أجل المناظرة الفقهية، فيناظر أكابر علمائها وعلى رأسهم القاضي محمد بن أبي عوف إمام الحنفية[٤]، كما أن هذه المناظرة كانت تتم في جامع الأشاعر.

ويذكر عمارة أنه رأى في جريدة الصدقات التي كان يدفعها أمراء بني نجاح إلى الفقهاء والعلماء المتصدرين للتدريس في علوم النحو واللغة والفقه والحديث، ما مقداره اثنا عشر ألف دينار في كل سنة[٥]، وهذا يدل على كثرة العلماء المدرسين، وأن أغلبهم كان يدرس في مسجد الأشاعر بحكم وجوده إلى جوار دار الإمارة وسط مدينة زبيد[٦].

كما اشتهر علماء زبيد بإجادتهم للكثير من العلوم كالقرآن وعلومه والفقه، واللغة، والنحو، والأدب، أمثال العلامة الحسن بن محمد بن أبي عقامة(ت/٤٨٤هـ)، الذي اشتهر بالأدب والشعر[٧]، وابن أخيه القاضي أبي الفتوح عبدالله بن محمد بن أبي عقامة، والذي عاصر عمه وكان إمام دهره وواحد عصره[٨]، وقد كانا يعقدان بعض مجالسهما في جامع الأشاعر.

ثانيا:المساجد الصغيرة:

سبق الحديث عن المساجد الجامعة، على اعتبار أنها تجمع الكثير من العباد والعلماء وطلاب العلم، وذلك كونها تقع في المدن الكبيرة، أو بسبب علو شهرتها، وبسبب أنه كانت تعقد فيها الحلقات العلمية لأكثر من عالم، حيث يأخذ عنهم الكثير من الطلاب، إن ذلك لا يعني أن المساجد الصغيرة

---

١ - أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم، ٨٦، ٨٧؛ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، جـ٢، ٨٣٢؛ أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، جـ٤،ص ١٦٧، ١٦٨.

٢- إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية الكبرى،ج١،ص ٢٤٣

٣ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، ج١ ،ص ،٢٥٩ ؛ الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد،ص ٢٥.

٤ - حسين الأهدل، مصدر سابق،ص١٩١.

٥- عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ١٤٦.

٦ - عبد الله الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد، الشكل٢،ص ٤٨٣.

٧- عمارة / كاي،المفيد، مصدر سابق، ص٢٨٨ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق جـ١، ص ٢٥٢-٢٥٤.

٨- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق جـ١، ص٢٦٠.

لم تقم بدورها العلمي، بل وجدت مساجد صغيرة وقرى علمية اشتهرت في كثير من الأماكن اليمنية، حيث فضل بعض الفقهاء التعليم في المساجد الصغيرة وفي القرى البعيدة، إما لهدوئها أو لقربها من مقر إقامة المعلم، أو لبعدها عن المشاكل والحروب، والتي تكون مرتبطة أساساً بالمدن الرئيسة، ومن هذه المساجد التي ذكرتها بعض المصادر على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

(١) مسجد الجوة[١]:

وبهذا المسجد درّس الحافظ الشهير أبو الوليد عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي (تـ/٤٩٣هـ)، والذي أقام بهذه المدينة فترة طويلة، فقصده طلاب العلم من أماكن شتى، ودرسوا على يده وأخذوا عنه عدة كتب[٢] في هذا المسجد.

(٢) مسجد الجعامي[٣]:

أشهر من درّس فيه الشيخ المحدث زيد بن الحسن الفائشي (تـ/٤٥٨هـ)[٤] ومن العلوم التي درّسها فيه علم الحديث، والتفسير، واللغة، والنحو، وعلمي الكلام والحساب[٥]، فكان لهذا المسجد دورٌ كبيرٌ في رفد الحياة العلمية طوال فترة بقاء هذا الشيخ.

(٣) مسجد الصردفي[٦]:

من المساجد الصغيرة التي كان لها دور بارز في رفد الحياة العلمية في فترة زمن الدراسة، ويقع هذا المسجد في قرية سير، ومن العلماء الذين درّسوا في هذا المسجد: الفقيه الفرضي إسحاق بن يوسف بن يعقوب بن عبد الصمد الصردفي (تـ/ بعد عام٥٠٠هـ)، وفي المسجد كانت مدرسته كما يفيد ابن سمرة، واستغنوا عما سواه في المواريث، وفي مدرسته هذه حفظ عمر بن علي بن أسعد السلالي(تـ/ ٥٤٩هـ)القرآن؛ على يد خاله إسحاق الصردفي[٧].

وفي هذا المسجد تلقى أسعد بن خير الدين بن يحيى بن ملامس (تـ/ ٥١٨هـ) تعليمه على يد أبيه، فأخذ عنه صحيح البخاري وسنن أبي داود[٨].

- **مسجد ذي أشرق[٩]:**

درّس في هذا المسجد من علماء تلك الفترة الفقيه سالم بن عبدالله بن محمد بن سالم (تـ/ ٥٣٢هـ)، وكان إماماً للمسجد، والفقيه الزاهد مقبل بن محمد بن زهير الهمداني(تـ/ ٥٥٦هـ)، وقد رآه الفقيه أبو بكر بن جعفر وأصحابه حوله يقرءون عليه، فأعجبه ذلك فقال : نعم إنك مقبل[١].

---

١ - مدينة تحت جبل الصلو من جهة الشرق، كانت قديماً عامرة بالعلم والعلماء، وهي اليوم تابعة لمديرية خدير في محافظة تعز [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان جـ١ ،ص ٣٦٩].

٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ٩٩ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق جـ١ ،ص ٢٤١.

٣ - الجعامي، قرية تتبع حزم العدين من محافظة إب، سكن بها العلماء من بني الفائشي [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان جـ١، ص ٣٦٩].

٤- هو أبو أحمد زيد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن ميمون بن أبي أيوب الفائشي نسبة إلى ذي فائش أحد أذواء حمير،[محمد الجندي،مصدر سابق،جـ١ ص٢٨٥].

٥ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق جـ١ ،ص ٢٨٦.

٦- نسبة إلى بانيه وأشهر من درُس فيه؛ الفقيه الفرضي إسحاق بن يوسف بن يعقوب بن عبد الصمد الصردفي (تـ/ بعد عام٥٠٠هـ)[عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٠٦، ١٠٨].

٧ - عمر الجعدي، الطبقات،مصدر سابق،ص ١٠٦، ١٠٨.

٨- عمر الجعدي،المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٩ - ذي أشرق، قرية كبيرة بوادي نخلان على نصف مرحلة من الجند [محمد الجندي، السلوك، جـ١ ،ص ٢٤٢].

وممن درس في جامع ذي أشرق الفقيه الحافظ عبدالله بن عبد الرزاق بن حسن بن أزهر(تـ/٥٢٨هـ)(٢).

من خلال ما سبق يتضح أن المساجد في هذه المدة كانت هي الأكثر اجتذابا للعلماء والمتعلمين من مراكز وأماكن التعليم في اليمن، كما أن القرى والهجر العلمية الموجودة والتي تعد مراكز علمية فاعلة في تلك الفترة كان التعليم فيها يتم في مساجدها في أغلب الأحيان، وأن شهرتها جاءت بناءً على شهرة العالم الذي يدرس بها أو شهرة مدارسها المسجدية، ومما يدعم وجهة النظر هذه هو: إقبال الكثير من كبار العلماء على بناء المساجد ،ومن ثم التفرغ للتدريس فيها، ومن أمثلة ذلك المسجد الذي بناه الفقيه القاسم بن محمد(٣) وصار يعرف بمسجد القاسم(٤).

وكان للعلماء اهتمام كبير ببناء المساجد والتعليم فيها، لما لها من قدسية في نفوسهم وبركة؛ تختلف عن أي مكان آخر، كما أن إنشاءها والعمل على خدمتها يعد من القربات.

كما أن دور المساجد لم يقتصر على أنشطة علمية محددة كالحلقات، بل كان يتم فيها ممارسة أنشطة أخرى، مثل التأليف ونسخ الكتب والمناظرات العلمية والقراءة، فكان بعض العلماء لا يطيب له التأليف إلا بها، فهذا الإمام أبو يعقوب إسحاق بن يوسف الصردفي ألف كتابه " الكافي " المشهور في علم الفرائض والحساب بداخل مسجده بقرية سير(٥).

المبحث الثالث : الهجر والقرى العلمية:

هي من الأماكن الخاصة بالتعليم والتي اشتهرت في تلك الفترة، ذكرتها كتب التاريخ والتراجم والطبقات، وتسمى بالهجر العلمية والقرى العلمية، وقد كانت منتشرة في كثير من المناطق اليمنية، وسيقتصر الحديث هنا عن دور هذه الهجر والقرى العلمية في نشر العلم والتعليم في اليمن في الفترة الزمنية لهذه الدراسة.

أولاً – الهجر العلمية:

اصطلح علماء اليمن وفقهائها على تسمية القرية أو المنطقة التي ينتقل إليها من رغب عن سكن المدينة من العلماء بـ (الهجرة)؛ كذا إضافة إلى اسمها العَلَم، وذلك ليتخذها داراً لإقامته ومكاناً لنشر العلم،فما تلبث أن تكون في كثير من الأحيان مقصودةً لطلب العلم، تشد إليها الرحال وتهوي إليها الأفئدة من علماء وطلاب علم(٦).

والهجرة بمعنى التهجير، والذي يقصد به التعهد والضمان من أعيان ورؤساء القبائل وزعماء العشائر، على جعل القرية التي يأوي إليها العلماء والفضلاء وأهل الصلاح والتقوى وطلاب العلم؛ قرية مهجَّرة، أي محل احترام وتقدير كل من بجوارها من القبائل، وتحت حمايتهم ورعايتهم أرضا

---

١ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص ١١٥.
٢- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق ، جـ١،ص ٢٤٢
٣ -ممن عاصر الملكة السيدة بنت أحمد.
٤ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٣٠.
٥- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٤٥-٢٤٦.
٦- إسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، جـ١،ص ٧.

وسكنا ،ومأوى آمن مهما كانت الظروف[١]، ويوفر لأهل الهجرة ما يحتاجونه من الرزق، بما يعطونهم من الزكاة والنذور وغيرها، فينفقون منها على أنفسهم وطلابهم،وتظل هذه الخصائص ملازمة للهجرة لا تنفك عنها، حتى تزول عن أهلها صفة العلم، إما بالوفاة أو الانتقال إلى مكان آخر[٢].

ومما يلفت النظر: أن الهجر كانت تنتشر في المناطق التي تعتنق الفكر الزيدي دون غيرها، ولعل ذلك يعود إلى انقسام الزيدية أنفسهم إلى - مخترعة ومطرفية – وما دار بينهم من حروب ومواجهات، فكان كل من خشي على نفسه وأهله من العلماء انتقل إلى هجرة من الهجر العلمية المحمية بقانون التهجّير القَبَلي، أما بقية أجزاء اليمن مثل الجند وتهامة وحضرموت وعدن فلم يوجد بها هجر مماثلة رغم وجود الانقسامات المذهبية والمناظرات العلمية.

ولعل ذلك يرجع إلى أن أهل هذه البلدان قومٌ مسالمون أكثر من غيرهم، ولأن مراكزهم العلمية لم تتعرض للخطر كما كان يحصل في المناطق الزيدية.

ومن الهجر العلمية التي كانت موجودة ولها أثر ونشاط علمي في تلك الفترة ما يأتي:

١. هجرة سناع[٣]:

من أقدم هجر الزيدية والتي تم إنشاؤها من قبل مطرِّف بن شهاب، وذلك بعد مخالفته للزيدية في بعض المعتقدات [٤]وتبعه بعد ذلك جماعة عرفوا بالمطرفية نسبة إليه، وبنا بها مسجداً أصبح منارة علم بالنسبة للمطرفية الزيدية، وكان مطرِّف بن شهاب هو أول من درَّس بها، ومن العلوم التي كانت تدرس في مسجده علم الحساب والفرائض والوصايا وغوامض الفقه الهادوي[٥] وعلم الكلام وأصول الفقه وفروعه والأخبار المأثورة عن النبي ﷺ، وكانت تعقد بمسجده المناظرات ومجالس الحديث[٦].

ومن العلماء الذين درسُوا في هجرة سناع في فترة زمن البحث الشيخ أحمد الحجازي(عاصر الصليحي) من العلماء العباد وأحد شيوخ الزيدية[٧] وإبراهيم بن أبي الهيثم(ت/٥٤٥هـ) وغيرهم من علماء المطرفية، ولم ينقطع عنها التعليم إلا في زمن المضايقات من قبل بعض الأمراء والسلاطين المخالفين لما عليه المطرفية من اعتقاد[٨].

وهذا الشيخ جعفر بن أحمد بن عبد السلام(ت/٥٧٣هـ)من علماء الزيدية المخترعة ، أقام في هجرة سناع مدرسة خاصة لمعارضة المطْرفية، ودرَّس بها حتى وافته المنية وهو من أهلها؛ وأتى

١- لمزيد من التفاصيل يراجع هجر العلم ومعاقله في اليمن جـ١.
٢- إسماعيل الأكوع،الهجر،مرجع سابق،جـ١، ص٧.
٣ - سناع، قرية قرب قرية حدة خارج صنعاء ، كان مسجدها قائماً إلى وقت قريب، وهدم عن جهل وأقيم مسجد حديث مكانه وهي اليوم جزء من حي حدة الواسع ضمن أحياء أمانة العاصمة بعد التوسع العمراني الكبير.
٤ - عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية،ص ٨٤، ١٨٠.
٥- مُسَلم اللحجي، تاريخ مسلم،ص ٢٢٢.
٦ - إبراهيم بن القاسم،الطبقات، مصدر سابق، ج١، ص٥٩٧.
٧- مُسَلم اللحجي، تاريخ مسلم،ص ٦٥-٦٦.
٨ - أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور،ص ١٣٧.

ذكره هنا لأنه دَرَس وأخذ العلم عن مشايخه في نفس الهجرة، ومنهم العالم الكبير الحسن بن أحمد الرصاص (ت/٥٤٨هـ) والذي كان يأتيه طلاب المذهب الزيدي من مناطق شتى[١].

وعليه يمكن القول أن هذه الهجرة كانت عامرةً بالعلم والعلماء في هذه المدة، ووجد بها مدرستان: الأولى للمطرفية، والثانية للمخترعة من الزيدية، الأمر الذي أوجد حراكاً فكرياً بين الفرقتين، وهو ما يؤكد وجود دور علمي لهجرة سناع في تلك الفترة.

٢. هجرة وقش[٢]:

قرية وصفها ياقوت الحموي بقوله:" وقش بلد باليمن قرب صنعاء، وهجرة وقش موضع فيه كالخانقاة[٣] يسكنه العباد وأهل العلم ... وفي اليمن عدة مواضع يقال لها هجرة كذا" وعنها قال مسلّم اللحجي أنها من أكبر الهجر لتوافد شيوخ الزيدية إليها من كل مكان، فصارت مقراً لكبار علماء الزيدية حتى أُطلِق عليها لقب هجرة السعيدة[٤].

وكانت تقام فيها الحلقات والمجالس العلمية والمناظرات المختلفة[٥] بين الزيدية أنفسهم، أو بينهم وبين من يأتي إليهم من الخارج، وكانت تقام ليلاً ونهاراً، الأمر الذي أدى إلى كثرة أعداد الطلاب بها، فبلغ عددهم أحياناً السبعمائة من العلماء والطلاب[٦]ومن العلماء الذين درسوا ودرَّسوا في هجرة وقش في فترة حكم الدولة الصليحية على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن الهيثم (ت/٤٥٠هـ)– مؤسس الهجرة نفسه – وكان قد درَّس في هجرة سناع إلا أن أغلب تدريسه في وقش، وذلك لأنه انتهت إليه علوم الهادوية في علم الأصول، وما أشكل عليهم بعد مطرِّف بن شهاب، وإليه كانوا يرجعون في دروسهم[٧]، وإبراهيم هذا كان ممن أدرك فترة انقسام الزيدية وعاصر الدولة الصليحية وكانت وفاته بداية القرن السادس الهجري.

ومن كبار علماء الزيدية الذين كانت لهم دروس وحلقات علمية في وقش ابن زياد الصنعاني القشيري(كان حياً في ٤٣٠هـ)[٨] والذي درس على يديه وتعلم أصول المذهب المؤرخ مسلّم اللحجي، وكان ذك سنة (٥١٠هـ)[٩] وكان عالما في القراءات وفي علم النحو واللغة وعليه درس مسلّم اللحجي القرآن الكريم أيضا[١٠].

---

١ - إبراهيم بن القاسم،الطبقات، مصدر سابق، ج٢٧٧،٢-٢٧٨، ٥٩٧.
٢ - وقش، من أكبر هجر اليمن العلمية ومقراً لكبار العلماء الزيديين وهي بلد قرب صنعاء من جهة الشمال الغربي ،ولقبت بالسعيدة [إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق، ج١،ص ٩٢].
٣- الخانقات، مكان التعليم والعبادة عند الصوفيين[عبدالرحمن المختار، سابق،ص ٦٧].
٤- إبراهيم بن القاسم، المصدر السابق، ج١،ص ٩٢.
٥- أحمد بن أبي الرجال، المصدر السابق ص٨٩.
٦ - يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية ،مصدر مصدر سابق ص٩٠.
٧ - يحيى بن الحسين ،المصدر نفسه ،ص ٩٨-٩٩.
٨- لم يعثر الباحث على تاريخ وفاته في المصادر التي بين يديه.
٩- إبراهيم بن القاسم، الطبقات الكبرى ج٢، ص١١٢٣.
١٠ - مُسَلم اللحجي، تاريخ مسلم،ص ١١٢.

هذا وقد ظلت هجرة وقش مركزاً علمياً منذ تأسيسها وحتى بعد القرن السادس الهجري، وبهذا تكون هجرة وقش قد رفدت الجانب العلمي والفكري في اليمن في هذه الفترة بعدد غير قليل من العلماء والفقهاء الزيدية.

٣. هجرة ذيبين (حيط عمران)[١]:

من الهجر القديمة التي لم يعرف مؤسسها، ظهر منها العلماء من آل أبي الرجال خلال تلك الفترة، يقول عنها إبراهيم بن القاسم في الطبقات في ترجمة علي بن حمزة بن أبي هشام (ت/٤٧٧هـ): بأنها هجرته؛ أي ابن أبي هاشم، وهجرة سلفه من قضاة آل أبي الرجال[٢].

ولعل من العلماء الذين درسًوا بها حمزة بن أبي هاشم (ت/ بداية،ق ٦،هـ) وأخذ عنه ولده من مسائل العدل والتوحيد، ومن الذين درسوا بها أيضاً علي بن حمزة سالف الذكر، حيث بلغ منزلة كبيرة من العلم، وجمع أموالاً كثيرة أنفقها في نشر العلم ومذهب العدل والتوحيد(الهادوي)، وله عدة ردود على مخالفيه[٣].

قام محتسباً وحارب الزواحيين (الصليحيين) ولم يجد في ذلك عوناً من أهل اليمن[٤] وكان صاحب دين وطهارة منذ نشأ ودرس العلوم[٥].

٤. هجرة محنكة[٦]:

من الهجر العلمية العامرة بالعلم والعلماء منذ زمن، وكان لها دور يذكر في الفترة الزمنية للدراسة، حيث قدم إليها من أراض الديلم العلامة زيد بن الحسن بن علي البيهقي (ت/ ٥٥٥هـ) وهي في ذلك الوقت مأوى لأهل العلم وطلابه،وكان يعقد بها مجلساً للعلم وبمسجد صعدة لإملاء فضائل آل البيت، وله ردود على المطرفية بالغة الأثر، عاد إلى المخترعة من المطرفية على يديه خلق كثير من أنحاء اليمن[٧].

٥. هجرة أبيات القضاة:

قال الجندي:" القرية – أي أبيات القضاة – بمحلة الدَّارية وبها حلتان، حلة تعرف بأبيات القضاة، والحلة الأخرى تعرف بأبيات بني خطاب.

وهي حلة عامرة من قرية الدَّارية في الغرب من المراوعة على مسافة يسيرة منها، وكلاهما من ناحية العُبَيْسة في وادي سهام[٨].

١- ذيبين، مدينة تتوسط جبلين كبيرين هما الفُئة وذروة، وهي مركز لإحدى مديريات محافظة عمران وتسمى باسمها، تبعد حوالي ٤٠ كم شمال مدينة عمران، وأما حيط عمران فهي قرية عامرة على سفح جبل الفُئة شمال غرب ذيبين (بين عزلتي مرهبة وخارف) [إبراهيم المقحفي، معجم البلدان،ص ٥٨٤-٦٥٧].

٢- إبراهيم بن القاسم، الطبقات الكبرى،جـ٢،ص ٧٣٦-٧٣٧.

٣ - إبراهيم بن القاسم المصدر نفسه الصفحة نفسها.

٤- الأكوع، الهجر،ص٧٤٠.

٥ - إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق،جـ٢، ص ٧٣٦-٧٣٧.

٦ - محنكة، قرية عامرة في أسفل وادي حيدان من مخلاف خولان بن عامر، ومن أعمال صعدة على مسافة خمسة كيلومترات جنوب حيدان [الأكوع، الهجر،ج١ ، ص ١٩٦].

٧ - إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق،ص ٧٣٦- ٧٣٧.

٨- إسماعيل الأكوع، الهجر،ج١،ص ٤٨.(ذكرها الأكوع ضمن هجرالعلم رغم وقوعها في منطقة غير زيدية وهي تهامة.)

من أعلامها: الحسن بن محمد بن أبي عقامة (ت/٤٨٣هـ)، عالم محقق في العربية واللغة، خطيب مفوه له شعر فائق وترسل جميل، صنف كتاب (نوادر مذهب أبي حنيفة) والتي كان أصحاب الإمام الشافعي يتندرون بها على أصحاب أبي حنيفة، وقد سعى الآخرون إلى تتبع نسخ هذا الكتاب فقضوا عليه، ولي قضاء زبيد للصليحيين ثم لبني نجاح[١].

٦. هجرة مدر[٢]:

من الهجر المشهورة الذي كان لها دور في تلك الفترة ومن أهلها الذين درسوا بها إبراهيم بالغ الوزيري[٣] الذي أخذ أصول الدين سماعاً عن أبيه عن الهادي إلى الحق، ومن الذين أخذوا عنه علي بن محفوظ الزيدي(ت/ بعد ٤٩٠هـ)، فكان إبراهيم وارث أبيه في الفضل والعلم والدين[٤].

٧. هجرة شظب:

من الهجر العامرة منذ زمن ما قبل القرن الخامس، وبها درَّس إبراهيم بن علي بن عيسى الهمداني[٥]، ومن تلاميذه مسلم اللحجي والذي قال عنه :" أخذنا عنه سماعاً استنقذ أهل شظب من الجبر ..."[٦]أي أعادهم إلى المذهب الهادوي بعد أن كانوا سنة.

ثانياً - القرى العلمية:

١. قرية سهفنة[٧]:

تشير المصادر التاريخية إلى أن قرية سهفنة كانت مركزاً علميا في تلك الفترة ، فهذا الإمام الحافظ القاسم بن محمد بن عبدالله الجمحي (ت/ ٤٣٧هـ) ، كان في سهفنة، وعنه أخذ علماء صنعاء وعدن والجند وأحاظة ووادي ظبا ولحج والمعافر، وإليه يرجع الفضل في نشر المذهب الشافعي في تلك المناطق[٨].

ومن العلماء الذين أقاموا في سهفنة ودرَّسوا بها القاضي مسلَّم بن أبي بكر بن عبدالله الصعبي(ت/بعد٥٢٠هـ)، ومن طلابه العالم المشهور يحيى بن أبي الخير العمراني(ت/٥٥٧هـ) الذي روى عنه كتاب الحروف السبعة في الرد على المعتزلة[٩].

١- أرسله في طلب خطبة امرأة من الفرسانيين أهل موزع ، فاتصل بأهل هذه المرأة وأخبرهم رغبة جياش في ذلك، فاستشاروه، فأخبرهم بأن المرأة ذا لم توافق لن يصح النكاح، وعاد إلى جياش، وظل جياش يطلبها من طريق آخر فوافقه القوم ، وأخبر جياش بما جرى من الحسن فقتله عام ٤٨٣هـ [الأكوع، الهجر،ص ٥].

٢- مدر، قرية على بعد عشرين ميلا من صنعاء في بلاد ارحب، وكانت من هجر العلم القديمة، وهي عامرة إلى الآن [محمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها،ص ٦٩٨].

٣ ـ ذكر إبراهيم بن القاسم انه توفي نهاية القرن الخامس(الطبقات جـ١ ،ص ٦٩).

٤- إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق،جـ١ ،ص ٦٩.

٥- لم يجد الباحث تاريخ وفاته وإنما هو أحد من أخذ عنه مسلّم اللحجي العلم.

٦ - إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق ،ج١ ،ص ٧١.

٧- سهفنة ، إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم وتقع قبلي الجند على ثلث مرحلة منها [محمد الجندي، السلوك،ج١ ،ص ٢٢٩، ٢٣٤].

٨- محمد الجندي، السلوك ج١ ،ص ٢٢٩.

٩- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٢٤ ؛ محمد الجندي، السلوك ج١ ،ص ٢٨٣، ٢٩٤.

وإلى هذه المدرسة استقدم القاضي مسلم بن أبي بكر بن أحمد المراغي (تـ/٥٣٨هـ) من مكة المكرمة ودرَّس بها (مختصر المزني) وعلم الكلام وشيء من الفقه والحديث وعلم القراءات، كما عقد فيها حلقات التعليم الإمام عبدالله بن يحيى بن إبراهيم الصعبي (تـ/٥٥٦هـ) [١].

وفي ذلك ما يدل على وجود مدرسة علمية حوت أركان العملية التعليمية الحديثة من معلم ومتعلم ومنهج ومكان خاص بالتعليم، والذي غاب عن التفصيل هو المبنى وكيف كان شكله، ويمكن الجمع بين هذا وما ورد في الدراسات السابقة من أن الأيوبيين هم من أدخل المدارس إلى اليمن، أن الأيوبيين أدخلوا اسم المدرسة كمدرسة نظامية تتولى الدولة بناءها وتمويلها والإشراف عليها، وما كان موجوداً قبل ذلك هي مدارس أهلية تقوم على جهود العلماء والوجهاء، بحسب ما تمليه عليهم ظروف حياتهم وما هو متاح لهم من قدرات مالية وعلمية، فقد تكون غرفة أو حانوتاً أو بيت عالم من العلماء.

وقد ينتهي دورها بموت العالم أو الأمير الذي يتولى الإنفاق على معلميها وأحياناً الطلاب الوافدين إليها كما حدث للقاسم بن عبد الله الجعامي في سهفنة،وقد يستمر دورها إذا كان بانيها قد أوقف عليها الأوقاف التي تمكنها من الاستمرار في أداء المهمة.

كل هذا يشير إلى أن قرية سهفنة ممثلة بمدرستها أو مسجدها وعلمائها قد شهدت حراكاً علمياً ملحوظاً في هذه الفترة.

٢. جزيرة كمران[٢]:

ترجع شهرتها كمركز علمي إلى سنة (٥٠٥هـ) بعد أن هاجر إليها الإمام الكبير أبو عبدالله محمد بن عبدويه المهروباني [٣](تـ/ ٥٢٥هـ) والذي كان مقيماً قبل ذلك في زبيد، وكان ذلك أثناء تعرض زبيد للنهب من قبل المفضل بن أبي البركات[٤]، فلما استقر الفقيه بهذه الجزيرة أصبحت مقصداً علمياً للعديد من الطلاب من جميع أنحاء اليمن من تهامة والجند وسهفنة وذي أشرق و أحاظة والمشيرق وأبين وزبيد[٥].

ومما جعل هذه الجزيرة قبلة لطلاب العلم أن هذا العالم كان ينفق على طلبته ويرعاهم، وكان بعض التجار المعروفين لديه بحكم تجارته يسلمون إليه بعض الأموال كصدقات أو نذور لطلاب العلم[٦].

وممن تتلمذ على يد هذا الفقيه ابنه الفقيه عبدالله في الفقه والأصول، وأبو بكر الحربي وعبدالله بن أحمد الزبراني(تـ/٥١٨هـ) وعمر بن علي السلالي(تـ/٥٤٩هـ) ومحمد و خير ابنا أسعد

---

١ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٨٩-٩٠.
٢ - جزيرة مشهورة في البحر الأحمر قبالة ميناء الصليف وتبعد عن اليابسة قرابة ميل واحد[إبراهيم المقحفي، معجم البلدان،ج٢ ،ص ١٣٥٢].
٣ - نسبة إلى بلد بساحل البصرة، يقال له مهروبان [محمد الجندي ، السلوك، ج١ ،ص ٢٧٩].
٤ - عندما استعان به منصور بن جياش على أخيه عبد الواحد بن جياش [محمد الجندي ، السلوك، ج١ ،ص ٢٧٩].
٥ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٤- ١٤٥، ١٤٩ ؛ - ٢٨٠.
٦- محمد الجندي، السلوك، جـ١ص ٢٧٩.

بن الهيثم وعيسى بن عبد الملك المعافري، ومن أبين عمر وعبدالله أبنا عبد العزيز بن أبي قرة، وعبدالله بن الأبَّار وراجح بن كهلان من زبيد، يقول الجندي: أن هؤلاء هم الأعيان، وأما أصحابه فهم أكثر من أن يحصوا، كما قرأ عليه العالم الصوفي محمد بن يوسف بن أبي الخل وصاهره على ابنته[١].

ولم تذكر المصادر التي بين يدي الباحث أي دور علمي لهذه الجزيرة بعد وفاة الإمام المهروباني وولده عبدالله، وأن المسجد الذي بناه الفقيه ومواضع الدروس التي كانت تتم فيها الحلقات العلمية ومنزل الفقيه المجاور لمسجده كانت موجودة أثناء زيارة عمر بن سمرة للجزيرة عند ذهابه لأداء فريضة الحج[٢].

مما سبق يتضح بأن جزيرة كمران: كانت مركزاً علمياً أثناء الفترة موضوع البحث، خاصة على يد الشيخ المهروباني ،والذي تخرج من مدرسته عدد من العلماء الذين أصبح لهم دور كبير في نشر العلم في اليمن، وأن الظروف السياسية هي التي أجبرت الشيخ على استيطان الجزيرة هروباً بعلمه عن مواضع النزاع، وأن موقع الجزيرة سهل له عملية الاتصال بطلابه ومواصلة العمل في التجارة.

٣. قرية زَبَران[٣]:

ومن العلماء الذين دَرَسُوا بها: عبدالله بن أحمد الهمداني الزبراني (ت/٥١٨هـ)، وزيد بن عبدالله بن أحمد الهمداني الزبراني (ت/ ٥٥٨هـ)[٤].

وقد نالت القرية شهرة كبيرة في تلك الفترة، بسبب شهرة العلماء الذين تديَروها ودرسوا فيها.

٤. قرية مشيرق أحاظة[٥]:

تتبعها عدة عُزل مثل عزلة القرانات، وعزلة السحي، تديرها العلماء فاشتهرت بشهرتهم منذ نهاية القرن الرابع الهجري، واستقر بها العالم الكبير أبو الفتوح يحيى بن عيسى بن ملامس و الفقيه أبو سعيد الهيثم بن محمد الكلاعي الحميري ،والذي إليهما يرجع الفضل في ظهور أكبر الأسر العلمية في مشيرق أحاظة، أسرة بنو ملامس وبنو الهيثم[٦].

وأول من درَّس بها في الفترة موضوع البحث والدراسة ابن أبي الفتوح خير بن يحيى بن ملامس (ت/٤٥٠هـ)، والذي أخذ عنه كثيرٌ من العلماء من أشهرهم ولده أسعد (ت/٥١٨هـ) والإمام

---

١ - محمد الجندي ،المصدر السابق ،ص ٢٧٩- ٢٨١.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٧.
٣- هي قرية على أكمة مرتفعة إلى الغرب من الجند تبعد عنها نحو ثلاثة أميال، ولا تزال عامرة باهلها [محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق ج١، ٢٨٣].
٤ ـ محمد الجندي، السلوك١، جـ١ ،٢٨٣
٥ - قرية في مخلاف جعفر من حبيش في محافظة إب كما يسميها المؤرخون بالمشيرق إختصاراً[إبراهيم المقحفي، مصدر سابق ج٢،ص ١٥٤٢-١٥٤٣].
٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٩١- ٩٣ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٣٠- ٢٣١.

زيد بن الحسن الفائشي وولده أسعد، وأسعد بن الهيثم (تـ/٤٩٨هـ) و سمع عنه ولداه أسعد وعمرو كتاب الإمام البخاري، وكتب لهم إجازةً بذلك[١].

وبعد أن توفي الإمام خير خلفه في التعليم والإقراء ولده أسعد وتتلمذ عليه خلقٌ كثير أشهرهم الحافظ أبي الحسن بن علي بن أبي بكر العرشاني (تـ/٥٥٧هـ)، ومن أشهر من درس بالمشيرق القاضي العلامة زيد بن حسن الفائشي (تـ/٥٢٨هـ) من أحاظة، وعمرو بن أسعد (تـ/٥٢٧هـ) والذي انتقل إلى الجحفة والجرينة لخلافه مع الأعراب الذين تملكوا قرية المشيرق[٢].

المبحث الرابع - المكتبات:

تعد المكتبات من أهم الوسائط التعليمية والثقافية التي أسهمت في نشر الثقافة والعلوم في الدول الإسلامية، وقد لقيت المكتبات اهتماما كبيراً من قبل المسلمين فاق اهتمام بقية الشعوب الأخرى، وذلك لما يشكله الكتاب من أهمية بالغة عند المسلمين، لأن الإسلام جاء بكتاب، وثقافة المسلمين وحصيلتهم العلمية إنما هي كتاب، وكان في البدء هو القرآن الكريم ثم توالت من بعده الكتب[٣].

وقد اهتم العلماء بجمع الكتب، إما عن طريق الشراء من الوراقين أو النسخ، حيث كانت حوانيتهم بمثابة دور نشر تتولى بيع الكتب والأوراق، أو عن طريق تدوين ما يسمعونه في مجالس السماع ومواضع التعليم الأخرى، بحيث إذا فرغ أحدهم من السماع تحصل لديه كتاب وكلما ازداد سماعه زادت كتبه، فإذا ما أصبح معلماً وجد لديه مجموعة من الكتب تكون في متناوله كلما دعت الحاجة إلى الرجوع إليها[٤].

وكان أئمة الإسماعيلية وأمرائها على درجة كبيرة من الوعي والإدراك لأهمية الكتب والمكتبات العامة، لما تقوم به من دور في نشر الثقافة والعلم، وفي حفظ التراث العلمي؛ ومن عظيم ما يذكره لنا التاريخ ؛ما قام به الإمام العزيز بالله نزار (تـ/ ٣٨٦هـ)، القائم في مصر من إنشاء لدور الكتب وتزويدها بالمؤلفات الكثيرة في جميع أنواع العلوم، حيث وصل عدد الكتب في مكتبة القصر وحدها إلى مائة وستين ألف مجلد في الفلسفة والتاريخ والأدب والفقه[٥].

فلما شعر الإسماعيليون بالخطر وضعف الدولة الفاطمية في مصر، عملوا على نقل هذا التراث العلمي والفكري إلى مكان آمن، كان هذا المكان هو اليمن، وتم ذلك عن طريق القاضي لمك بن مالك الحمادي(تـ/ ٥١٠هـ)[٦].

وهذا بدوره قد أفاد أهل اليمن من الإسماعيلية، والذي يمكن قوله أن أغلب ما في مكتبة القصر وغيرها قد تم نقله إلى اليمن، فنهل منه العلماء وطلاب العلم الإسماعيليون ، وكان رافداً

---

١ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٢٥٠ ؛ عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١١٠- ١١١، ١٥٦.
٢- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص٣٠٥، ٣٥٠، ٣٨٦.
٣- يوسف حوالة، الحياة العلمية،ص٢٥٠.
٤ - حسن هنداوي، التعليم وإشكالية التنمية،ص ٦٨- ٦٩.
٥- مصطفى غالب، تاريخ الدعوة،ص ٢١٧.
٦- إدريس الأنف، عيون الأخبارجـ١، ص١٧ .

علمياً كبيراً للمكتبة الإسماعيلية اليمنية،والذي لم يكن متاحا للناس بعموم مذاهبهم الاطلاع على علومهم.

وما كان موجوداً من المكتبات في تلك الفترة، هو إما مكتبة مسجديه عامة أو مكتبة خاصة في بيت من بيوت العلماء، وسيتم الحديث عنها على هذا الأساس:

أولاً-:المكتبات العامة:

لما كانت المساجد هي المراكز العلمية الرئيسة الفاعلة في نشر التعليم في تلك الفترة وما بعدها كما سبق الحديث، وبما أن الكتاب يعد من أهم المؤسسات أو الأماكن التي تقوم بالعملية التعليمية المسجدية، سواءً في الحلقة العلمية أو في مجالس السماع التي تعقد في المساجد الصغيرة والجامعة؛ فإن خزائن الكتب في هذه الجوامع والمساجد كانت عامرة بالكتب العلمية بأنواعها المختلفة.

وهذه الكتب تم جمعها إما عن طريق نسخ الطلاب لمروياتهم ثم وقفها على المدرسة المسجدية ،أو عبر وقفها من قبل المؤلفين والمالكين لها إما رغبة في الأجر أو حرصاً عليها من الضياع، وهي كما يلي:

١- مكتبة مسجد الجند:

يمكن الحديث عن مكتبة مسجد الجند من خلال شواهد غير مباشرة تؤكد وجود مكتبة أو خزانة للكتب بهذا المسجد، لأن المصادر التي اطلع عليها الباحث لم تصرح بوجود هذه المكتبة، إلا أن الشواهد تدل على ذلك، ومنها أن مسجد الجند في هذه الفترة شهد وجود مدرستين علميتين هما: مدرسة الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي ،ومدرسة شيخه أبي بكر جعفر بن عبد الرحيم المحابي، وكانتا من أكبر المدارس في تلك الفترة شهرةً وعدداً للطلاب.

ونظراً لهذه الأهمية فلا بد وأن يكون بهذا المسجد خزانة للكتب والشروح والمختصرات والأمالي التي يتم الاطلاع عليها ونسخها، وكذا المصاحف التي لا غنى لأحد من الطلاب والمعلمين عنها، كما أن تلك الفترة اشتهرت بكثرة الواقفين للكتب والمصاحف(١).

والشاهد الآخر ما ترويه مصادر التاريخ أن مهدي بن علي بن مهدي(ت/ بعد ٥٦٠هـ) عندما غزا الجند وحاصر أهلها ثم دخلها، وقتل كل من بقي في المدينة من الأطفال والشيوخ والنساء، ثم رماهم في بئر مسجد الجند، وأحرق المسجد على من كان فيه من الضعفاء؛ كذلك تقول الرواية إنه أحرق الكتب والمصاحف التي كانت في المسجد(٢).

وهذا يؤكد وجود مكتبة في المسجد أو وجود كتب ومصاحف في خزانته، الأمر الذي يشير إلى الدور العلمي لتلك المكتبة أو الخزانة في تغذية المدرستين المذكورتين فكرياً، والمساهمة في نشر العلم في اليمن بشكل عام.

١- محمد الجندي، السلوك، مصدر سابق،جـ١، ص٣٨٥.
٢- علي الخزرجي، العسجد المسبوك،ص ١٣٧.

٢ - مكتبة مسجد ذي أشرق:

تعد (ذي أشرق) من القرى المشهورة في تلك الفترة، ولعل شهرتها هذه تعود إلى من يدرّس بها، مثل الفقيه الكبير يحيى بن أبي الخير العمراني وغيره، وكانت مدرسته بالمسجد، وكان هذا الفقيه قد جمع كتباً كثيرة وكان أينما حلّ نقل كتبه معه لخوفه عليها[١]، وهذا ما يرجح أن كتبه هذه كانت في مدرسته بمسجد ذي أشرق.

ويذكر ابن سمرة في طبقاته أن الفقيه الزاهد مقبل بن محمد بن زاهر بن خلف الهمداني(ت/٥٧١هـ) بعد أن تفقه في كرمان على جماعة من أهلها ،رجع إلى اليمن وسكن بذي أشرق رغبة في الكتب الموقوفة بها لأنه كان قليل الكتب[٢]، وفي ذلك دليل على أن هذه الكتب الموقوفة إنما تكون في المسجد كعادة الأوقاف العلمية من كتب ومصاحف، وهذا ما يرجح أنها كانت بالمسجد المذكور الذي كان مدرسة للإمام الفقيه يحيى بن أبي الخير، ولعل كتبه قد آلت إلى تلك المكتبة وأصبحت جزءاً منها.

ونظراً لدور هذه المكتبة وموقوفاتها في نشر العلم، فقد قرر الفقيه المذكور أن يسكن ذي أشرق رغم أنه ليس من أهلها، ومما يدل على أهميتها وأهمية الدور الذي كانت تقوم به هذه المكتبة ما تحدث به ابن سمرة في راوية أخرى وبلهجة تدل على عظيم دور هذه المكتبة وعلى حسرته وحزنه، بأن هذه الكتب قد اغتصبت وتملكها من لا يستحقها، فهو يدعوالله بأن يخلصها منهم حتى يتمكن أصحاب العلم من الاستفادة منها[٣]في هذا دلالة أيضاً على أنها كانت في مكان عام كالمسجد أو خزانة ملحقة به.

ثانياً:المكتبات الخاصة:

نظراً لأهمية الدور الذي تقوم به المكتبات في عملية التعليم ونقل المعرفة والحفاظ على التراث العلمي، فقد عمد علماء وطلاب اليمن من كل الفرق والمذاهب على استجلاب الكتب ونقلها إلى اليمن إما بالشراء أو بالتبادل الفكري بين الفرق، أمثال القاضي لمك بن مالك الحمادي الذي نقل أكبر مكتبة للفاطميين في مصر إلى اليمن، إلا أن هذه المصادر لم تشر إلى مكان وجودها في اليمن، ولعلّ ذلك عائدٌ إلى الحرص والخوف على هذه الكتب من أتباع المذاهب الأخرى،التي تعمد إلى حرق وإتلاف كتب وتراث خصومها[٤].

والمصادر التاريخية تتحدث عن كتب ومكتبات تحتوي أنواعاً من الفنون العلمية المختلفة لدى إسماعيلية اليمن، ولعل هذه الكتب والمكتبات كانت في بيوت الدعاة والسلاطين الصليحيين، الأمر الذي جعل الباحث يعدها من المكتبات الخاصة.

١- محمد الجندي، السلوك، جـ١ ،ص ٢٩٧، ٢٩٨.
٢- عمر الجعدي، الطبقات،ص ١١٥؛ محمد الجندي، السلوك جـ١ ،ص ٢٧٥.
٣ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص٨١ -٨٢.
٤ - آغا بزرك الطهراني، النابس في أعلام القرن الخامس،ص ٤١.

ويعكس الاهتمام بالمكتبات في تلك الفترة ما وصل إليه حكّام الدولة الصليحية من مراتب في العلم، الأمر الذي جعل من منازلهم دوراً للعلم ونقل المعارف – خاصة علم التأويل – ومن هذه المنازل تخرج عدد من العلماء الإسماعيليين ، أمثال يحيى بن لمك الحمادي والذؤيب بن موسى الوادعي، ولا غرابة في ذلك، فقد كان في مكتبة القصر المستنصري بالقاهرة أربعون خزانة، بكل خزانة ثمانية عشر ألف كتاب[1]، كل ذلك يشير إلى أهمية الكتب ومكانتها لدى حكّام الدولة الفاطمية وولاتهم.

كما كان للمكتبات الخاصة الفضل في أن يتقن العالم الواحد أكثر من علم ويبرع فيه، فهذا الإمام زيد بن الحسن بن محمد الفانشي (ت/٥٢٨هـ) كان بارعاً في علم القراءات والتفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وأصوله وعلمي الكلام والحساب، ولعل ذلك عائد إلى ما تحتويه مكتبته من فنون العلوم، حيث بلغ عدد الكتب فيها ما يزيد على خمسمائة مجلد[2]،إذ عملت المكتبات على تحفيز العلماء وطلاب العلم على التعلم الذاتي.

ونظراً لأهمية المكتبات والكتب في عملية التعليم ،فقد كان بعض العلماء المعلمين ينقل كل كتبه معه إذا انتقل إلى مكان آخر، أمثال الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني، بحيث يتمكن طلابه من الاطلاع عليها ومعرفة ما تحتويه من علوم[3]، وكذلك كانت خزانة الفقيه أبي السعود بن زيد (ت/٤٨٥هـ) في جهران، وهي عبارة عن أقتاب (أوعية) مملوءة بالكتب، ولعل تركه لها في الأقتاب من أجل سهولة حملها إذا ارتحل، وكان هذا الفقيه يسمح لكل الطلاب الزيدية بارتياد مكتبته هذه والاطلاع على ما فيها من كتب[4].

و خلاصة القول إن المكتبات الخاصة والعامة كان لها أثر كبير في تنشيط الحركة الفكرية في تلك الفترة، كما أنها كانت من الأماكن التي تمكن طلاب العلم والعلماء من الحصول على العلم، فعن طريقها يتم حفظ ونقل المعارف لدى كل الفرق الإسلامية المتواجدة في اليمن، حيث كانت كل طائفة دينية أو فرقة تعمد إلى إخفاء كتبها خوفاً من الطوائف أو الفرق الأخرى والتي إذا ما ظفرت بهذه الكتب عبث بها وأتلفتها، الأمر الذي حد من انتشار المكتبات العامة لتقوم بدورها العلمي الكامل.

المبحث الخامس - الورش ومقار العمل:

إن الكثير مما كان يقدم للمتعلم في الكتاتيب والمساجد وغيرها من مؤسسات وأماكن التعليم الأخرى كان ينحو ناحية نظرية، لكن الحضارة والرقي ونهضة الشعوب لا تقوم على التعليم النظري فقط[5]، فكانت ضرورة الحياة تقتضي سد الحاجات الأساسية من المتطلبات العامة في

---

١ - أحمد المقريزي، الخطط، ص٤٠٨؛ أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر،ص ٥٩٥.
٢- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.
٣- محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ٢٩٧- ٢٩٨.
٤- مُسْلم اللحجي، التاريخ،ص ١٣١.
٥- فاروق حيدر،التعليم في اليمن في عهد بني رسول، مرجع سابق،ص ١٣٢.

مواجهة الحياة ومواكبة المتغيرات الطارئة، فيتم إشباع هذه الحاجات عبر التربية العملية ونقل الخبرات في مواقع العمل لكل الحرف والمهن اللازمة إلى الأجيال الناشئة من أجل أن تستمر عجلة الحياة ومسيرة البناء والتشييد[١].

ومن هذا المنطلق كان لزاماً أن تدرج هذه الأماكن ضمن أماكن التعليم التي قامت بدور ملحوظ في التعليم لمواكبة النهضة العمرانية والحضارية في تلك الفترة.

ومن خلال دراسة الباحث للأنشطة التجارية المتعددة، التي وجدت في ذلك العصر على امتداد الساحل اليمني الكبير، فقد تعددت فيه الموانئ لتصل إلى أكثر من عشرين ميناء عاملا في تلك الفترة،ليصبح أهل اليمن – عمال الموانئ – أصحاب مدرسة بحرية تزود التجار والبَّحَّارين بالمعلومات والإرشادات الموسمية حول حركة الرياح ومواعيد الحط والإقلاع والإرشادات الملاحية[٢].

وتعددت الطرق البحرية التي ربطت بين اليمن ومصر، فقد كانت تسير فيها السفن من الموانئ اليمنية صوب ميناء عيذاب[٣]، كما كانت السفن التجارية تبحر من ميناء عيذاب صوب موانئ اليمن وكان هنالك طريق تجاري بين ميناء عدن وميناء قوص[٤]، فكانت السفن تسير من ميناء عدن محملة بالسلع والدنانير العدنية التي كان يعاد سكها في قوص[٥].

كما وجد في أغلب هذه الموانئ ورش لتصنيع السفن وصيانتها، كل ذلك كان يتم عبر تبادل هذه الخبرة، ونقلها من جيل إلى آخر، وتطويرها بكل جديد.

وكان اليمنيون يصدرون إلى مصر والشام والعراق السلع التي يجلبونها من الصين، مثل الحرير والسروج والمسك والعود والفلفل والنارجيل والخولنجان والبسباسة والأبنوس والذبل والكافور والخيزران والقرنفل والثياب وأنياب الفيلة والرصاص القلعي[٦].

كما كانت هنالك مناجم لاستخراج الذهب في كل من شهارة وجبل صرواح[٧]، والفضة في كل من بني مجيد قرب باب المندب ومنجم حباب والأعبل في مأرب[٨]، وكان لون تراب ذهب هذه المنطقة شبيهاً بالزرنيج[٩]، كما ذكر المقريزي أن الدنانير العدنية كانت تشحن من عدن إلى قوص[١٠]، وهذا يدفع إلى القول بأن الذهب كان موجوداً في عدن أو كان يصل إليها من المناجم

١- سعيد إسماعيل علي، معاهد التعليم الإسلامي،ص ١٣٩.
٢- رياض زاهر، دولة حبشية في اليمن،ص ٢٦.
٣- أحد المراكز الفاطمية على البحر الأحمر في مصر والتي تجبى فيها الضرائب القادمة من موانئ اليمن والحبشة[خسرو، سفر نامة،ص ١٣١].
٤ - ميناء على الساحل الغربي للبحر الأحمر اشتهر في عهد الفاطميين بسك العملات فيه[أحمد المقريزي، إتعاض الحنفاء، جـ٣،ص ٩٣، ٩٤].
٥ - أحمد المقريزي، إتعاض الحنفاء، جـ٣، ص٩٣، ٩٤.
٦- محمد الإدريسي، نزهة المشتاق،ص ٥٤.
٧- مفرج الربعي، سيرة الأميرين الشريفين،ص ١٥٥.
٨- ابن دعثم، السيرة المنصورية، جـ٣، ص٦٩٠، ٧٢٠؛ إبراهيم المقحفي، مرجع سابق،ص ١٠٤.
٩ - يوسف بن المجاور، تاريخ المستبصر،ص ١٩٩.
١٠ - أحمد المقريزي، إتعاض الحنفاء، جـ٣،ص ٩٣، ٩٤.

اليمنية لتسك في مدينة عدن التي اشتهرت بوجود دار للضرب، ومن ثم كانت تصدر إلى مدينة قوص ليعاد سكها.

وفي زبيد وجدت دار لسك العملة،حيث ضرب الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي الدينار الملكي باسمه،وفي عدن وذي جبلة ضربت الدنانير باسم الملكة سيدة بنت أحمد،[1]

فكان ذلك يتطلب أعمالاً مهنية فائقة، ذكرها الهمداني في كتابه الجوهرتين العتيقتين في إحدى عشرة مرحلة تبدأ من تحديد الموقع لتنتهي في عملية السبك والتشكيل[2].

وفي مجال الصناعات الحرفية اشتهرت اليمن بالعديد من الصناعات، مثل الأدوات الزراعية[3] وصناعة الأدوات الحربية مثل السيوف والنصال (الجنابي) والرماح والدروع[4] التي كانت تصنع من الحديد والأخشاب، فيشترك فيها الحدادون والنجّارون[5].

كما اشتهرت اليمن بصناعة العطور بأنواعها خاصة في عدن[6]،وصناعة الحلويات والأغذية في كل من صنعاء و زبيد و صعدة والجند[7]

وكانت صناعة النسيج من أهم الصناعات الحرفية في اليمن، نظرا لحاجة المجتمع وتوفر المواد الخام الزراعية والحيوانية مثل القطن والحرير و الصوف والجلود[8] ومما اشتهرت به من المنسوجات الثياب بأنواعها والبرد(السحولية ،و المعافرية ،و الزبيدية ،و القدمية،و السعيدية)[9].

ولما كانت الزراعة من أهم مصادر الدخل لدى الدولة وعامة المجتمع اليمني في تلك الفترة، فقد أولوها جل اهتمامهم، فأنشئوا المدرجات وأجروا الأنهار التي تعد من المفاخر العظمى في تلك الفترة كنهر خنوة في وادي ظباء[10]، كل تلك الأعمال كانت تتم عن طريق خبرات فنية كبيرة وتعد بمثابة مدرسة علمية للآخرين.

كل ذلك يبين أن هذه الأعمال الفنية في تلك الأمكنة وما شابهها، قد أسهمت في تعليم أفراد المجتمع المهارات والحرف وكيفية الارتقاء بها، بالإضافة إلى دورها في زيادة دخل الفرد، ولذا عدت من مؤسسات التعليم، والعالم في تلك الفترة كان ينظر إلى نشر العلم وتعليمه للآخرين باعتباره فرضاً واجباً عليه وليس مهنة كسب، وعليه فهو مستعد لنشره وتبليغه في أي مكان وتحت أي ظرف.

---

١ ـ عمارة /الأكوع المفيد ،مصدر سابق،ص١١١، ١١٢.
٢- الحسن الهمداني، الجوهرتين العتيقتين،ص ١٣٢- ١٣٨.
٣- الشعبي، مدينة صعدة،ص ١٠٦.
٤- الحسن الهمداني، الإكليل،ص ٣٣٤.
٥- عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ١٣٨.
٦- التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة،ج ٨،١،٤ ،
٧- عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق،ص٢٣٤.
٨- يوسف بن المجاور،تاريخ المستبصر،ص٨٩.
٩- محمد المقدسي،مصدر سابق،ص٩٨.البكري،المسالك والممالك،ص٣٦٨،٣٦٥.يوسف بن المجاور،مصدر سابق،ص٨٩.
١٠- عبد الرحمن بن الديبع، قرة العيون،ص ٢٣١- ٢٣٢،ووداي ظبا من أعمال ذي سفال[الحجري،المجموع،جـ٢،ص٥٥١]..

المبحث السادس - منازل العلماء:

ومن أماكن التعليم التي كان لها دور بارز في سبيل نشر العلم والتعليم في اليمن: منازل العلماء، ويقصد بمنازل العلماء هنا مقر إقامتهم والتي وردت في المصادر بهذا اللفظ، ولعلها أعم من لفظ البيت، ولمَّا كان التعليم والتعليم في تلك الفترة غير مرتبط بمكان وزمان معينين، فإن منازل العلماء أو قصور الأمراء كان لها دور كبير ومشاركة واضحة في نشر العلم والتعليم، وفي هذا وجد الباحث أن منازل العلماء قامت بدور المدارس والمساجد في بعض الأوقات، وهو النوع الأول، والدور الثاني تمثل في تعليم وتربية الأبناء عن طريق والدهم الشيخ أو عن طريق أحد العلماء والأقارب.

ومن العلماء الذين فتحوا منازلهم لعامة الطلاب الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي، وهذا الفقيه وإن كان يدرِّس في منزله إلا أنه كان يدرِّس في مدرسته بمسجد الجند، ولعل تدريسه في دهليز بيته - كما تفيد الرواية - كان بسبب ضعفه في آخر عمره، أو نوع من الدروس الخصوصية لأصحاب المواهب من طلاب العلم، لأن حلقته ومجلسه بالمسجد كان كبيراً يحوي أكثر من ثلاثمائة طالب، وكثرة عددهم قد يكون سبباً في تخصيص بعض الدروس لبعض الطلاب[1].

وكتب التاريخ تروي أن المفضل بن أبي البركات أغاظه كثرة عدد طلاب هذا الفقيه وطلاب شيخه أبي بكر بن جعفر المحابي، فأعمل مكيدة بينهما،فكان يولي إمامة الجامع والقضاء لطرف على حساب إخلاء الطرف الأخر؛ وبذلك تمكن من زرع الفتنة بينهما حتى تفرقا وأصبحت بينهما منافرات،فخشي زيد من الفتنة ورحل إلى مكة وترك التعليم[2].

ولعل ذلك كان من أسباب اعتزاله وتدريسه في منزله، وما يريد الباحث أن يصل إليه هو أن منازل العلماء قامت بدور في عملية التعليم في تلك الفترة .

ومن العلماء من أقام بمنزله حلقات العلم والإقراء لبعض الطلاب جماعة وفرادى، أمثال الفقيه أسعد بن خير بن يحيى بن ملامس (ت/٥١٧هـ)، وممن أخذ عنه بمنزله في مشيرق أحاظة الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر العرشاني سنة (٥١٦هـ)، وكان العرشاني هذا يدرِّس في منزله أسوة بشيخه[3]، وفي ذلك إشارة إلى أن العالم كان يفتح منزله للفتوى فيستفيد عامة الناس.

ومن ما تذكره المصادر ويمكن اعتباره من أدوار المنازل، ما حصل في منزل الفقيه عمارة، حينما نزل عليه العلامة أحمد بن أحمد بن الحاسب ضيفاً وهو في طريقه إلى الحج، فكان عمارة يقرأ عليه الفرائض بالليل وحروف أبي عمرو بن علاء في النهار[4].

والدور الثاني للمنازل يتمثل في تربية وتعليم الأولاد، إما عن طريق الأب أو الأخ أو غيرهما من الأقارب، فكان كثير من العلماء الذين سما ذكرهم في هذه الفترة قد تلقوا تعليماً خاصاً

١- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٣ ؛ محمد الجندي، السلوك، ج١،ص ٢٦٧.
٢ ـ محمد الجندي ،المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٣- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١ ص٢٥٠، ٣٠٤.
٤- عمارة/ كاي،المفيد،مصدر سابق،ص٢١٤.

في منازل آبائهم أو أقاربهم قبل التعليم المسجدي أو غيره، فكثير من الأسر ظلت تحتفظ بالعلم في أبنائها ويتوارثون ذلك كابراً عن كابر، كأسرة آل أبي عقامة في زبيد ،وأسرة آل ملامس وآل الهيثم، وأسرة آل أبي الرجال في هجرة ذيبين وغيرهم، وفي ذلك دليل على ما تقوم به منازل العلماء من دور في سبيل نشر العلم والتعلم في تلك الفترة، ومن أمثلة ذلك: أسعد بن خير بن يحيى بن ملامس وأخيه محمد بن أسعد اللذان تفقها على أبيهما في منزله[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة، وما يمكن الإشارة إليه هو أن تربية العلماء لأولادهم كانت تمثل همّهم الأول، ولم يسجل التاريخ أن عالماً أو فقيهاً أهمل ولده عن العلم والتعليم، كل هذا يشير إلى دور كبير كانت تقوم به منازل العلماء.

وقد كان بعض المعلمين من الفقهاء والعلماء الذين يعلمون في منازلهم ينفقون على أنفسهم ويرفضون أي أجر أو هبة مقابل هذا التعليم ، سواءً أكانت من الطلاب أو من غيرهم، فهذا العلامة عبد الملك بن محمد بن ميسرة (ت/ ٤٩٣هـ) يلقي دروسه في منزله بعدن ثم الجند والجوة، وحينما دُعي إلى مَنزل أحد مشايخ بعدان أجاب رافضاً:

مَنْزِلِي مَنْـزِلٌ رَحِيْـبٌ أنِيْـقٌ   فِيْهِ لِيْ مِنْ فَوَاكِهِ الصَّيْفِ سُوْقُ[2]

وفي هذا إشارة واضحة إلى عزوف العلماء عما في أيدي الأمراء، وإنفاقهم على أنفسهم، وعدم تقاضي أي أجور من طلابهم أو من غيرهم.

أما عن منازل العلماء (الدعاة)الإسماعيليين فمن المرجح أنها كانت تقوم بدور لا يقل أهمية عن بقية منازل العلماء من المذاهب الأخرى في أغلب الأوقات، وكل ما تشير إليه المصادر المتاحة حول ذلك أن الداعي فلاناً قد تلقى تعليمه في مدارس الدعوة باليمن، أو سمع وقرأ على دعاة اليمن، أو أرسل إلى جزيرة اليمن وقام بدورمهم في سبيل نشر الدعوة فيها، كل ذلك يوحي بأن منازل الدعاة كانت تمثل محطة علمية هامة في نشر العلم والتعليم – المذهبي – خاصة في دور الستر، ولعل ذلك التكتم والسرية على أماكن التعليم هو ما يوجد في منهج هذه الفرقة من آراء وأفكار باطنية، لا توافق آراء عامة الناس كما هو الحال مع بقية المذاهب.

وكذلك اعتمادهم في الكثير من القضايا العقائدية والسياسية على مبادئ المذهب الفلسفي الأفلاطوني[3]، وذلك ما لا يتوافق مع معتقدات عامة اليمنيين، الأمر الذي جعل مناهجهم ومدارسهم حبيسة البيوت والكهوف.

المبحث السابع: قصور السلاطين والأمراء:

تعد قصور الأمراء والسلاطين من أماكن التعليم المهمة التي كان يرتادها الكثيرون من الأدباء والشعراء والمؤدبين، خاصة في غياب المدارس النظامية، فكان يتردد عليها الأدباء

١- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص٢٦٦، ١٠٠.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ٩٩ ؛الطيب با مخرمة،قلادة النحر، مصدر سابق جـ ٢ ،ص ٢٠٩٠-٢٠٩١.
٣- يوسف حوالة، الحياة العلمية في إفريقيا، جـ٢،ص ٣٤٤.

والشعراء بقصد المدح والعطاء، ويُستقدم إليها المؤدبون والعلماء من أجل تربية أبناء السلاطين والأمراء.

ومن قصور الأمراء التي كانت تقصد من قبل الشعراء والأدباء في هذه الفترة، قصور أمراء بني الصليحي، حيث كانت مراكز علمية في الأدب والشعر وكذا الفقه والتأويل الباطني، فهذا منزل الشيخ محمد الصليحي يشهد أطول عملية تعليمية على يد الداعي سليمان بن عبدالله الزواحي ،حيث ظل في زيارات تربوية وتعليمية سرية لعلي بن محمد الصليحي دون علم أبيه، خاصة ما يخص علم التأويل والباطن والمذهبية، حتى أصبح علي ضليعاً في علم التأويل والتنزيل وأسندت إليه أمور الدعوة سراً، وما كان ظاهراً هو التعليم العام في الأدب والتاريخ فقط[١].

وعلى الطريقة نفسها تولى الملك علي بن محمد الصليحي نشر أمور دعوته وعقد ألوية جيوشه ورسم سياسات دولته من داخل منزله، كما كان يعقد مجلساً للتأويل وشرح آراء الأئمة الإسماعيليين، وقصد منزله الشعراء والأدباء، وشهد الأمر نفسه دار العز بذي جبلة أيام الملكة سيدة بنت أحمد، حيث كان يجلس فيه كبار الدعاة ويأخذون عنها علومهم، وإليها يسير الشعراء لنيل مطالبهم نظير ما تفيض به قرائحهم الشعرية[٢].

وكذلك كان منزل المفضل بن أبي البركات ومن قبله سبأ بن أحمد الصليحي،فكانوا يبالغون في العطاء لمن يكون شعره أبلغ وأقوى، فقُصِدت منازلهم من قبل شعراء اليمن ومصر والعراق، خاصة من يتعرض لمدح الأمراء والأئمة الإسماعيليين[٣].

كما شهدت قصور الأمراء من بني زريع في عدن إقبالاً كبيراً من قبل الشعراء، وما يذكر عنهم أنهم كانوا يعطون عطاء من لا يخشى الفقر، لكل من وفد إليهم مادحاً إياهم أو أئمتهم النزاريين[٤].

ولا غرابة في ذلك، فلهم في الإمام المستنصر قدوة؛ حيث كان قد أسند أمور الدعوة إلى المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي نظير ديوانه الشعري، الذي امتدح فيه الأئمة وبالغ في وجوب طاعتهم فقال:

وَهُـمْ أولـو الأمْرِ أئِمَّةُ الهُدَى   عِصْمَةُ مَنْ لاذَ بِهِمْ مِنَ الرَّدَى
مَفْرُوضَةٌ طَاعَتُهُمْ عَلَى الأُمَمْ   قاطِبَةً مِنْ عَـرَبٍ وَمِـنْ عَجَـمْ[٥]

وإلى المؤيد في الدين[١] تنسب مجالس التأويل، وتسمى أحياناً بالمجالس المؤيدية، وغالباً ما كانت تعقد في مجالس وبيوت الأمراء والسلاطين، أمثال علي بن محمد الصليحي والملكة سيدة بنت

١- عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق،ص٥٩- ٦٠ ؛ إدريس الأنف،العيون، مصدر سابق، جـ٧، ص١٧؛عبد الرحمن بن الديبع، قرة العيون،ص٢٢٥- ٢٢٦.
٢ - عمارة/كاي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٣- مصطفى غالب، الأعلام، ص٦٠٠- ٦٠١ ؛ إبراهيم الشيرازي، الديوان،ص٦٦١.
٤- عبد الرحمن بن الديبع، قرة العيون،ص ٢٢٥- ٢٢٦.
٥ - مصطفى غالب، الأعلام،ص٦٠١.

أحمد الصليحي، كما كانت تعقد في قصور بني زريع في عدن، وأشهر هذه القصور قصر الداعي محمد بن سبأ وولده عمران بن سبأ.

يتضح للباحث من خلال المصادر التي اطلع عليها أن قصور أمراء وسلاطين اليمن في فترة حكم بني الصليحي كانت مراكز علمية تؤدي دورها في نشر العلم والتعليم في مجال الأدب واللغة، وغيرها من العلوم الأخرى كعلم التأويل لدى الإسماعيلية.

المبحث الثامن: مدرسة الدعوة الإسماعيلية:

لم تشر المصادر المتاحة إلى وجود مدرسة علمية مستقلة كما حدث في عصر بني أيوب لاحقاً، وإنما يفهم وجودها كمدرسة فكرية من خلال السياق العام لبعض الأحداث، منها أنه لما أوفِد الداعي هبة الله الشيرازي (ت/٤٧٠هـ) إلى اليمن، كان من أهداف زيارته إلقاء بعض الدروس في مدرسة الدعاة والإشراف على تنظيم بيت الدعوة الإسماعيلية[٢].

من هنا يمكن القول بأنه كانت هناك مدرسة دعوية، إن لم تكن مدارس عدة في كل الأماكن التي يسيطر عليها أو يوجد بها الإسماعيليون في اليمن.

ولكن المصادر التاريخية لم تصرح بوجود هذه المدارس، ولعل ذلك يرجع إلى نظرة المجتمع اليمني الحذرة إلى أفكار ومعتقدات الإسماعيلية، الأمر الذي جعل الإسماعيليون يخفون أماكن تعليمهم من مدارس وغيرها.

المبحث التاسع - تعليم المرأة:

انطلاقاً من قواعد الإسلام التي تسوي المرأة بالرجل في مبدأ حق التعليم والتعلم، كان لابد من وجود متعلمات في هذه الفترة ،غير أن المصادر التي تحدثت وأرخت لذلك العصر لم تتحدث عن وجود مدارس خاصة لتعليم المرأة، وما ذكر فيها هو أن تعليم المرأة كان يتم غالباً في بيوتهن وخاصة بنات العلماء والأمراء والسلاطين، والذي كان يتم إما عن طريق أهلهن أو على أيدي علماء ومؤدبين يتم استقدامهم لهذا الغرض وخاصة في مراحل الطفولة[٣].

والأمر نفسه ينطبق على الدعوة الإسماعيلية التي اهتمت بتعليم نساء الأسرة الحاكمة ، فأولتها جل اهتمامها حتى بلغن مراحل متقدمة في العلم والسياسة والإدارة، وكل ذلك كان يتم داخل بيوت الأمراء والدعاة الإسماعيليين،ومن أمثلة ذلك ما وصلت أليه أسماء بنت شهاب والسيدة بنت أحمد الصليحي من مراتب عليا في العلم والسياسة[٤].

---

١ - المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داوود الشيرازي لسلماني،أبو نصر،داعي الدعاة: من زعماء الإسماعيلية وكتابها [خير الدين الزركلي،الأعلام،جـ١٢،ص١٤٤].
٢- مصطفى غالب،الأعلام، مصدر سابق،ص ٢٣٧.
٣- عبدالله الحبشي،معجم النساء اليمنيات،ص ٢٢.
٤- مصطفى غالب ،الأعلام،ص٣٤٥،٣٤٦.

وتعليم النساء في تلك الفترة كان مقصوراً على الفئة الغنية وأصحاب الوجاهة من العلماء والسلاطين، أما بقية نساء المجتمع اليمني فلم تتيسر لهن فرص التعليم إلا في أضيق الحدود، لأن الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للشعب اليمني حالت دون تعليم النساء(١).

كما تركز تعليم النساء في المناطق الأكثر وعياً كزبيد وحراز وجبلة وعدن، لتوفر القدرة المالية وزيادة الوعي الحضاري لدى سكان هذه المناطق سيما الإسماعيليين وبني نجاح، حيث تشير المصادر إلى أن نساء وحرائر بني نجاح وبني الصليحي بلغن مراتب متقدمة في العلم والسياسة(٢).

وإلى جانب عمل المرأة في السياسة والإدارة، فقد كانت تمارس مهنة التعليم، فهذه أسماء بنت شهاب تتولى تربية وتأديب وتدريس الملكة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحي في قصر زوجها ومولاها علي الصليحي(٣).

وتولت الملكة سيدة تدريس وتربية العلماء والدعاة الإسماعيليين في قصرها بذي جبلة، فقد كان قصرها (دار العز) أشبه بمدرسة علمية ذات أهداف متعددة(٤).

والخلاصة أن تعليم المرأة كان محصوراً في بيوت الأمراء والسلاطين والعلماء، وإن بلغت مراحل متقدمة في العلم كما حصل للملكة سيدة بنت أحمد الصليحي حيث بلغت مرحلة الحجّية،فهي حالة فردية نادرة كونها زوجت الملك لا تعمم .

و كان للعوامل الاجتماعية والثقافية الأثر الكبير في تعليم المرأة سلباً وإيجاباً، ففي المدن الساحلية والمتصلة بالخارج سادت فيها التقاليد التي تسمح بتعليم المرأة وخروجها للعمل، بالإضافة إلى الوفرة المادية التي وجدت بهذه المدن، وكثرة الإماء والعبيد فيها، الأمر الذي سمح بتفرغ النساء الحرائر من الواجبات المنزلية.

أما التأثير السلبي فقد كان واضحاً في المدن والقرى الداخلية والبعيدة عن مصادر الحراك الفكري والاتصال الخارجي، حيث سادت هذه المناطق: قلة العلم والنشاط العلمي ووجود العلماء بشكل واضح ،وذلك بسبب الأعراف والتقاليد السائدة التي لا تسمح بتعليم المرأة وتحملها الكثير من أعباء الحياة، بالإضافة إلى فقر هذه المدن وساكنيها؛ كل هذا أدى إلى وجود ظروف غير مناسبة لكي تتمكن المرأة من تعليمها.

المبحث العاشرَ: التمويل والإدارة:

يقصد الباحث بمصطلح التمويل هنا: ما يخصص للمؤسسات التعليمية من أموال، أو مواد عينية أو غيرها من الحاجيات التي تساعدها على أداء مهمتها.

كما يقصد بالإدارة التعليمية: الإشراف على المؤسسات التعليمية وأماكن التعليم وتنظيم عملية التعليم بها، والمحافظة عليها وعلى طلابها ،وتوفير ما تحتاجه من أجل إتمام العملية التعليمية .

١- فاروق حيدر،التعليم في عهد بني رسول،مرجع سابق،ص ١٤٤.
٢- عمارة/ كاي، المفيد،مصدر سابق،ص ٧٦، ٩٨.
٣- عمارة/ كاي، المصدر السابق،ص ٩٧ ؛ إدريس الأنف، عيون الأخبار، جـ٧،ص ١٥٢.
٤- عمارة/ كاي، المصدر السابق،ص ٧٦.

ويتمثل دعم الدويلات التي حكمت اليمن في تلك الفترة في دعم مؤسسات واماكن التعليم التابعة لها مذهبياً ،ورعايتها لطلابها وعلمائها ،ودعمهم بما يحتاجونه من متطلبات التعليم كالكتب والأموال والبعثات العلمية من اليمن وإليها، ومن أمثلة ذلك ابتعاث القاضي لمك بن مالك الحمادي إلى مصر واستقدام العلماء لذلك الغرض استقدام الداعي هبة الله الشيرازي (تـ/ ٤٧٠هـ) عام (٤٦٦هـ) من أجل ترتيب مدرسة الدعوة ،ثم الداعي ابن نجيب الدولة[١] وفي الاتجاه نفسه كان دعم الأمراء من بني نجاح والأئمة الزيديين ،فكلٌ يدعم من ينصر مذهبه ويؤازر دولته.

واقتصر دعم الدولة الصليحية لمؤسسات التعليم الخاصة بالمذاهب الأخرى في السماح لهم بإنشاء المساجد والتعليم فيها، وإنشاء بعض المدارس مثل مدرسة الصحيحين بذي جبلة، وتقريب بعض العلماء من أجل تولي القضاء أحياناً[٢].

كما تمثل دعم الدولة في تمويل التعليم فيما قدمه أمراء بني نجاح في زبيد، حيث كان أغلبهم محباً للعلم والعلماء، مثل الوزير منّ الله الفاتكي (تـ/ ٥٢٢هـ)، ومن قبله الملك جياش بن نجاح (تـ/ ٤٩٨هـ)، فهؤلاء قد أنفقوا على أهل المدارس(السنية) ما أغناهم عمن سواهم، حيث بلغ إجماليٍّ ما يدفعونه من مالية الدولة في كل عام اثنا عشر ألف دينار[٣]،.

ورغم ذلك الدعم إلا أنه كان محدوداً، الأمر الذي جعل العلماء والمدرسين يفكرون في مصادر بديلة للتمويل الدائم والمستمر، فوجدوها في الأوقاف العامة على أماكن العلم وأهله، والتي تعد العمود الفقري للمدارس والمؤسسات التعليمية من أجل بقائها وضمان استمرارها في أداء رسالتها[٤]، خاصة المساجد التي لا تزال تؤدي دورها معتمدة على هذه الأوقاف إلى الآن.

وقد ساهم بعض الوجهاء ببناء المساجد ومن ثم تخصيص وقفيات تصرف على إصلاحها وعلى رعاية من يأتي إليها من طلاب العلم، فهذا أبو الدُّر جوهر بن عبد الله المعظمي (تـ/ ٥٧٠هـ) كان قد بني مسجداً في عمق[٥] ثم وقف عليه وقفاً عظيماً يكفي جميع الطلاب فيه، وكذلك أوقفوا على هذه المساجد ما يساعد على نشر العلم فيها من كتب ومصاحف[٦].

كما ساهم بعض الأمراء والملوك في تخصيص بعض الأوقاف لمصلحة بعض المؤسسات العلمية، فهذه الملكة سيدة بنت أحمد بلغ إجمالي ما أوقفته من الأموال على الجامع الكبير في جبلة حوالي ألف لبنة[٧] في حين أوقف الوزير منّ الله الفاتكي على مدارس زبيد ما يغنيهم من الأراضي والرياع[٨].

١- إدريس الأنف،العيون، مصدر سابق، جـ٧، ٩ .
٢- عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ٦٤ ؛ ابن الديبع، مصدر سابق،ص ٢٢ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٢٣٤، ٣٠٨ ، إدريس الأنف، المصدر السابق، جـ٧،ص ٢٢.
٣ - عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ١٤٦.
٤- فاروق حيدر،التعليم في اليمن، مصدر سابق،ص ١٣٩.
٥- عمق، ويقال عمقه عزلة من مخلاف عمار وأعمال النادرة[محمد الحجري، مصدر سابق، جـ٣،ص ٦١٢].
٦ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٣٨٣، ٣٨٦.
٧ - حسب إفادة إمام الجامع،أثناء زيارة الباحث الميدانية إلى جبلة.
٨ - عمارة/ كاي،المفيد،مصدر سابق،ص ١٢٦- ١٢٧.

وإلى جانب الأوقاف العامة للحكام والأمراء كانت هناك مساهمات وقفية لبعض أهل العلم ، فمنهم من يتولى إقامة مسجده بنفسه، ثم يتولى الإنفاق على من يأتيه من طلاب العلم طوال مدة بقائهم لديه، أمثال ابن عبدويه المهروباني والعلامة زيد اليفاعي، إما من خراج أرضه أو من عائدات تجارته أو مما يأتيه من التجار بحكم علاقته بهم كهبات أو نذور حيث بلغ عدد الطلاب الذين تولى الإمام زيد الإنفاق عليهم أكثر من ثلاثمائة طالب نفقة وكسوة[١]ومنهم من خصص أمواله وقفا يصرف على أماكن التعليم لكي تقوم بدورها في خدمة العلم والمجتمع أمثال أبي الدر المعظمي ويحيى بن أبي الخير العمراني [٢].

هذا إلى جانب مساهمة المجتمع في تقديم المساعدات والهبات والعطايا للطلاب، أو تقديمها للمعلم، وهو يقوم بدوره في تولي الإنفاق على طلابه، ومن أمثلة ذلك ما كان يقدمه أهل وصاب[٣] في قرية كونعة من غذاء ونفقة على طلاب الفقيه أحمد بن يوسف بن موسى التباعي(تـ/٥٦٠هـ) وأخيه موسى بن يوسف(تـ/بعد٥٦٠هـ)[٤] وخاصة أسرة بني عبد الوهاب[٥] حيث كانت تتولى إعانة كل من يأتي إلى هذه القرية من طلاب العلم والعلماء.

أما بالنسبة للإدارة التعليمية لهذه المؤسسات فهي في مجملها مؤسسات شبه خيرية، لا تنطبق عليها الصفة المؤسسية الحديثة من إدارة ومنهج وغيره، فهي إما مسجد ،أو كتّاب تعليم الصبيان ،أو منزل ،أو ورشة عمل تكتسب شهرتها وصفتها التعليمية من شهرة الشيخ الذي يسكنها أو يبنيها أو يدرس فيها، والذي إليه يرجع الأمر في تحديد منهجها، ومن ثم إدارة شؤونها والإشراف على ما يصلح أمور طلابها في أغلب الأحيان، ومن أمثلة ذلك مدرسة ابن عبدويه المهروباني في جزيرة كمران، وقد تتلاشى هذه المؤسسة أو القرية العلمية بموت العالم أو رحيله أحياناً[٦].

١ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٢٠، ١٤٧.
٢ـ محمد الجندي ،المصدر السابق،جـ١ص ٢٩٧،٢٩٨،٣٨٣،٣٨٦ .
٣ ـ بلد واسع في الغرب الجنوبي من صنعاء،مقسوم إلى قسمين :وصاب العالي ووصاب السافل[الحجري،المعجم،جـ٢،ص٧٦٧].
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٨٦، ١٩٨ ؛ عبد الرحمن الوصابي، تاريخ وصاب،ص ١٦٥- ١٦٧.
٥- أسرة اشتهرت بالعلم والعلماء ودعم مؤسسات التعليم، سكنت قرية كونعة من مخلاف وصاب.
٦ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٩ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١، ص٢٨٠.

الخلاصة:

وخلاصة القول: أن المساجد كمؤسسات علمية رائدة في تلك الفترة، كان التعليم والتعلم فيها يتميز بالحرية، ولا تخضع لأية قيود، فكان كل شيخ أو عالم يدير حلقته التي يقيمها وهو من يحدد منهجها وبقية أمورها، وأن دور الدولة المركزية كان مقتصراً في إشرافها على مؤسساتها الخاصة بالدعوة الإسماعيلية وكذلك الدولة النجاحية كان إشرافها على المؤسسات السنية التابعة لها في زبيد وما جاورها، والمذهب الزيدي تولى الإشراف على الهجر العلمية التابعة له في المناطق التي يتواجد فيها،وعليه يمكن القول بأن إنشاء وتمويل وإدارة مؤسسات وأماكن التعليم كانَ على أساس مذهبي في تلك الفترة.

وفيما يتعلق بإدارة المؤسسات التي أنشئت على أساس مذهبي فإن أمر إدارتها يعود إما إلى أصحاب المذهب الذي تتبعه ،أو الذي شرط الواقف أن يكون التعليم في إطاره ، كهجر العلم التي نشأت بعد افتراق الزيدية إلى مطرفية ومخترعة، فإلى أصحاب هذه الآراء كانت ترجع إدارة هذه المؤسسات وأماكن التعليم وتحديد معلميها وكذلك مناهجها، كهجرة وقش وهجرة سناع للمطرفية، وجوب وحيط عمران للمخترعة وكلتاهما من الزيدية[1].

وكذلك هي المؤسسات التابعة للفرقة الإسماعيلية، فإن إدارتها وتمويلها وترتيبها يعود إلى المشرف الأول على لدعوة الذي هو الحاكم أو الإمام، فهو من يعين ولاتها ومدرسيها[2]أو يكون الداعي أو من يقوم مقامه

وهكذا يتبين أن الوقف في عصر الدولة الصليحية يعد من أهم مصادر التمويل للمؤسسات التعليمية، سواء أوقفه الحكام أو الأمراء أو العلماء أو الخَيِّرُون من أبناء المجتمع اليمني، إضافة إلى المعونات والمساعدات والنذور التي تأتي من الميسورين من أبناء المجتمع أو العلماء المعلمين أنفسهم على تلك المؤسسات.

---

١ - إبراهيم بن القاسم، مصدر سابق، جـ٢، ص، ٧٢٦ ؛ مسلم اللحجي، تاريخ مسلم،ص ٢٢٢.
٢ - إدريس الأنف، مصدر سابق، جـ٧،ص ١٥٢.

الفصل السادس

أوضاع المعلمين والمتعلمين

وطبيعة العلاقة بينهما

المبحث الأول : معلمو الكتاتيب والمؤدبون.

المبحث الثاني: معلمو المراحل العليا.

المبحث الثالث: الأوضاع المادية للمعلمين.

المبحث الرابع: الأوضاع الاجتماعية للمعلمين .

المبحث الخامس: أحــوال الـمتـعلمـيـن.

تمهيد.

تعد فئة المعلمين وطلاب العلم من أهم فئات المجتمع وأكثرها عدداً وتأثيراً فيه، فالمعلمون لهم قوة تأثير في التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية التي تحدث داخل المجتمع.

وبالرغم من اشتغال المعلمين وتلاميذهم على مختلف مستوياتهم وفي معظم أوقاتهم بطلب العلم وارتياد مجالسه وحلقاته المختلفة، وانشغال البعض منهم بالتصنيف والقراءة والمتابعة، إلا أن هذا لم يكن حائلاً دون اتصالاتهم بالمجتمع من حولهم والسعي في كسب أرزاقهم القيام بواجباتهم الأسرية والمجتمعية بدأ بطلابهم ثم مع أقرانهم العلماء المعلمين ثم مع أبناء المجتمع ومع السلطة الحاكمة، الأمر الذي جعل منهم المحرك الفعلي في بناء المجتمع وخدمة أبناءه.

وقد كان ولا يزال المعلمون في المجتمع الإسلامي يتبوءون المكانة المرموقة، حيث أصبحوا محل احترام الخاصة والعامة لمت يبذلونه من جهود في تربية الأجيال، ولما يحملون من علوم هي محل احترام الجميع.

وسيتناول الباحث في هذا الفصل أوضع المعلمين والمتعلمين وخصائصهم المهنية والعلمية وأحوالهم المادية وعلاقاتهم المختلفة، ومدى تأثير العوامل المجتمعية على كل من المعلمين والمتعلمين ودورهما في نشر العلم والتعلُّم وذلك من خلال المباحث التالية:.

المبحث الأول :معلمو الكتاتيب والمؤدبون :

يقصد بهم كل من مارس مهنة التعليم وهي تشمل معلمي الكتاتيب والعلماء المتخصصين، على الرغم أنه لم يكن يوجد فواصل بين العلماء والمدرسين، حيث كان الجميع يعمل من أجل تثقيف الناس وتعليمهم بشتى الطرق والوسائل المتاحة[١]، كما يدخل ضمن المعلمين الدعاة[٢] وأرباب الحرف والمهارات الفنية ويمكن توضيح مهمة كل منهم من خلال مايلي:

أ- معلمو الكتاتيب:

تذكر المصادر التاريخية: أن معلم الكتّاب يسمى بالمعلّم ثم يليه معلّم القرآن والمؤدب[٣]، وبحكم عمله في تعليم الصبيان وتربيتهم فهو أشبه بمعلّم الابتدائية في العصر الحديث[٤] مع فارق المواصفات الأخرى.

و أهم خصائص ومؤهلات معلّم الكتّاب: أن يكون حافظاً للقرآن الكريم، جيد الخط، على علم بأصول الحساب، لديه خبرة بالنحو والشعر ويحفظ بعض الأحاديث النبوية وعارفاً بفقه العبادات[٥].

أما عن وسائل إعداد وتأهيل معلمي الكتاتيب، فلم تذكر المصادر التاريخية أي تفاصيل عنها، والمحتمل: أن معلّم الكتّاب كان يكتسب علومه ومهاراته على أيدي العلماء في المساجد أو بيوت العلماء والدعاة(الإسماعيليين).

ولما كانت المكاتب أو الكتاتيب ملحقة بالمساجد نظراً للحالة الاقتصادية المتردية في تلك الفترة – خاصة المناطق الشمالية[٦] – والتي كان يتم بناؤها والإنفاق عليها من قبل الأغنياء والعلماء والسلاطين ثم يخصصون أوقافاً لهذه الكتاتيب والمساجد ومن يعلّم بها كي تقوم بدورها العلمي[٧]، وهذا ما جعل معلمي الكتاتيب يعيشون ميسورين مادياً وخاصة في المدن والقرى والهجر العلمية المشهورة.

أما معلم كتاتيب المناطق الريفية والبعيدة، فإن وضعهم أصعب من هؤلاء؛ لما بهذه المناطق من فاقة وفقر.

وعن الوضع الاجتماعي لمعلمي الكتاتيب فإنه يشبه وضع المعلمين والعلماء بوجه عام في عموم المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، الذي استمد من وضع المعلّم الأعظم سيدنا محمد ﷺ، حيث كان محل احترام وتقدير الجميع سواءً أكان معلم كتّاب أو معلم مرحلة عليا في عموم أوساط المجتمع الذي يحترم عمل المعلم أياً كان نوعه[٨].

---

١ - أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،ص١٢٥.
٢- المقصود بالدعاة ، هم الدعاة الإسماعيلية الذين يمارسون عملية التعليم وفق شروط ومواصفات سيأتي ذكرها لاحقاً.
٣ - محمد الجندي، السلوك، جـ٢،ص ٥٠٦.
٤ - فاروق حيدر،التعليم في اليمن،مصدر سابق،ص ١٤٩.
٥ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ٢،ص ٣.
٦ - مسلم اللحجي، التاريخ،ص ١٧٩، ١٨٠.
٧- مسلم اللحجي، التاريخ،مصدر سابق،ص، ٣٣٤، ٣٣٥
٨ - عبدالغني عبود، في التربية الإسلامية، ص، ٢٣٢.

ب- المؤدبون.

هم فئة من العلماء كانوا يقومون بتعليم وتأديب أولاد الخاصة من الأغنياء والحكام في منازلهم، ويختارون من بين المشهورين بالعلم والأدب والنجابة والخلق الحميد(١).

ولم يكن المؤدب خاصاً بتعليم القرآن والأدب واللغة فقط ، وإنما كان يعلم علوماً أخرى تشمل قواعد الأخلاق، والسلوك، واختيار المذهب، وما ينبغي أن يتعلمه أولاد الملوك والأمراء من علوم السياسة، والفروسية، وأدب الحديث، والخطابة(٢).

وفي الفترة موضوع الدراسة تروي كتب التاريخ أن السلاطين والملوك من بني الصليحي وبني نجاح كان لأولادهم مؤدبين،أمثال إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الراعي (ت/٤٨١هـ) الذي كان مؤدباً لأولاد الصليحيين(٣) وكذلك فعل جياش بن نجاح(٤).

وعليه يمكن القول أن المؤدب معلم خاص من أبناء المجتمع يتم اختياره من قبل أولياء أمور المتعلمين.

المبحث الثاني: معلمو المراحل العليا:

ظهر في اليمن خلال الفترة موضوع الدراسة عدد كبير من المعلمين المتخصصين في العلوم المختلفة، فأجادوها تعلُماً وتعليماً.

والمعلمون العلماء هم الأساتذة المتخصصون الذين يقومون بتدريس علم أو أكثر من العلوم الدينية، كالتفسير والحديث والفقه، أو اللغوية، كالنحو والأدب، ويطلق عليهم لقب الشيوخ أو المدرسين أو العلماء أو الفقهاء(٥)، وهؤلاء أصحاب دور ومكانة في المجتمع(٦).

وفي تلك الفترة لم يكن هناك نظام خاص لإعداد معلم المرحلة العليا، ولكن كان الإعداد العلمي للطلاب والمعلمين من مهام المشائخ والعلماء الذين يقومون بالتدريب العملي على ذلك ومن ثم منح الإجازات العلمية للطلاب، والذي بموجبها يسمح للطالب أن يكون معلماً ومدرساً نيابة عن شيخه في علم من العلوم، وبدون الإجازة لا يستطيع الطالب القيام بمهمة التعليم ولا يجد الطلاب وأولياء أمورهم الرغبة في الإقبال على معلّم لم ينل الإجازة بعد(٧).

وكان معلمو المرحلة العليا ينقسمون إلى قسمين:

- **القسم الأول:** هم من لم يتفرغ للتدريس، وإنما كان تدريسه عارضاً أو يأتي من كونه في مكان الصدارة من الدولة، فبحكم مكانته كان يُعلّم ما يرى أن الناس في حاجة إليه وكان في صدارة هذا القسم أغلب الدعاة الإسماعيليين الذين تبوءوا مراكز علمية وسياسية في تلك الفترة، وفي مقدمتهم

١ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،ص ٣٥؛ محمد الإدريسي، دراسات تراثية في التربية الإسلامية،ص ١١٣.
٢ - علي الخزرجي، العقود اللؤلئية، جـ١،ص ٢٢٣٤.
٣- مسلّم اللحجي، التاريخ، ص ٢٥.
٤- عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق، ص١٠٢؛ ابن الديبع، مصدر سابق،ص ٢٤٥-٢٥٠.
٥- محمد الإدريسي، مصدر سابق،ص ١١١، ١١٣، ١١٥.
٦ - عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية،ص ١٠٨.
٧ - الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية،٣٢٥؛ ابن كثير، الباعث الحثيث،ص ١٢١.

الداعي علي بن محمد الصليحي وولده المكرم أحمد ثم أغلب الدعاة والولاة أمثال لمك بن مالك الحمادي والداعي سبأ بن أحمد الصليحي(١)، حيث كانت مناصب الدولة السيادية لا يتولاها إلا من له دراية وعلم كبيرين، فكان تعليمهم للناس من خلال خطبهم وأحكامهم وفتواهم وقراءاتهم للسجلات والكتب الواردة من الدولة المركزية في مصر.

ومن هذا القسم من العلماء والفقهاء من تولى القضاء أو الإمارة إما للدولة النجاحية في زبيد أو الصليحية ثم الزريعية في ذي جبلة وعدن أمثال: أبى محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة الذي تولى منصب القضاء للصليحيين ثم النجاحيين في زبيد ومن خلال منصبه هذا مارس التعليم والتربية إما في معاملاته أو في خطبه المشهورة "بالعقاميات"(٢).

ومن هذا القسم أيضاً من لم يكن تعليمه عارضاً ولا كان مشغولاً بالحكم أو القضاء، إلا أنه لم تكن لديه حلقات أو مجالس علمية دائمة، ولم يكن مقتصراً على التعليم وهؤلاء كثير أمثال الشعراء والأدباء من بني الربعي(٣)، والمؤرخ العلامة مسلّم اللحجي الذي تعلم أغلب تعليمه في المرحلة العليا على عدد من العلماء والمشائخ ولم يجلس في حلقاتهم وإنما بالمراسلة والسؤال والجواب(٤).

- **القسم الثاني:** وهو من تفرغ للتدريس بحيث أصبح له حلقة علمية أو مجلساً علمياً وطلاباً وأتباعاً وأصحاباً، ومن هؤلاء ابن عبدويه المهروباني وزيد الفائشي وجعفر بن عبد الرحيم المحابي وزيد اليفاعي ويحيى بن أبي الخير العمراني(٥).

ومنهم القاضي سعيد بن بريِّه(ت/٤٦١هـ) الذي اعتزل القضاء وتفرغ للتدريس والفتوى في زمن الصليحي(٦) وإبراهيم بن أبي الهيثم(٧) وغيرهم الكثير ممن تفرغ للتدريس في علوم القراءات والحديث والفقه واللغة والكلام، والبعض منهم جمع بين أكثر من علم، أمثال يحيى بن أبي الخير وزيد اليفاعي(٨).

المبحث الثالث: الأحوال المادية للمعلمين.

لما كان أغلب العلماء يشتغلون بالتدريس والتعليم، فإن الكثير منهم وخاصة الذين يعملون بالتعليم في المراحل العليا، لم يكونوا يأخذون أجراً على عملهم، وإنما كانوا ينتظرون الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى، ومن أجل ذلك كانوا يكرهون أن يأخذوا شيئاً مقابل عملهم هذا، لا من الطلاب ولا من الحكام، ولكن ظروفهم الحياتية تفرض عليهم توفير احتياجاتهم الأسرية والشخصية، ومن أجل ذلك عملوا مثل غيرهم في مجالات مختلفة لتوفير ما يكفيهم وعيالهم،

---

١ - عمارة/ كاي، المفيد،مصدر سابق،ص ٥٨، ٧٥.
٢ - محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ١٥٤؛ علي الخزرجي، طراز الأعلام،ص ١٠٤[اشتهرت بالعقاميات لما بها من البلاغة والفصاحة].
٣ - مسلم اللحجي،التاريخ، مصدر سابق،ص٢٥٠.
٤ - مسلّم اللحجي ،المصدر نفسه،ص٢٥، ٣٠.
٥ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٦٠، ١٧٦، ١٧٧، محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٢٦، ٣٢٧.
٦ - مسلّم اللحجي، المصدر السابق، ص١٢، ١٧٤؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات الكبرى، جـ٢،ص ٧٣٦.
٧- مسلّم اللحجي، المصدر السابق،ص ٦٦، ٦٨؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات الكبرى، جـ١،ص ٩٢.
٨- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٧٦، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٥، ٢٠٩.

فتعددت أعمالهم من امتلاك الأراضي إلى التجارة إلى العمل الحرفي إلى تولي الأعمال الرسمية للدولة، وعليه يمكن للباحث تقسيم العلماء من الناحية المادية إلى ثلاث فئات:

- **الفئة الأولى:** وهم من لم تكن أموالهم مخصصة للإنفاق على معيشتهم الخاصة فحسب، بل تعدت ذلك لتشمل الإنفاق على تلاميذهم ومساعدة المحتاجين من التلاميذ والمدرسين، وقد اكتسبوها إما عن طريق التجارة أو عن طريق امتلاك الأراضي والضِيَاع الزراعية، أو عن طريق ما ورثوه عن أسرهم المشهورة بالغنى والأمثلة على هذه الفئة كثيرة جداً.

فهذا الفقيه أبي عبدالله محمد بن عمر المصوع (تـ/٤٨٠هـ) كان ذا دنيا واسعة ومالٍ ورثه عن أمه، فكان يمتلك الكثير من الذهب والفضة[١].

ومنهم الفقيه إسحاق بن يعقوب الصردفي، الذي كان له مزارع وأطيان وجعل عليها شركاء[٢] يعملون على زراعتها وحرثها لأنه منشغل بالتعليم والعلم.

ومنهم الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي، الذي كان يرفض جوائز الملوك وكان له أطيان كثيرة تأتيه غلالها فينفقها على طلاب العلم في مدرسته ثم يتاجر بما فضل منها حتى بلغ عدد من يعملون معه أربعة عشر عاملاً كل واحد منهم يتأجر بألف مثقال[٣].

وممن خاض غمار التجارة متأسياً بالسلف الصالح عبد الله بن محمد بن عبدويه المهروباني، وكان ذلك من أجل الإنفاق على طلابه وإقامة مدرسته بجزيرة كمران حتى أصبحت مركزاً تعليمياً مشعاً في عهده[٤].

- **الفئة الثانية:** من العلماء المدرسين من كانت أمورهم ميسورة وحاجاتهم متوفرة إما عن طريق تكسبهم بالأعمال الحرفية إلى جوار عملهم بالتعليم كتربية النحل وبيع العسل[٥]، أو عن طريق قربهم من الحكام وقبول أعطياتهم وهداياهم[٦] أو عن طريق تقلدهم المناصب الرسمية كالقضاء والإفتاء، أمثال القاضي الحسن بن محمد بن أبي عقامة، والقاضي الأديب أبو بكر بن عبد الله اليافعي قاضي قضاة اليمن أيام الدولة الصليحية وهؤلاء بلا شك كانت لهم رواتب تعينهم وتسد حاجاتهم وكانوا يمارسون التعليم إلى جانب أعمالهم هذه.

أما الدعاة والعلماء من الإسماعيلية فقد تولت الدولة المركزية النفقة عليهم وتوفير ما يحتاجونه من أجل القيام بواجبهم في تأهيل وتعلم الأتباع والمنتسبين الجدد، حيث إن المصادر المتاحة لم تذكر أن أحداً من الدعاة أو العلماء الإسماعيليين كان محتاجاً أو فقيراً حال فقره دون القيام بواجبه التعليمي.

---

١ - محمد الجندي، السلوك،مصدر سابق،جـ١،ص ٢٣٨.

٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٠٧؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٤٦.

٣ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٢١؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٦٦.

٤ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٤، ١٤٥؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٧٩؛ الطيب بامخرمة، ثغر عدن،ص ٢٠٧، ٢٠٨.

٥ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق ، ص١١٧ ؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٧٨؛ الشرجي، طبقات الخواص،ص ١٨٧، ١٨٨.

٦- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٠٣، ١٠٤؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١، ص٣١٠، ٣١١.

- **الفئـة الثالثـة:** هـي الأقل وجوداً وهم من يعـانون الفاقة والفقر وكـانوا صـابرين محتسبين ومستمرين في طلب العلم ونشره وتأليفه دون ملل أو ضـجر، ومن هؤلاء، الفقيه موسى بن أحمد التباعي ،الذي شق عليه العسر وتولى عنه الدهر ، حتى عدم ثمن زيت المصباح، وكان يأخذ عوداً يابساً من الشجر ويدهنه بالزيت ويستضيء به الليل كله[١]، ومنهم الفقيه عبدالله بن يحيى بن أبي الهيثم(ت/٥٠٣هـ) والذي كان لا يملك شيئاً من الدنيا، واشتغل بالتعليم والدراسة وكان يصحبه رجلٌ من أهل المال اسمه علي بن زياد ليقضي حوائجه في المناسبات، وكان هذا الرجل يحب العلم والعلماء، فلم يحتج معه الفقيه إلى إنسان غيره في شيء[٢].

والخلاصة: أن العلماء والمدرسين قاموا بواجبهم على أكمل وجه وفي جميع الفئات، فاختلطوا بالمجتمع وعاشوا ظروفه واستطاعوا أن يتغلبوا على العوامل الجغرافية والاقتصادية التي كانت تعيق أعمالهم في أغلب الأحيان.

كما كان للعامل المذهبي دورٌ في دعم وتمويل المدرسين التابعين لكل مذهب من قبل أتباعه أو من يعتنقه من عامة الناس.

كما انحصر دعم ورعاية الدولة الصليحية على العلماء والدعاة الإسماعيليين والقليل من المذهب الشافعي الذين تولوا القضاء للدولة الصليحية أو من كانت تربطهم علاقة حسنة بالأمراء والولاة الصليحيين.

المبحث الرابع:الأوضاع الاجتماعية للمعلمين:

و كان العلماء والمدرسون (الأساتذة) يمثلون شريحة ذات مكانة مميزةً في المجتمع، وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فلا بد وأن يكون للعلماء علاقات متشعبة، والباحث هنا سيتناول العلماء وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ثم علاقاتهم مع طلابهم ثم علاقاتهم مع الحكام ثم علاقاتهم مع عامة المجتمع،أحاول توضيح هذه العلاقة على النحو الأتي:

أولاً - علاقة العلماء ببعضهم.

العلاقة والصلة إما أن تكون علاقة مودة وألفة وصحبة، وإما أن تكون نفرة وخصومة، وبما لا شك فيه أن التنافس والحسد يعتريان نفس أي إنسان ولا يستبعد هذا عن العلماء أياً كانت درجتهم[٣].

وكانت علاقة العلماء ببعضهم في هذه الفترة غالباً ما تسودها المودة والحب والألفة نظراً لما يحملونه بين جوانحهم من مبادئ وقيم رفيعة مقتبسة من أخلاق ومبادئ المعلِّم الأول محمد ﷺ وعموم السلف الصالح، فكان الكثير من العلماء يحرص على حضور مجالس البعض الآخر مما يدل على الاحترام المتبادل، ويثنون على بعضهم في مجالسهم، فهذا الشيخ أبو بكر

١- عبد الرحمن الوصابي، تاريخ وصاب،ص ١٦٨، ١٦٩.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٦٢؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٢٩٠.
٣- عبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية،ص١١٠.

اليافعي يصف الفقيه يحيى بن أبي الخير والفقيه عبد الله بن يحيى الصعبي بالقمرين، والإمام يحيى بن أبي الخير يصف الفقيه عبد الله بن يحي الصعبي بشيخ الشيوخ وذلك اعترافاً بفضله وعلمه[١].

كما كانت الألفة والمحبة هي السائدة وخاصة عندما يصحب بعضهم بعضاً أثناء الرحلات العلمية أو السفر إلى الحج، فهذا الفقيه أحمد بن عبد الله الصعبي يرافق الإمام القاسم الجمحي إلى مكة وعادا معاً أيضاً ومعهما الفقيه أبو بكر بن جعفر المراغي ثم عملا على تأسيس مدرسة سهفنة وسكنا بها فترة من الزمن[٢]، وهكذا حالات الصحبة والمودة بين العلماء كثيرة جداً، وخاصة في إطار المذهب الواحد.

ومن مظاهر المودة والألفة وحسن العلاقة تبادل الزيارات فقد كان كل منهم حريصاً على زيارة الآخر والاطمئنان على أوضاعه وصحته وسلامة معتقده، فهذا الإمام يحيى بن أبي الخير والفقيه عبدالله بن يحيى الصعبي كان بينهما محبة عظيمة فكانا دائمي الزيارة لبعضهما [٣]، وإذا تعذرت الزيارة من العلماء لإخوانهم كانوا يلجئون إلى المراسلات والمكاتبات إما للسؤال عن الحال أو للتباحث حول بعض المسائل المشكلة على أيٍ منهم[٤].

ولم تقتصر العلاقة بينهم على ما ذكر، بل تعدتها إلى غيرها من أمور الدنيا، حيث كان يسعى كلٌ منهم في قضاء حوائج إخوانه العلماء وخاصة لدى السلاطين، كما فعل أبو بكر اليافعي – بحكم علاقته بالسلطان – والذي توسط لدى الحاكم حتى أعفى أراضي علماء الجند من الخراج[٥].

وبلغ الأمر ذروته عندما كان الواحد منهم يتصرف في مال أخيه وهو غائب وكأنه ماله، فهذا الفقيه الزيدي يحيى بن عبد الله البحيري من سكان هجرة سناع يأتيه ضيوفه من العلماء فلم يجدوه في البيت فيأخذون من ماشيته ما يأكلون ثم يجدون في أنفسهم شيئاً من ذلك وعندما يأتي الفقيه يقول لهم " والله لو لم تفعلوا ذلك ما أنتم عندي بالرجال ولا الأخوة الصادقين[٦].

ومن مظاهر صدق الأخوة والحب أن أغلبهم كان لا يرغب في تزويج بناته إلا من العلماء، فهذا الفقيه إسحاق بن يعقوب الصردفي – صاحب كتاب الكافي – كان له ابنتان وأخت فزوج ابنته الأولى لزيد بن عبد الله اليفاعي المشهور، والأخرى لحسان بن محمد بن زيد (ت/ في القرن الخامس) إمام جامع الجند في وقته، وأخته للفقيه أسعد بن عبد الله بن أحمد السلالي[٧].

أما علاقة النفرة والخصومة بين العلماء الفقهاء والمحدثين فكانت قليلة، وغالباً ما تنتهي إلى خير؛ إذا لم يتدخل فيها العامل السياسي، فقد حدث أن حصلت هذه النفرة بين الإمام زيد بن عبد الله

---

١ - محمد الجندي، السلوك،جـ١ ،ص٢٤٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧.
٢- عمر الجعدي،مصدر سابق،ص ٨٩؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ص، ٣٤٣.
٣ - عمر الجعدي،مصدر سابق، ص١٦١.
٤ - محمد الجندي،السلوك، جـ١ ،ص ٣٣٢؛ عبد الرحمن الوصابي، مصدر سابق،ص ٢٤٧.
٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٦٦، ١٦٧.
٦- مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٢٣٩.
٧ - عمر الجعدي،مصدر سابق،ص ١٠٧، ١٠٨؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٢٤٦.

اليفاعي وطلابه من جهة وبين الإمام أبو بكر بن جعفر المحابي وطلابه من جهة أخرى وكلاهما من مدرسي وعلماء الجند ومن مذهب واحد، لكن الغالب أن العامل السياسي كان وراء ذلك[١].

والخلاصة أن علاقة العلماء ببعضهم في أغلبها كانت ترقى إلى ما فوق المصالح الدنيوية، وأن هذه العلاقة كانت تعبر عن حقيقة الأخوة الإسلامية الصادقة، ولم يشذ عن ذلك إلا القليل من العلماء الذين أعماهم حب المال والحياة والتعصب المذهبي، وكان السبب في ذلك هو تأثير العامل السياسي والديني في تلك الفترة.

ثانياً ـ علاقة العلماء بطلابهم:

كان العلماء يقصدون بتعليمهم وجه الله تعالى، لذلك كان أغلبهم لا يتقاضون أجراً مقابل عملهم وكذلك كان الطلاب في نية طلبهم للعلم، ومن ثم فإن العلاقة المتبادلة بين الطرفين كانت مبنية على الاحترام والتقدير من كِلا الطرفين، ملتزمين في ذلك بعموم الآداب والقيم الإسلامية التي تفرضها العقيدة الإسلامية السمحاء ،ومنهج الغالب من العلماء والمدرسين كان ممثلاً في قولهم:" وأن يحب لطلابه ما يحب لنفسه"، وإذا غاب عنه بعض الطلاب سأل عنه وعن أحواله، وإن كان مريضاً عاده[٢].

ومن ثم فإن الحديث سيقتصر عن هذه الجوانب التي من خلالها يتضح مدى ارتباط العالم بطلابه وصدق مشاعره نحوهم، وأول ما ينبغي الإشارة إليه أن المصادر التاريخية التي اطلع عليها الباحث لم تذكر مثالاً واحداً - في مدة الدراسة – عن إساءة حدثت من معلم إلى طالب أو من طالب لمعلمه وخاصة في مرحلة الدراسة العليا.

ووصل الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك الاحترام والعطف ليصل إلى درجة التعهد بالإنفاق على الطلاب وإن كانوا ذوي عدد يصل إلى فوق الثلاثمائة طالب كما حصل عند الإمام زيد اليفاعي في مدرسة الجند وكان الإنفاق يشمل القوت والكسوة[٣].

ومثله أبو عبد الله محمد بن عبدويه المهروباني في جزيرة كمران الذي كان ينفق على طلابه من ماله وإذا لم يجد من ماله سعى لدى أصحابه التجار ومعاونيه فيأخذ منهم ما يسد حاجة طلابه في مدرسته[٤].

وفي مجال الثقة المتبادلة نجد الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبدويه المهروباني يعتمد على بعض طلابه في الاتجار بماله وهو الفقيه عمر بن علي السلالي، الذي يروي أنه كان يتاجر للشيخ المهروباني بستين ألف دينار في البحار[٥].

١- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٢٠، ١٢١؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٦٣.
٢- إبراهيم بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم،ص ١٠٥.
٣- محمد الجندي، السلوك، جـ١ ،ص٦٣؛ حسين الأهدل، تحفة الزمن,ص ٤٠٨.
٤- عمر الجعدي،الطبقات، مصدر سابق ص؛ محمد الجندي، السلوك، جـ١ ،ص ٤٨٠.
٥- عمر الجعدي،الطبقات، مصدر سابق،ص ١٤٤، ١٤٥.

وفي هجرة قاعة[١] – إحدى هجر العلم عند الزيدية – كان بها العلامة عليان بن إبراهيم وهو ممن كان يطعم تلاميذه، ودائم التفقد لهم بما يقيهم البرد من الأغطية والملابس وعندما توفي قال أحدهم:" ما ثقل علينا التعليم في الهجرة إلا بعد فقد عليان والذي كنا لا نشعر بالغربة في وجوده[٢].

ومن جميل وحسن العلاقة بين العلماء وطلابهم ما كانوا يولونه بهم من اهتمام ومراعاة للفروق الفردية، حتى أن صاحب النباهة يحاط بالرعاية والتشجيع الخاص وبما لا يؤثر على الآخرين، كما كانوا يولونهم الرعاية والاهتمام كي ينيبونهم في حلقاتهم ومجالسهم أثناء غيابهم أو بعد وفاتهم، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به الإمام زيد اليفاعي في مدرسته بالجند لما رأى في تلميذه عبدالله بن أحمد الزبراني من الصفات التي تؤهله وتميزه عن غيره، فأذن له بالفتوى خطياً في الحالات الخاصة وبشكل عام في المسجد[٣]، وهذا الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني يشجع طلابه ويشير بالمدح إلى بعضهم في مؤلفاته فيقول عن تلميذه محمد بن مفلح الحضرمي في مقدمة كتابه (المشكل):" سألني من يعز علي سؤاله ويعظم عندي قدره وحاله"[٤]، وفي نفس المجال يقوم الإمام يحيى بن أبي الخير بتزويج ابنته بأحد طلابه وهو عمر بن سليمان السري ثم يقدر الله موتها فيزوجه الشيخ بالأخرى تقديراً منه لطلابه ولما يحملونه من علم وأدب وأخلاق[٥].

ثالثاً- علاقة العلماء بالحكام:

تأثرت علاقة العلماء بالملوك والأمراء الصليحيين في هذه الفترة بالاتجاه المذهبي، فعمد علماء المذاهب السنية إلى إثارة الجماهير ضد هذه الدولة ،ورأوا في دولة بني نجاح ذات الطابع السني: أنها الممثل الشرعي لهم في اليمن[٦].

وفي المجال نفسه سار أئمة وعلماء المذهب الزيدي، فظلوا ينافسون الخلفاء الفاطميين في الإمامة والحكم، رغم اشتراكهم في التشيُّع وحب آل البيت الذي كان يجمع الفريقين، فشكل كلٌ من العلماء والفقهاء السنيين والأئمة والعلماء الزيديين فريق مواجهة ضد الدولة الصليحية ذات المعتقدات الإسماعيلية، والحوادث التي جرت في عهد علي بن محمد الصليحي وولده المكرم أحمد ثم في عهد الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي خير شاهد على ذلك[٧].

وانطلاقاً مما سبق سيقوم الباحث بالنظر إلى علاقة العلماء بالملوك من خلال تقسيمهم إلى ثلاثة فئات:

- **الفئة الأولى:** وهم العلماء الذين لا يرغبون في مخالطة السلاطين والأمراء، ولا يقبلون عطاياهم وجوائزهم، ومنهم الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي الذي قيل أنه كان متورعاً ومتنزهاً

١ــ قاعة من أعمال مديرية عمران،وواحدة من أكبر هجر العلم عند المطرفية من الزيدية.
٢ - مسلم اللحجي،التاريخ،ص٢٧٦.
٣- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٤٥؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٨٣.
٤- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ص١٩٦؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٤٢.
٥- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص١٩٦؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٤٢.
٦ - الحسين الهمداني،الصليحيون، مصدر سابق، ص٢٣٥.
٧- الحسين الهمداني،المصدر نفسه،ص٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧

عن صحبة الملوك ومخالطتهم وقبول جوائزهم[١]ـ وهذا اجتهاد غير محبب شرعاً ـ ومنهم الفقيه أبو عبد الله جعفر بن عبد الرحيم المحابي، الذي اشترط على والي الجند حين دخوله إليه للفتوى والتعليم :أن لا يكلفه الحكم وأن لا يدعوه إلى منزله ولا يأكل طعامه، ثم لما دخل على الصليحي الجند ودخل جميع الفقهاء للسلام عليه وكان قد سأل عنه وتحقق من أمره فقال له: يا فقيه القضاء متعينٌ عليك ونريد منك أن تقبل ذلك، فقال الفقيه: لا أصلح له ولا يصلح لي فغضب الصليحي، وقام الفقيه يريد الخروج فلحقه خمسة عشر رجلاً من جنود الصليحي وألحقوا به الأذى[٢].

- **الفئة الثانية:** وهم العلماء الذين كانوا يخالطون الملوك ولكن من أجل جلب مصلحة أو دفع مفسدة أو إنكار منكر، ومنهم من كان يقبل أعطيتهم وجوائزهم ومنهم من لا يفعل ذلك ومن هؤلاء العلماء أبو محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة الذي صحب ملوك بني نجاح ثم الصليحيين في زبيد وتولى القضاء للطرفين وهو سني المذهب، وكان جياش بن نجاح يلقبه (بمؤتمن الدولة)، ويقول عنه أسعد بن شهاب:" أقام عني الحسن أمور الشريعة قياماً يؤمن عيبه ويحمد غيبه"[٣]، ورغم ذلك فإن علاقته بجياش لم تنته على خير، حيث أقدم جياش على قتله لأسباب سياسية وكان له الدور البارز في عودة الملك إلى جياش بن نجاح[٤].

ومنهم الإمام زيد بن الحسن الفائشي، والذي كان يتمتع بعلاقة حسنة مع سلاطين بلده أحاطة إلا أنه لم يوافق على تولي القضاء[٥].

- **الفئــة الثالثــة:** وهـم العلمـاء والأدبـاء والـشعراء الـذين لا يـرون بأسـاً فـي مخالطـة الأمـراء والسلاطين ويعتمدون على أعطيتهم وجوائزهم في كسبهم و أرزاقهم وكانوا كثيري المخالطة للأمراء أمثال الفقيه المؤرخ عمارة اليمني وزميله الشاعر أبو عبد الله الحسين بن علي القم الذي كان في البداية مخالطاً للنجاحيين في زبيد ثم انقلب إلى مخالطة الأمراء الصليحيين في جبلة[٦].

وهكذا يتضح: أن علاقة العلماء بالأمراء لم تكن عند مستوى واحد وإنما كانت على ثلاثة أشكال، وكل فريق من العلماء كان ينطلق في علاقاته من خلال التصورات والقيم التي يؤمن بها، الأمر الذي أظهر بوضوح تأثير العاملين الديني والسياسي على مسير العلاقات بين العلماء والحكام بشكل ملحوظ.

---

١ - محمد الجندي، السلوك، جـ١،ص ٢٦٧.
٢- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ٩٤، ٩٥؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١ ،ص ٢٣٤.
٣ - محمد الجندي، السلوك، جـ١، ص٢٥٤؛ علي الخزرجي، طراز الأعلام،ص ١٠٤.
٤- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٥٥.
٥- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١، ص٢٨٧.
٦- محمد الجندي المصدر نفسه، جـ١،ص ٢٥٨، ٢٦١، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٦١.

رابعاً - علاقة العلماء بالمجتمع:

لا يجد الإنسان حرجاً إذا ما قال بأن دور العلماء لا يقل أهمية عن دور الأمراء، لأن النبي ﷺ يقول:" صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة، السلطان والعلماء"[١].

فكان للعلماء الدور الكبير في خدمة المجتمع في تلك الفترة، الأمر الذي جعلهم في مركز الصدارة، نظراً لما يقومون به من واجب في مقارعة الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط المجتمع اليمني في شتى جوانب الحياة.

ومن مظاهر خدمة العلماء للمجتمع اليمني في تلك الفترة تبنيهم لقضايا الناس وهمومهم المعيشية التي من أبرزها:

- تولي القضاء وإصلاح ذات البين، حيث شهدت اليمن في تلك الفترة وجود عدد من القضاة سواءً من قبل الصليحيين أو بني نجاح أمثال القاضي أبو بكر اليفاعي[٢] الذي عاصر الصليحيين ، والقضاة من بني عقامة في زبيد وأولهم أبو محمد الحسن بن أبي عقامة والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحفائلي[٣].
- ومن مظاهر خدمة المجتمع التي قام بها العلماء الأمر بالمعروف وإنكار المنكر على من يعمله، إذ كان لهم الدور البارز في ذلك حتى أحبهم العامة والخاصة، ولم يكونوا يتوانون في إنكار المنكر ولو كان فاعله من أقرب الناس إليهم نسباً أو مودة، فهذا القاضي أبو الفتوح بن أبي عقامة يمر من أمام داره أحد السكارى وهو يغني فيصيح به القاضي:" إلى هذا الحد يا حمار!!!" وكان ممن يعرفه القاضي[٤]، ومثله القاضي الزيدي إبراهيم بن أبي الهيثم لما سكن في هجرة مدر – وهي إحدى قرى مديرية أرحب اليوم – ففرح به أهلها لإقامته بينهم، فلما بلغه أن بعض أهلها يشربون الخمر خرج منها[٥]، وذلك كعمل تأديبي لإشعار أهل مدر بخطورة وقبح ذلك الأمر.

ومن مظاهر خدمة المجتمع التي قام بها العلماء ما كان يقوم به بعض العلماء الميسورين من خدمة ورعاية ونفقة على طلاب العلم وخاصة المعدمين منهم ،أو أصحاب المناطق النائية الذين يتطلب تعليمهم طول إقامة لدى المشائخ في الأمكنة التعليمية، أمثال العلامة أبي عبد الله محمد بن عبدويه المهروباني والإمام زيد بن عبد الله اليفاعي[٦] اللذين توليا الإنفاق على طلابهما طوال الإقامة لديهما، وهما بهذا العمل يقدما خدمة جليلة للمجتمع اليمني حيث قاما بما لم يقم به الحكام والولاة من دعم للعلم والتعليم.

١- يوسف بن عبد البر، كتاب الجامع لبيان العلوم وفضله، باب ذم العالم على مداخلته السلطان الظالم، رقم ١١٠٩.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٢، ١١٣، ١٦٦.
٣ - عمارة/كاي،المفيد،مصدر سابق، ٣٢٣؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٣٧٥، ٤٦٦.
٤ - محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٠٤.
٥- مسلّم اللحجي،التاريخ، مصدر سابق،ص ٨٥.
٦ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٥؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٨٧.

ومن مظاهر خدمة العلماء للمجتمع إنفاقهم على الفقراء والمساكين وذوي الحاجة، والدعوة للتصدق عليهم لدى عامة الناس، والسعي لقضاء حوائجهم والأمثلة على ذلك كثيرة في كل العصور، فهذا الإمام زيد بن حسن الفائشي لم يزل على الإقراء وإطعام الطعام حتى توفي[١]، ومثله كان عامر بن صعتر(من علماء الزيدية)، والذي كان يطعم الطعام ويقرئ ويتصدق في بلده بماله كله[٢].

وهذا عبد الله بن محمد بن عبدويه المهروباني اشتهر بمواساته للفقراء والمحتاجين، حتى أنه كان يستدين المال من أجل ذلك، فوافاه الأجل وعليه ألف دينار لم يقضها عنه إلا ولده بعد موته[٣].

ومن الخدمات الاجتماعية التي قام بها العلماء رعاية الأيتام والأرامل ومن على شاكلتهم ، فيحرصون على تفقد أحوالهم، فهذا الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني يدخل على الملكة الصليحية في شأن أيتام كان يرعاهم فتقوم بإعفاء أرضهم من الخراج[٤].

ومن الخدمات الاجتماعية التي قام بها العلماء ما كانوا يضربونه من أمثلة سلوكية في مجال حقوق الجوار،وفي التكافل الاجتماعي،حيث كان العلماء يراعون ذلك ويعملون على تعميق فهمه والعمل بمقتضاه، فهذا العلامة إبراهيم بن أحمد الصبري الذي عاصر الصليحيين يتولى تربية طفلين منذ صغرهما مع أطفال لأحد جيرانه الفقراء، ويأتيه الضيف وله غنيمات فيأمر الراعي بذبح شاتين فيقول له:" يا سيدي إنما تكفي شاة واحدة"، فيقول:" بابني شاة لنا ولضيفنا وشاة لجيراننا الذين يشمون رائحة المرق[٥].

ومن مظاهر خدمة المجتمع التي قام بها العلماء ،ما بذلوه من جهود وما قاموا به من أدوار في سبيل تحصين أفراد المجتمع فكرياً وثقافياً في سبيل مواجهة الأفكار الهدامة والمعتقدات المخالفة لما عليه أهل البلد من عقيدة سليمة، وتجلى ذلك في احتشاد علماء وفقهاء اليمن سنة وزيدية في مواجهة الإسماعيلية الفاطمية عبر عدة طرق وأساليب، فمنهم من أظهر الخروج علناً، ومنهم من كان مرناً وعمل للغرض نفسه، ومنهم من حرَّض الناس علناً أو عبر مؤلفاته وقصائده وخطبه كل ذلك كان له عظيم الأثر في نفوس العامة، الأمر الذي جعل من انتشار المذهب الإسماعيلي أمراً بالغ الصعوبة[٦].

وهكذا قام العلماء بواجبهم في خدمة مجتمعهم كل حسب ظروفه وأفكاره وإمكانياته ووفق ما تقتضيه ظروفهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

١- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٨٧.
٢ - مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٢١، ٢٢؛ يحيى بن الحسين، الطبقات الصغرى،ص ٩٣.
٣ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٧، ١٤٨؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٨١، ٢٨٢.
٤ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٨٤.
٥ - مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٥٥، ٥٦، ٥٧.
٦ - الحسين الهمداني،الصليحيون، مصدر سابق،ص ٢٣٢- ٢٣٨- يراجع تفاصيل ذلك في الصليحيون والحركة الفاطمية – الباب الثامن،ص ٢٣٢- ٢٤٣.

المبحث الخامس: أحوال المتعلمــين.

رغم الظروف السياسية المضطربة وخاصة عند ما تولى علي بن محمد الصليحي السلطة، وهو المعروف بمعتقده الإسماعيلي قابله كل من السنة والزيدية بنوع من الحذر والتوجس والريب، إلا أنه وجدت إشارات تدل على ازدياد أعداد الطلاب الراغبين في العلم والتعلم لدى كل المذاهب والفرق الإسلامية في تلك الفترة.

كما كان للعامل الديني والعامل السياسي والعامل الاقتصادي الأثر الواضح في ازدياد الإقبال على التعليم وخاصة في المدن الرئيسية مثل زبيد والجند وصنعاء وبعض القرى والهجر العلمية الأخرى، وذلك لما شهدته هذه المدن من وفرة مالية وتنافس مذهبي، نشأ على أثره دعم المؤسسات التعليمية بالموقوفات العينية والنقدية، الأمر الذي ساعد على الإنفاق على طلاب العلم والعلماء[١].

ومما يدل على ازدياد عدد الطلاب في تلك الفترة ما ذكرته المصادر التاريخية أن حلقة الإمام زيد اليفاعي بلغت أكثر من ثلاثمائة طالب يتولى النفقة عليهم وكسوتهم من أمواله الخاصة[٢]، وما حصل أيضاً في جزيرة كمران حين أصبحت مأوى لأغلب هؤلاء الطلاب، وخاصة لما جاور الإمام زيد بمكة بعد الفتنة التي حصلت بينه وبين الشيخ أبى بكر جعفر بن عبد الرحيم المحابي، وما تذكره المصادر التاريخية من أن تلاميذ ابن عبدويه في كمران أكثر من أن يحصوا من جميع أنحاء اليمن والسودان[٣] (كل من أتى من القارة الأفريقية) .

كل ذلك يشير إلى كثرة أعداد الطلاب وزيادة الإقبال على العلم والتعليم وخاصة في المناطق الساحلية، لما تشهده من وفرة مالية وسهولة الاتصال الخارجي مع بقية حواضر العالم الإسلامي،أحاول توضيح أحوالهم على النحو الاتي:

أولاً. الأحوال المادية للمتعلمين .

يحتاج طالب العلم إلى ما يعينه على دراسته من المال، كي يلبي حاجاته من مأكل ومشرب ومسكن وأدوات تعلم من ورق وحبر وأقلام وكتب، والطلاب في ذلك يتفاوتون .

كما كان لسهولة العيش وعطف الناس ورغبتهم في رعاية المحتاجين، وعناية المسلمين بابن السبيل[٤]، وسهولة الانتقال من بلد لآخر دون تعقيد ولا قيود، وتيسير سبل المعيشة بأدنى شيء من المؤن كل هذا إلى جانب رغبة الطالب النفسية ؛ كان كفيل بأن يبلغ الطالب إلى مطمحه وطلبه.

وعليه يمكن النظر إلى أحوال المتعلمين و تقسيمها إلى ثلاث طوائف:

---

١ - عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق، ، عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٥.
٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٤، ١٤٥.
٣- المصدر نفسه الصفحة نفسها ، محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق، جـ١،ص ٢٧٩.
٤- ابن السبيل، هو الذي يرحل من مكان إلى آخر ما لم يكن في معصية، وسمي ابن السبيل لملازمته الطريق[ابن منظور، لسان العرب، جـ٣، ١٩٣.

الطائفة الأولى: الأغنياء: وكانوا في الغالب هم أبناء الملوك والسلاطين، أو أبناء أسر علمية تمتلك الضياع أو تمارس التجارة ،أو أبناء من يعملون في دواوين الدولة، أمثال ابناء القضاة والأدباء، كأبناء بني عقامة، وأبي بكر اليافعي(١).

وكان هؤلاء أحوالهم ميسورة فلا يعانون من شظف العيش، وكل جهدهم منصبٌ على التحصيل العلمي، ومنهم على سبيل المثال يحيى بن أبي الخير العمراني الذي ارتحل إلى أكثر من مدرسة وأكثر من علم لطلب العلم وعلى نفقته الخاصة(٢).

ومن الطلاب من كان وضعه الاقتصادي جيد،فساعده ذلك على السفر من أجل طلب العلم،أو شراء الكتب، أمثال زيد بن الحسن الفائشي الذي ساعدته الظروف الاقتصادية على شراء الكتب، حيث حوت مكتبته أكثر من خمسمائة كتاب وهو لا يزال طالب علم، كما هيئت الظروف نفسها لأبنائه أحمد وعلي والقاسم حتى أصبحوا من أعلام الدهر(٣).

الطائفة الثانية:المرابطون من أجل طلب العلم حول أحد العلماء أو في قرية من القرى العلمية أو في هجرة من الهجر أيضاً، وغالباً ما يتولى الإنفاق عليهم العالم أو من يشرف على أمور الهجرة أو القرية من عمال الأوقاف أو من فاعلي الخير، ومن هؤلاء طلاب الإمام محمد بن عبدويه المهروباني في جزيرة كمران وطلاب الإمام زيد اليفاعي في الجند والطلاب في هجرة سناع وهجرة قاعة(٤).

وكان العالم ينفق على أولئك الطلاب إما من أمواله أو من أصدقائه أو يستدين من التجار كما فعل ابن عبدويه المهروباني في مدرسة كمران أيضاً(٥)، كما كان للأوقاف العامة دور في دعم طلاب العلم وتوفير حاجاتهم من معلمين وكتب علمية، ومن ذلك أوقاف الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي في ذي جبلة التي خصصتها لتدريس الصحيحين(٦)، ومنها الكتب الموقوفة في ذي أشرق والتي كانت مأوى لطلاب العلم من ذوي الدخل المحدود(٧).

الطائفة الثالثة: وهم الطلاب الذين عاشوا في مناطق نائية، تحكمها الأعراف والنظرات الاجتماعية الضيقة، فهؤلاء اكتفى معظمهم بدراسة القرآن الكريم ومبادئ الحساب وبعض العلوم الشرعية فلا يواصل الدراسة المتعمقة والمتخصصة إلا القليل منهم، ومنهم من أبناء الأسر المشهورة بالعلم، وفي الغالب اتصفت حياة هؤلاء بالفقر وقلة المؤنة(٨)، خاصة في غياب الدعم المركزي من قبل الدولة، وكثرة الحروب والصراعات السياسية التي سادت هذه المناطق (مناطق النفوذ الزيدي) في تلك الفترة.

١- عمارة/ كاي،المفيد، مصدر سابق،ص ٣٢٣؛ محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ١،ص ٣٧٥، ٤٦٦.
٢- عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق، ١٧٤، ١٧٥.
٣ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.
٤ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٤٨، ١٤٩؛ مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٩٣، ٢٧٦.
٥- عمر الجعدي،المرجع السابق،ص ١٤٧، ١٤٨.
٦ - الحسين الهمداني،الصليحيون، مصدر سابق،ص ٢٣٥.
٧ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٥، ١١٦.
٨- محمد الجندي،السلوك،مصدر سابق،جـ٢، ص٣٢٠.

ثانياً: علاقة المتعلمين ببعضهم:

كانت علاقة الطلاب ببعضهم هي تلك العلاقة التي تميز بها العلماء فيما بينهم فطلاب اليوم هم علماء الغد، فقد تكون مميزة بالتعاون والتآلف من أجل تحقيق هدف مشترك وهو طلب العلم، وقد تمتد هذه العلاقة إلى ما بعد الدراسة.

ورغم قلة وشحة المعلومات حول هذا الجانب إلا أنه يمكن القول إن العلاقة كانت قائمة على أساس ديني يأمرهم بذلك ويحثهم على التعاون والإيثار وخاصة في الهجر العلمية حيث كان الطلاب ينقسمون إلى مجموعات أثناء طعامهم[١].

ومما ذكرته مصادر التاريخ عن بعض الطلاب الذين كانوا يتزاملون أثناء رحلاتهم العلمية أو دراستهم أنه كان يسود هذه العلاقة الحب والأخوة والتضحية[٢].

وما أجمل قول الإمام زيد بن الحسن الفائشي عندما ذهب إلى ذي أشرق زائراً لبعض زملاء دراسته فلم يجد أحداً هناك، حيث كانوا قد تركوا البلدة خوفاً من الأمير مفضل بن أبي البركات فردد قائلا:

يقولونَ لي دارُ الأحبةِ قدْ دَنَت — وأنت كئيبٌ إنَ ذَا لعَجيبُ

فقلتُ وما نفعي بدارِ قريبةٍ — إذا لم يكنْ بينَ القلوبِ قريبُ

فقيل له ما هذا يا مولانا ؟ فقال:" هذا عمل من حب لمن طب "[٣]، وفي ذلك دلالة على عظيم العلاقة والألفة والمحبة التي ربطته برفاق الدرب في زمن التحصيل.

مما سبق يتضح أن علاقة الطلاب ببعضهم كانت تتميز بالتعاون والتآلف والحب، وأن العامل الديني قد ساعد على متانة هذه العلاقة وتعميقها في أنفسهم مع زملائهم ومدرسيهم ومع أفراد المجتمع.

---

١ - - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٤٨، ١٤٩؛ مسلم اللحجي، التاريخ،ص ٩٣، ٢٧٦.

٢ - عمر الجعدي،الطبقات،مصدر سابق،ص ١٤٨، ١٤٩ .

٣- عمر الجعدي،المصدر السابق،ص ١٥٦.

الخلاصة:

كما تبين من دراسة هذا الفصل تأثير العوامل الدينية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية على التعليم سلباً أو إيجاباً، ورغم ما شهدته اليمن في تلك الفترة من صراع ونزاع إلا أن طلاب اليمن وعلماءه استطاعوا أن يمضوا قدماً في العملية التعليمية مواكبين في ذلك التطور والنهوض العلمي في عموم حواضر العالم الإسلامي، رغم أن حدة الصراع المذهبي ساعدت إلى حد كبير في إغلاق باب الاجتهاد العلمي والانكفاء على ترديد ما هو موجود والتعصب له.

وقد تميزت علاقة العلماء ببعضهم و بطلابهم بالحب والاحترام والألفة والتقدير العميق والمتبادل، بالإضافة إلى ثقتهم ببعضهم، بلغت هذه الثقة ذروتها عندما يقوم العلماء بتزويج بناتهم على طلابهم عندما يجدون فيهم التقوى والصلاح وكذلك ليضربوا مثلاً وقدوة في أوساط المجتمع لتتوافق أقوالهم وأفعالهم فيكون تأثيرهم في المجتمع تأثيراً مباشراً وعميقاً بشكل عام فيما تميزت بالمخالطة مع الحكام من أجل النصح والإرشاد ومتابعة حقوق المجتمع في أغلب الأحيان.

والخلاصة أن حالة الطلاب المالية كانت متفاوتة من منطقة إلى أخرى ومن فئة إلى أخرى بين الغنى المفرط والفقر المدقع، كما اتضح أنه لا يوجد تكافؤ لفرص التعليم بين الطلاب والطالبات من جهة وبين طلاب الحضر والريف من جهة أخرى، سواء من ناحية تهيئة فرص التعليم وتوفير متطلباته أو من ناحية النظرة الاجتماعية السائدة في تلك الفترة، ففي المناطق النائية وذات النزعة القبلية قلت فرص التعليم وفي المناطق الساحلية والمدن والقرى والهجر العلمية وجدت فرص أكبر وأكثر للتعليم.

الخاتمة

أولاً - النتائج.

ثانياً- التوصيات.

ثالثاً- المقترحات.

أولا: النتـــائـج.

من خلال دراسة التعليم في اليمن في عصر الدولة الصليحية في الفترة (٤٣٩- ٥٣٢هـ) توصل الباحث إلى جملة من النتائج ويمكن إيرادها على النحو التالي:

١. **فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة على التعليم في تلك الفترة:**

أ- كان للعامل الديني أثره الكبير على التعليم في تلك الفترة، استجابةً لدعوة الإسلام الحنيف إلى طلب العلم وأنه من الطرق المؤدية إلى مرضاة الله ونيل ثوابه فكثر الطلاب وساهم أهل الخير في تمويل التعليم وبناء المراكز العلمية، وتجلى انعكاس العامل الديني في احتدام الصراع الفكري المذهبي والتركيز على المواد الفقهية.

كما أدى دخول الإسماعيلية – من حيث لا يقصدون – إلى إذكاء روح العصبيات بين القبائل اليمنية من جهة وبينها وبين الأحباش من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى إذكاء الصراع المذهبي كذلك.

ب- شكل موقع اليمن الجغرافي المسيطر على أهم الطرق البحرية أهمية بالغة، حيث جعل من المدن الساحلية نوافذ علمية هامة شهدت حراكاً وتبادلاً ثقافياً مع بقية حواضر العالم الإسلامي والمحيط باليمن.

وظهرت سلبية العامل الجغرافي على التعليم في أن موقع اليمن جعله عرضة للطامعين من أجل السيطرة على ممرات التجارة، فكثرت النزاعات والصراعات الإقليمية فيه وجعلت منه مأوى لبعض الطوائف الفكرية.

ج- كما ظهر تأثير العامل السياسي من خلال تشجيع الدولة النجاحية للمذاهب السنية والدولة الصليحية للمذهب الإسماعيلي وكذا الأئمة الزيديين تركز عملهم على تعليم الفقه الزيدي وما يدعم قضية الإمامة.

د- وفي مجال الاقتصاد كان الأثر واضحاً على انتعاش التعليم في كل المدن والقرى التي شهدت حراكاً تجارياً مثل زبيد وعدن والشحر وصنعاء وصعدة، وكذلك المناطق الزراعية، كما كان له أثراً سلبياً على أصحاب الدخل المحدود في المناطق النائية والبعيدة عن مصادر الحراك التجاري والزراعي.

ه- وتمثل دور العامل التاريخي في تغذية المذاهب والفرق الإسلامية فكرياً عبر موروثها التاريخي وجذورها الممتدة منذ قبل هذه الفترة الزمنية.

و- وظهر دور العامل الاجتماعي في التشجيع على التعليم، نظراً لما تحظى به فئة العلماء من مكانة اجتماعية مرموقة في أوساط المجتمع أو لدى الدولة، وظهرت سلبيته في احتدام الصراع

السياسي بين الأحباش واليمنيين الأمر الذي انعكس سلباً على التعليم لعدم الاستقرار في بعض الفترات خلال زمن الدراسة.

٢. **فيما يتعلق بفلسفة التعليم وأهدافه:**

تناول الباحث فلسفة التربية وما اشتق منها من أهداف تعليمية، وتوصل إلى أن التعليم في اليمن خلال تلك الفترة كان قائماً وفق تعاليم الدين الإسلامي إلا ما لوحظ من اختلاف لدى الإسماعيلية من فهمهم وتأويلهم لبعض الآيات والأحاديث.

وكانت الأهداف قد تأثرت بأوضاع المجتمع اليمني بحيث تلبي بعض متطلباته في تلك الفترة.

٣- **طرق وأساليب التعليم:**

أ- تعددت طرق وأساليب التعليم خلال تلك الفترة، حسب المرحلة التعليمية أو حسب ظروف المعلم، فتنوعت من التلقين إلى الحفظ إلى التسميع ثم التدريس ثم المحاضرات في الجوامع والمساجد، ثم شاع استخدام طريقة السماع والعرض والإقراء والإملاء والجدال ومجالس الوعظ والتشويق، وكان ذلك متوقفاً على المعلم وقراره في استخدام ما يراه مناسباً حسب ما تمليه عليه طبيعة طلاب العلم مراعياً الفروق الفردية وطبيعة المادة العلمية.

ب- أما عن الوسائل التي استخدمها طلاب العلم في سبيل الحصول على المعرفة فقد توصل الباحث إلى عدد من الوسائل التعليمية مثل الرحلات العلمية والمناظرات والوجادة العلمية والخبرة المهنية المكتسبة من خلال التربية العملية.

ج- وفيما يتعلق بتعليم المرأة فقد وصلت إلى أعلى مراتب الدولة لكن ذلك خاصاً في فئة الأمراء والسلاطين فلو لم تكن سيدة بنت أحمد الصليحي زوجة المكرم أحمد لما وصلت إلى تلك المكانة،حيث كان تعليمها في بقية المناطق مقصوراً على ما يلبي حاجة البيت في التدبير المنزلي وتربية الأولاد وبعض الحرف المهنية.

د- وأن تنظيم التعليم في تلك الفترة لم يكن مقيداً بشروط أو موانع بل كانت الحرية متاحة للجميع علماء وطلاب، ولم يكن مرتبطاً بزمن محدد لا للعالم ولا للطالب بل كانت الرغبة والفراغ هما المحدد الرئيسي لعمل المعلم أو لتلقي الطالب وخاصة في المرحلة العليا.

٤- **المؤسسات التعليمية وأماكن التعليم:**

أ- تميزت اليمن بوجود المدارس المسجدية في تلك الفترة نظراً لتأخر ظهور المدارس النظامية إلى زمن الأيوبيين، ولم تكن المساجد هي المؤسسات الوحيدة بل وجدت بعض الأماكن التعليمية كالهجر والقرى العلمية ومنازل العلماء والأمراء والمكتبات العامة والخاصة وورش العمل الفنية والمهنية والتي كانت تعمل على تعليم أفراد الشعب ما يحتاجونه من متطلبات الحياة.

ب- وأن النفقة على هذه المؤسسات والأماكن لم تكن على الدول القائمة، وإنما على العلماء والتجار أو عن طريق الأوقاف وبعض فئات المجتمع، وكذلك كانت الإدارة تعود إلى المعلم أو من ينفق على المؤسسة العلمية.

ج- كما برزت في اليمن خلال تلك الفترة العديد من مراكز العلم تمثلت في المدن الرئيسة والهجر والقرى العلمية مثل زبيد والجند وجبلة من المدن، ومن القرى قرية زبران، وسهفنة ،وجزيرة كمران، ومشيرق أحاظة، ومن الهجر، هجرة سناع ،و وقش، ومدر، وذيبين، وشظب، وأبيات القضاة، ومحنكة.

٥- وفي مجال المقررات الدراسية:

فقد خلص الباحث إلى النتائج التالية:

أ- إن المقررات الدراسية في العلوم الدينية كانت هي السائدة وخاصة الفقه والحديث وكانت تمثلها أمهات الكتب وشروحها ومختصراتها.

ب- كان أكثر العلوم ازدهاراً في مجال النتاج العلمي هو الفقه نظراً لكثرة المشتغلين به لدى كل المذاهب تدريساً وتأليفاً، وكان الدافع إلى ذلك هو الخلاف المذهبي في كثير من الأحيان، ثم يلي ذلك في الأهمية علوم الحديث واللغة والكلام حيث لوحظ الاهتمام بها من قبل العلماء والطلاب وكذا تشجيع بعض الحكام على تعلمها وما يدل على ذلك كثرة المؤلفات والدواوين الشعرية، أما بقية العلوم التطبيقية فكان الاهتمام بها من الناحية النظرية محدوداً نظراً لقلة المؤلفات فيها وإنما تمثل وجودها من خلال الممارسة العملية في ميادين الحياة العامة.

ج- كما وجد اهتمام خاص بعلم الفلسفة والتأويل لدى – الإسماعيلية – تدريساً وتأليفاً حيث ظهرت العديد من المؤلفات وبرز عدد من الدعاة في هذا الجانب.

د- ورد إلى اليمن العديد من الكتب والمؤلفات في شتى المجالات على أيدي من ارتحلوا إلى خارج اليمن من أجل طلب العلم كان أهمها المكتبة الإسماعيلية التي نُقِلت من مصر إلى اليمن ومنها إلى بقية الأمصار كالجبل والديلم والعراق والأماكن المقدسة الأمر الذي أزال عزلة اليمن العلمية.

٦- وفيما يتعلق بأوضاع المعلمين والمتعلمين وأحوالهم المادية وعلاقاتهم، خلص الباحث إلى:

أ- أن علاقة العلماء ببعضهم البعض كانت مميزة ترتقي إلى أعلى مستوى من التقدير والاحترام والوفاء متجاوزين بعض مظاهر الخلافات القليلة ، وهذا يعود إلى ما كانوا يتحلون به من زهد وأخلاق وورع وتحويل كل ما يتعلمون من تعاليم إلى أمثلة عملية حية.

ب- اتضح بأن العلماء المعلمين لم تكن تشغلهم واجباتهم التعليمية اليومية عن الاهتمام بأفراد المجتمع من حولهم، فعلاقتهم بطلابهم كانت تصل إلى أعلى مستويات التعامل الأخلاقي حيث كانوا ينفقون عليهم ويهتمون برعايتهم ويصل الأمر إلى تزويج البعض منهم، وكذا علاقاتهم

بالمجتمع كانت متميزة حيث اهتموا بتوجيه أفراد المجتمع إلى الخير ودفع الظلم وعملوا على رعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين والأيتام والسعي في قضاء حاجاتهم.

ج- وفي مجال علاقتهم بالسلطة الحاكمة فقد تعددت وتنوعت هذه العلاقات بين النصح والإرشاد وعدم المخالطة أحياناً، والقرب مع الحيطة والحذر من أجل دفع الضرر عن أقرانهم وطلابهم أو لجلب مصلحة عامة، وأحياناً تميزت العلاقة بالعداء وإظهار الحرب خاصة مع الصليحيين.

د- وأما عن أحوالهم المادية فقد عملوا إلى جوار عملهم بالتدريس إما بالقضاء أو بالتجارة أو بالزراعة من أجل تحسين أوضاعهم والاستغناء عما في أيدي الحكام ومن أجل أن يستطيعوا مواصلة أداء رسالتهم العلمية الدينية.

هـ - وكذلك كانت علاقة الطلاب بمعلميهم وببعضهم البعض، متميزة بروح الإسلام الحنيف الذي يشدِّد على ضرورة احترام المعلم وأن يتحلى طالب العلم بالأخلاق الفاضلة مع جميع فئات المجتمع.

ثانياً: التوصيات:

من خلال دراسة التعليم في عصر الدولة الصليحية يوصي الباحث بالتالي:

١. ضرورة إصلاح الأوضاع المجتمعية المختلفة نظراً لدورها الكبير في العملية التعليمية والتربوية.
٢. العمل على إزالة المظاهر المجتمعية التي تقف حائلا أمام تعليم بعض شرائح المجتمع، وخاصة المرأة في المناطق الريفية، بما يساعد في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.
٣. إيجاد فلسفة تربوية واضحة المعالم لدى القائمين على التعليم تنطلق من روح الإسلام الحنيف ووفق احتياجات المجتمع ومتطلبات سوق العمل.
٤. إعادة النظر في مناهج التعليم التقني والمهني من أجل إعداد الفرد ليقوم بمهامه في المجتمع وفق متطلبات الحياة وخاصة التعليم الأساسي، مستفيداً من البيئة المحيطة به كي يكون قادراً على العيش فيها وتسخيرها لمصلحة المجتمع.
٥. تفعيل دور المسجد كمؤسسة علمية أثبتت فاعليتها عبر التاريخ الإسلامي في معالجة مشاكل المجتمع.
٦. تحييد المؤسسات العلمية من الصراع الفكري والمذهبي، من خلال الرقابة الراشدة المسئولة وعلى مناهجها وأنشطتها، بما يحفظ توازن المجتمع وتجنيبه ويلات الحروب.
٧. تفعيل دور الأوقاف العامة ومراقبة مصارفها كي تقوم بدورها المشهور في دعم العلم والمتعلمين، خاصة تمويل المؤسسات التعليمية وفق الرقابة المسئولة .
٨. إنشاء مؤسسات تعليمية تقوم بدور التعليم المفتوح ليستفيد منها أكبر قدر ممكن من أبناء المجتمع في مواصلة تعليمهم بما يتناسب مع مستوياتهم العلمية.

٩. إنشاء مكتبات داخلية في كل المدارس وأماكن التعليم وتدريب الطلاب على التعلم الذاتي عبر بعض الحصص الأسبوعية المخصصة لذلك.

١٠. إعادة النظر في وضع معلمي الصفوف الأولى وتأهيلهم تأهيلاً يليق بعملهم مع صغار السن كأهم شريحة من شرائح المجتمع، أسوة بالمؤدبين ومعلمي الكتّاب في فترة حكم الدولة الصليحية.

١١. عقد الدورات التأهيلية المستمرة للمعلمين ،وتمكينهم من استخدام أحدث ما وصلت إليه التقنيات الحديثة في مجال تخصصهم من أجل تنمية قدراتهم ونقل الطلاب إلى آفاق عالم المستقبل.

١٢. تحسين أوضاع المعلمين المعيشية بما يمكنهم من متابعة ما يستجد في مجالات التربية وتقنيات التعليم ،وإغنائهم عن الانشغال بحياتهم المعيشية.

١٣. تفعيل الدور المركزي للدولة على كل المؤسسات والأماكن العلمية مهما كانت صغيرة أو كبيرة من أجل ضمان توحيد الثقافة العامة وضمان وحدة البلد.

١٤. تجهيز المباني المدرسية بما يتواءم مع الظروف المناخية والسكانية، وتوسيع عمل بعض المدارس لاستيعاب ذوي الاحتياجات الخاصة.

١٥. إيجاد مساجد ملحقة (صغيرة) بالمؤسسات العلمية ليتمكن المعلمون والطلاب من أداء العبادات في أوقاتها ويمارسون الصلاة عملياً مع طلابهم الصغار.

١٦. تفعيل دَوْر دُوْر الأيتام في جميع المحافظات والمدن الرئيسية بما يضمن توفير فرص التعليم لجميع فئات المجتمع.

ثالثاً:المقترحات:

بعد هذه الجولة العلمية في تاريخ اليمن؛ يرجو الباحث أن يكون قد وُفِق في إبراز جانباً مهماً من جوانب الحضارة اليمنية، ويأمل من الباحثين مواصلة الجهود، من أجل إبراز تراث اليمن الفكري والتربوي، خاصة في الفترات التاريخية التي لم تنل حظها من الدراسة والبحث، من أجل أن تكتمل الحلقة وينتظم العِقد، ولذلك يقترح الباحث دراسة المواضيع التالية:

- التعليم في اليمن في عصر الدولة العثمانية.
- التعليم في اليمن في عصر الدولة القاسمية.
- التعليم في اليمن في عصر دولة بيت شرف الدين.
- دراسة دَوْر الأوقاف التربوي في العصر الحديث.

1- in terms of education methodology ، this era had witnessed variation from one institution to another and from an educator to another according to his diligence and conditions

2- in terms of the institutions and education places ، the researcher found that the mosque role was fundamental with the majority of creeds existed in that era followed by the households of scholars and princes due to their distinguished role in distributing education and knowledge .

3- in terms of educators and educated ، this era has witnessed many scholars who played a fundamental in distributing knowledge without intervention of the central state . the era has distinguished by the prevailing of cooperation and lobe between scholars and their students .

The study has concluded to certain recommendations:

1- Activating the role of the mosque as a scientific institution proved its effectives through the Islamic history in solving many society's problems
2- Treating some society phenomena that hinder the education some society's categories، specially the rural woman، so that we can achieve the opportunities equivalence .
3- Activating the role of the public endowments and controlling its funds ، so that it can handle its role in supporting science and educated specially funding the educational institutions
4- Neutralizing the scientific institutions from the ideological conflict through the controlling of its curricula and activities in order to preserve the society balance

Abstract:

Education in Yemen during the Era of Sulaihi State

(439-532) A.H
Prepared by : Ali Aydha Saleh Al-Hawaly

Supervised by :
- Dr. Ahmed Ahmed Al-Anesi
- Dr. Farook Ahmed Haidar

The current study aims to investigate the scientific life aspects in Yemen during the period (439-532) A.H under the rule of the Sulaihi state . The study tackles this period with detailed analysis and study .، the researcher allocated seven chapters along with introduction in order to answer the study questions.

The first chapter tackles the social features affecting education in Yemen under the rule of the Sulaihi state and its impact on the educators and educated either positively or negatively .
The second chapter tackles the philosophy of education and its objectives in Yemen during the rule of the Sulaihi state through the curricula studied at the period.
The third chapter tackles the mythology of education at the first and higher stages used at the period
The fourth chapter tackles the educational institutions which were effective in Yemeni during that period along with paying attention to the education management and its finance in Yemen.
The fifth chapter tackles the curricula at the educational institutions and education places in Yemen during that era either at the first or second stage.
The sixth chapter tackles the characteristics of educators and educated and their relation with the state and community and their relation with each other، their role at the social process along with tackling woman education at the era.

In the seventh chapter، the researcher tackles some recommendations such as:

4- in terms of curricula ، they almost treat religious ، linguistic sciences ، the education system is characterized by the openness on all categories of the society .

المصادر والمراجع

المصـــادر:

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم بن أحمد المقحفي: **معجم البلدان والقبائل اليمنية** .ط الرابعة ٢٠٠٢م، دار الكلمة، صنعاء.

٣. إبراهيم بن الحسن الحامدي: **كنز الولد**، تحقيق مصطفى غالب، ١٩٧٩م، دار الأندلس، بيروت.

٤. إبراهيم بن سعد الله عبد الرحيم بن جماعة الكناني(تـ/ ٧٣٣هـ، ١٣٣٢م): **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**، تعليق/ محمد هاشم الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٥. إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي(تـ/٤٧٦هـ): **طبقات الفقهاء**، تحقيق/ إحسان عباس، ط٢ ١٩٨١م، دار الرائد العربي، بيروت لبنان.

٦. أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال: **مطلع البدور ومجمع البحور**، ط١، ٢٠٠٤م، تحقيق/ عبد الرقيب مطهر محمد حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة اليمن.

٧. أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي: **مختصر منهاج القاصدين**، ط١، ١٩٩٥م، دار المنار، القاهرة.

٨. . أحمد بن عبد اللطيف الشرجي: **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، ط١، ١٩٨٦م، الدار اليمنية للنشر والتوزيع.

٩. أحمد بن عبدالله الرازي(تـ /٤٦٠هـ): **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق حسين بن عبدالله العمري وعبد الجبار زكار، ١٩٧٤م، دار الفكر، سوريا.

١٠. أحمد بن علي القلقشندي،(تـ/٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، ١٩١٢م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١١. أحمد بن علي الخطيب البغدادي (تـ/٤٦٣هـ): **الفقيه والمتفقه**، ط٣ (د. ت)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٢. أحمد بن علي المقريزي ـ تقي الدين ـ (ت/٨٤٥هـ)،**اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**،جـ١ـ٣،تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد،(د،ط) ١٩٧٣م،القاهرة.

١٣. أحمد بن علي المقريزي ـ تقي الدين ـ (ت/٨٤٥هـ)،**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**،نشر بولاق ١٢٧٠هـ،(د،ط).

١٤. أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده(تـ/ ٩٢٨هـ)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، تحقيق/ كامل البكري و عبد الوهاب أبو النور، ١٩٨٦م، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٥. إدريس بن الحسن الأنف القرشي (تـ/٨٧٢هـ)، **عيون الأخبار وفنون الآثار** ج/٧، تحقيق وتقديم أيمن فؤاد سيد، ٢٠٠٢م، معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن.

١٦. إسماعيل بن علي الأكوع(تـ/١٤٣٠هـ): **الزيدية نشأتها و معتقداتها**، ط٣ ٢٠٠٧م، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء اليمن.

١٧. إسماعيل بن علي الأكوع(تـ/١٤٣٠هـ):**المدارس الاسلامية في اليمن**،ط١،منشورات جامعة صنعاء.

١٨. إسماعيل بن علي الأكوع(تـ/١٤٣٠هـ): **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، ط١، ١٩٨٥م،دار الفكر للنشر، بيروت لبنان.

١٩. إسماعيل بن كثير(تـ/ ٧٧٤هـ، ١٣٧١م)، **الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث**، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، (د. ت. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٠. إسماعيل ابن كثير(تـ/ ٧٧٤هـ، ١٣٧١م)، **البداية والنهاية**، ط٦ ١٩٨٥م، مكتبة المعارف، بيروت لبنان.

٢١. جعفر بن منصور اليمن: **عالم وغلام، ضمن كتاب أربع رسائل حقانية**، تحقيق/ مصطفى غالب، ط٢ ،١٤٠٧هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

٢٢. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ت. ط)، الهيئة العربية العامة للكتب، بيروت لبنان.

٢٣. الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: (تـ/٣٦٠هـ)، (٢٠٠٤م)، **الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير**، ج/١٠، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، اليمن.

٢٤. الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: (تـ/٣٦٠هـ)، (٢٠٠٤م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق/ محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط٢، ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٤م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.

٢٥. حسين بن أحمد العرشي: **بلوغ المرام في شرح مسك الختام**، نشره الأب أنستاس ماري الكرملي، مراجعة وتصحيح محمد سالم شجاب، ط١، ١٩٠١م، ٢٠٠٨م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٢٦. حسين بن أحمد بن يعقوب، ١٩٩٦م، **سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني** ،تحقيق عبدالله محمد الحبشي ،ط١ دار الحكمة اليمانية للنشر، صنعاء.

٢٧. الحسين بن فيض الله الهمداني: بالاشتراك مع حسن سليمان الجهني، **الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن**، ٢٠٠٤م، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية.
٢٨. الحسين بن فيض الله الهمداني: **بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسلام فيها**، ١٩٣٥م، بومباي الهند.
٢٩. الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل(تـ/ ٨٥٥هـ الموافق ١٤٥١م)، **تحفة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، ط١ ١٩٨٦م، دار التنوير للطباعة، بيروت لبنان.
٣٠. حميد بن أحمد المحلي(تـ/٦٥٢هـ): **الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية**، مخطوطة نشرتها مؤسسة الإمام زيد، (د، ت، ط).
٣١. شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي(تـ/ ٩٤٧هـ): **أربع رسائل إسماعيلية**، تحقيق/ عارف تامر، ط ٢(د. ت)، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.
٣٢. صديّق بن حسن القنوجي(تـ/١٢٤٨هـ، ١٨٣٢م): **أبجد العلوم**، ط١ ٢٠٠٢م، دار بن حزم، بيروت لبنان.
٣٣. الطيب بن عبد الله بن أحمد با مخرمة (تـ/٩٤٧هـ)، **تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها**، دراسة وتحقيق علي حسن علي عبد الحميد الحلبي، ط٢ ، ١٩٨٧م، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان.
٣٤. العباس بن علي بن داود بن يوسف الأفضل الرسولي (تـ/ ٧٧٨هـ الموافق ١٣٧٧م): **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية**، تحقيق: عبد الواحد الخامري، ٢٠٠٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء.
٣٥. عبد الرحمن بن الجوزي(تـ/٥٩٧هـ): **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، تحقيق/ حسن ضياء الدين عتر، ط١ ١٩٨٧م، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان.
٣٦. عبد الرحمن بن علي إبن الديبع الشيباني الزبيدي (تـ/ ٩٤٤هـ)، **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد**، تحقيق/ يوسف شلحد، ١٩٨٣م، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء.
٣٧. عبد الرحمن بن علي إبن الديبع الشيباني الزبيدي (تـ/ ٩٤٤هـ)، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي،ط١، ٢٠٠٦م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
٣٨. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: (تـ/ ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م)**العبر وديوان المبتداء والخبر**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت- لبنان (د ت ط).
٣٩. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: (تـ/ ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م)، **المقدمة**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت- لبنان (د ت ط).

٤٠. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الوصابي(ت/٧٨٢هـ الموافق١٣٨٠م): **تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار**، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، ط٢، ٢٠٠٦م، مكتبة الإرشاد، صنعاء اليمن.

٤١. عبد الرحيم الأسنوي(ت/٧٧٢هـ الموافق ١٣٧٠م): **طبقات الشافعية**، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، ط١ ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٤٢. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري(ت/ ٦٥٦هـ):**التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق/ بشار عواد معروف، ط٢، ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤٣. عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي(ت/٧٦٨هـ): **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، ط١ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٤٤. عبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين: **الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن**، (د. ت. ط)، دار الحارثي، الطائف المملكة العربية السعودية.

٤٥. عبد الواسع بن يحي الواسعي، تاريخ اليمن المسمى: **فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن**، ظ١، ٢٠٠٧م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٤٦. عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(ت/٧٧١هـ، ١٣٦٩م): **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق/ عبد الفتاح الحلو و محمود محمد الطناحي، ط٢ ١٩٩٢م، مطبعة هجر، القاهرة.

٤٧. عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة : **طراز أعلام الزمن**، مخطوطة ، صورة من مكتبة الفاو.

٤٨. عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة : ١٨٨٩م، **المسالك والممالك** ، نشره De Goege ليدن.

٤٩. عثمان بن الصلاح (ت/٦٤٢هـ): **مقدمة إبن الصلاح في علوم الحديث**، ١٩٩٧م، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

٥٠. علي بن الحسين بن أبي بكر الخزرجي(ت/٨١٢هـ): **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**، مخطوطة مصورة، مركز الدراسات والبحوث اليمني

٥١.. علي بن الحسين بن أبي بكر الخزرجي(ت/٨١٢هـ):**العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**،مطبعة الهلال بالفجالة،مصر(د،ت،ط)

٥٢. علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي، **سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين**، تحقيق: سهيل زكار، ط١ ١٩٧٢م، در الفكر، بيروت لبنان.

٥٣. علي بن محمد بن الوليد(ت/٦١٢هـ): **تاج العقائد ومعدن الفوائد**، تحقيق/ عارف تامر، ١٩٦٧م، دار المشرق، بيروت، لبنان.

٥٤. علي بن يوسف القفطي (ت/ ٦٤٦هـ): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ ١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٥٥. علي بن يوسف القفطي (ت/ ٦٤٦هـ): **المحمدون من الشعراء**، تحقيق/ حسن معمري، (د، ط) ١٩٧٠م، دار اليمامة، الرياض.

٥٦. عمارة بن علي الحكمي اليمني(ت/٥٦٩هـ): **تاريخ اليمن المسمى المفيد من تاريخ صنعاء وزبيد**، تحقيق/ كاي (H.C.Kay) ، ط١، ٢٠٠٤م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٥٧. عمارة بن علي الحكمي اليمني(ت/٥٦٩هـ)، **تاريخ اليمن المسمى المفيد من تاريخ صنعاء وزبيد**، تحقيق/ محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، المكتبة اليمنية للنشر.

٥٨. عمر بن علي بن سمرة الجعدي(ت/ بعد ٥٨٦هـ الموافق ١١٩٠م):**طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق/ فؤاد سيد، (د.ت. ط)، دار القلم، بيروت.

٥٩. قاسم غالب أحمد وآخرون،(٢٠٠٤هـ)**ابن الأمير وعصره**،ط١،إصدار وزارة الثقافة والسياحة اليمن.

٦٠. مجهول: **سيرة الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي**، صورة مخطوطة، المكتبة المركزية، جامعة صنعاء.

٦١. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٩٨٩م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦٢. محمد بن أحمد بن علي الفاسي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق/ فؤاد سيد، ط٢، ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٣. محمد بن إسحاق النديم المعروف بابن النديم(ت/٣٨٥هـ): **الفهرست**، ١٩٧٨م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

٦٤. محمد بن إسماعيل البخاري(ت/٢٥٦هـ): **الجامع الصحيح المسند الختصر من أمور رسول اللهصلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهور بصحيح البخاري**، ط٣ ،١٩٩٩م، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق.

٦٥. محمد بن سحنون: **آداب المعلمين**–تحقيق حسن عبد الوهاب، ١٩٨٥م ، دار أبو سلامة للنشر، تونس.

٦٦. محمد بن عبد العظيم الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تصحيح/ الشيخ أمين سليمان الكردي، ط١ ١٩٩٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

٦٧. محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق/ إحسان عباس، ط٢ ١٩٨٠م، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت لبنان.

٦٨. محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت/٩٠٢هـ): **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ١٩٧٩م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

٦٩. محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت/٩٤٥هـ، ١٥٣٨م): **طبقات المفسرين**، تحقيق/ علي محمد عمر، ط٤ (د.ت)، مكتبة وهبة، القاهرة.

٧٠. محمد بن علي الشوكاني(ت/١٢٥٠هـ): **أدب الطلب**، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي، ١٩٧٩م، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء.

٧١. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت/٢٧٩هـ، ٨٩٢م):**جامع الترمذي**، إشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ ١٩٩٩م، دار السلام، الرياض.

٧٢. محمد بن مالك بن أبي الفضل الحمادي اليماني الملقب بابن أبي القبائل، **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، تحقيق/ محمد زينهم محمد عزب، ط١، ١٩٨٦م، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٧٣. محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، أبو عبد الله (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ ، ١١٠٠ - ١١٦٥ م) ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، موقع الوراق . http://www.alwarraq.com

٧٤. محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت / ٧١١هـ)، **لسان العرب جـ٣**، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت (د ت ط).

٧٥. محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت/٧١١هـ): **مختصر تاريخ دمشق**، ط١، ١٩٨٤م، دار الفكر، دمشق.

٧٦. محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه(ت/٢٧٥هـ): **سنن ابن ماجه**، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي،(د. ت. ط)، دار الحديث، القاهرة.

٧٧. محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي: **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق/ محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، ط ١ ، ١٩٩٣م ، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٧٨. مُسَلّمْ بن محمد بن جعفر اللحجي(ت/٥٤٥هـ) **تاريخ مسلم ويسمى بأخبار الأئمة من آل البيت وشيعتهم باليمن**، مخطوط،صورة من مكتبة الإرشاد ،صنعاء، اليمن.

٧٩. مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة(ت/١٠٦٧هـ، ١٦٥٦م): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت لبنان.

٨٠. مفرج بن أحمد الربعي، **سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم العياني**، تحقيق/ رضوان السيد و عبد الغني محمود عبد العاطي، ط١ ١٩٩٣م، دار المنتخب العربي، بيروت لبنان.

٨١. نشوان بن سعيد الحميري، **الحور العين**: ١٩٤٧م، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة.

٨٢. النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي(ت/ ٣٥١هـ): **اختلاف أصول المذاهب**، تحقيق/ مصطفى غالب، ٢٠٠٠م، دار الأندلس، بيروت لبنان.

٨٣. النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي(ت/ ٣٥١هـ): **افتتاح الدعوة**،ط١(١٤١٦هـ)، دار الأضواء، بيروت لبنان.

٨٤. النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي(ت/ ٣٥١هـ): **تأويل الدعائم المسمى تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين**، جـ ١، تحقيق/ محمد حسن الأعظمي، (د. ط. ت)، نشر وتوزيع مكتبة الفاو، صنعاء.

٨٥. النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي(ت/ ٣٥١هـ): **تأويل الدعائم المسمى تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين**، جـ ٢، تحقيق/ محمد حسن الأعظمي، ط٢(د.ت)، نشر دار المعارف، القاهرة.

٨٦. ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت/٦٢٦هـ، ١٢٢٨م)، **معجم الأدباء**، الطبعة الأخيرة (د. ت)، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة.

٨٧. ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت/٦٢٦هـ، ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، (د. ت. ط)، دار صادر، بيروت لبنان.

٨٨. يحيى بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسني(ت/١٦٨٨م). **طبقات الزيدية الصغرى المعروف بالطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم** (مخطوطة مصورة عن المكتبة المركزية بجامعة صنعاء).

٨٩. يحيى شرف الدين النووي(ت/٦٧٦هـ)، **التبيان في آداب حملة القرآن**، ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٩٠. يوسف بن عبد الله بن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، تعليق/ محمد عبد القادر عطا، ط٢ ١٩٩٧م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٩١. يوسف ملا أحمد، **الوعظ والتشويق و الهداية إلى سواء الطريق**، ١٢٣١هـ،صور من المخطوطة لدى الباحث مصورة من مكتبة الفاو،صنعاء،اليمن.

المراجـــع:

٩٢. أحمد علي الحاج محمد: **فلسفة التربية**،١٩٩٨م، مطابع الكتاب المدرسي، وزارة التربية والتعليم، صنعاء اليمن.

٩٣. أحمد فؤاد الأهواني **التربية في الإسلام**، ط٢، ١٩٧٥م، دار المعارف، مصر.

٩٤. إسحاق أحمد فرحان وآخرون: **المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة**، ١٩٩٩م، دار الفرقان للنشر، عمان الأردن.

٩٥. إسماعيل قربان حسين: **السلطان الخطاب حياته وشعره**، ١٩٦٩م، دار المعارف، القاهرة.

٩٦. إيمان ناجي سعيد المقطري، **الملكة سيدة بنت أحمد (٤٤٠-٥٣٢هـ)**، (٢٠٠٥م)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

٩٧. أيمن فؤاد سيد، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري**، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

٩٨. حسن عبد العال: **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ١٩٧٨م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٩٩. داوود داوود المندعي: **تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٩٩٧م، الجامعة الأردنية، عمان.

١٠٠. رانز روز نشال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة . صالح أحمد العليّ، ط٢، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت.

١٠١. سعد مرسي أحمد وآخرون، **تاريخ التربية**، ١٩٩٦م، جامعة عين شمس، القاهرة.

١٠٢. سعيد عوض باوزير: **صفحات من التاريخ الحضرمي**، ١٩٥٧م، مكتبة الثقافة، عدن اليمن.

١٠٣. شوقي ضيف، **دراسات في التربية الإسلامية**،(د ت ط)، نشر مكتبة ضيف، شبين الكوم.

١٠٤. صابر عبده أبا زيد محمد: **فكرة الزمان عند إخوان الصفا**، ط١ ١٩٩٩هـ، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر.

١٠٥. صبحي الصالح: **علوم الحديث ومصطلحه**، ط١٠، ١٩٧٨م دار العلم للملايين، بيروت.

١٠٦. عبد الحميد الصيد الزنتاني: **فلسفة التربية في القرآن والسنة**، ١٩٩٣م، (د. ط)، الدار العربية للكتاب.

١٠٧. عبد الرحمن أحمد المختار: **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين**، ٢٠٠٤م، كلية الآداب- جامعة صنعاء- رسالة دكتوراه غير منشورة.

١٠٨. عبد الرحمن بن عبدالله الحضرمي: **زبيد مساجدها ومدارسها العلمية** ،ط١، ٢٠٠٠م – المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء .

١٠٩. عبد الرحمن النحلاوي:**أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ط٢، ٢٠٠٤م . دار الفكر، دمشق.

١١٠. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، ٢٠٠٤م، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.

١١١. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: **تاريخ اليمن في الإسلام**، ط٢ ١٩٩٧م، دار الفكر المعاصر، صنعاء.

١١٢. عبد السلام بن عباس الوجيه: **أعلام المؤلفين الزيدية**، ط١ ١٩٩٩م، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان الأردن.

١١٣. عبد العزيز الدوري: **التكوين التاريخي للأمة العربية**، ١٩٨٤م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان.

١١٤. عبد الغني عبود و حسن عبد العال: **التربية الإسلامية وتحديات العصر**، ط١: ١٩٩٠م، دار الفكر العربي، القاهرة.

١١٥. عبد الغني عبود: **في التربية الإسلامية**، (د.ت.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة.

١١٦. عبد الكريم عثمان: **معالم الثقافة الإسلامية**، ط١ ١٩٨٢م،مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

١١٧. عبد الله عبد السلام صالح الحداد: **الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد (٢٠٤- ٩٢٣هـ، ٨١٩- ١٥١٧م)**، دراسة أثرية معمارية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء.

١١٨. عبدالله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي، **اليمن الإنسان والحضارة**، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، منشورات المدينة، بيروت.

١١٩. عبدالله قاسم الوشلي: **المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلقة التعليمية**، ط١ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

١٢٠. عبد الله محمد الحبشي: **مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن**،(د. ت. ط)، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء اليمن.

١٢١. عدنان زرزور: **الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن**، (د.ت.ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.

١٢٢. عصام الدين بن عبد الرؤوف الفقي،**اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول**،ط١، ١٩٨٢م،دار الفكر،صنعاء اليمن.

١٢٣. علي الصلاح،**كيف نربي أبناءنا**،ط ١٩٩٣،١م ،دار الصفوة بيروت لبنان.

١٢٤. علي القائمي، **أسس التربية** ، ١٩٩٥م،ط٥،دار النبلاء، لبنان.

١٢٥. علي سالم النباهين: **نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك**،١٩٨١م، دار الفكر، القاهرة.

١٢٦. علي بن عبد الحليم محمود: **التربية الإسلامية في المدرسة**، ط١، ٢٠٠٤، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

١٢٧. عمر فرّوخ: **تاريخ الأدب العربي**، ط٦ ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

١٢٨. فاروق أحمد حيدر: **التعليم في اليمن في عهد بني رسول في القرنين السابع والثامن الهجريين**، ٢٠٠٤م، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء، الإصدار الثالث.

١٢٩. فيلب هـ، فينيكس: **فلسفة التربية**. ترجمة محمد لبيب النجيحي، ط٣ ١٩٨٢م،القاهرة.

١٣٠. كمال الدسوقي : **الاجتماع ودراسة المجتمع** ، ١٩٧١م، ط١، مكتبة الإنجلو العربية، القاهرة.

١٣١. محمد أبو زهرة (د.ت.ط) **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**.دار الفكر العربي، القاهرة.

١٣٢. محمد أحمد الحجري ، (٢٠٠٤م)، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، تحقيق/٢ش إسماعيل بن علي الأكوع، جـ ٢، ط ١، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
١٣٣. محمد جمال الدين سرور: **تاريخ الدولة الفاطمية**،(د، ت، ط)، دار الفكر العربي.
١٣٤. محمد حسن بريغش: **التربية ومستقبل الأمة**، ط١ ٢٠٠٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
١٣٥. محمد حسين الفرح،(٢٠٠٤م)، **اليمن في العصر العباسي**،إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء.
١٣٦. محمد رضا حسن الدجيلي، (١٩٨٥م-١٤٠٥هـ)، **الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري**، منشورات مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة.
١٣٧. محمد عبده السروري: **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة للفترة (٤٢٩هـ - ٦٢٦هـ)**، ٢٠٠٤م، سلسلة إصدارات وزارة الثقافة اليمنية.
١٣٨. محمد علي السيد: **تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية**، (د.ط) ٢٠٠٢م، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٣٩. محمد العمايرة: **الفكر التربوي الإسلامي**، ط١، ٢٠٠٠م، دار المسيرة، عمان الأردن.
١٤٠. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزَّبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com.
١٤١. محمد محمود الخوالدة: **مقدمة في التربية**، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م- ١٤٢٤هـ، دار المسيرة للنشر، عمان.
١٤٢. محمد مسفر عسيري: **الحياة السياسية، مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي**، ط١، ١٩٨٥م، دار المدني، جدة.
١٤٣. محمد يوسف موسى: **القرآن والفلسفة** ،١٩٥٨م، ط٢، دار المعارف.
١٤٤. محمود عبد الرحيم صالح:**حركة الشعر في دمشق تحت الحكم الفاطمي**،(د،ت)رسالة دكتوراه آداب،عين شمس،غير منشورة.
١٤٥. محمود قمبر: **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، ١٩٨٥م، دار الثقافة، الدوحة قطر.
١٤٦. مصطفى البغَّاء: **الوافي في شرح الأربعين النووية**، ط٦، دار الكتاب، بيروت(د - ت).
١٤٧. مصطفى غالب: **أعلام الإسماعيلية** ١٩٦٤م ،د ط ، منشورات دار اليقظة العربية، بيروت لبنان.
١٤٨. مصطفى غالب: (١٩٦٥م) **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، ط ١، دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان.
١٤٩. مناع القطان: **مباحث في علوم القرآن**، ط٩ ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
١٥٠. منير الدين أحمد،(١٩٨١م)، **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري**، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض.

١٥١. ياسر حزام هزاع الخطيب: **التعليم في اليمن في عصر الدولة الأيوبية**، رسالة ماجستير غير منشورة، (٢٠٠٧م.)، جامعة صنعاء.
١٥٢. يوسف بن أحمد حوالة: **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري جـ١،جـ٢**، ط١، ٢٠٠٠م، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مكة.

المجـلات والدوريات:

١٥٣. جون هيلز، جوليان لوغران، دافيد بياشو: **الاستبعاد الاجتماعي**، ترجمة/ محمد الجوهري، سلسلة عالم المعرفة العدد ٣٤٤، لشهر أكتوبر ٢٠٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
١٥٤. حسن بن إبراهيم الهنداوي: **التعليم وإشكالية التنمية**، ط١، كتاب الأمة - العدد٩٨، ذو القعدة ١٤٢٤هـ - ديسمبر- يناير ٢٠٠٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر.
١٥٥. رياض زاهر: **دولة حبشية في اليمن**، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٨ لعام ١٩٥٩م، القاهرة.
١٥٦. عبد العزيز المقالح، **عرض كتاب الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري**، دراسات يمنية، العدد ٥٠، (١٩٩٣م)، صنعاء.
١٥٧. محمد صالح بلعفير(٢٠٠٧م)، **العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية**، مجلة اليمن عدد ٢٥، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن.
١٥٨. محمد عبد الكريم الشمري. **تجارة عدن الخارجية في عصر بني زريع وبني أيوب** ، مجلة اليمن ، عدد(٢٢) .مركز البحوث والدراسات اليمنية جامعة عدن،٢٠٠٥م.
١٥٩. محمد عبده السروري : **قيام الدولة الصليحية في اليمن**، مجلة دراسات يمانية، عدد٥١-٥٢، ١٩٩٢م، صنعاء.
١٦٠. مصطفى شاكر. **التاريخ والمؤرخون في اليمن الإسلامي حتى القرن السابع الهجري**، مجلة كلية الآداب والتربية، عدد١٣ يونيو ١٩٧٨م، جامعة الكويت.
١٦١. محمود علي الداود: **العوامل التاريخية في توجهات الفكر العربي** (١٩٩٠م)، مجلة الإكليل، العددان (٢٠-٢١)، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية.
١٦٢. يزيد عيسى السورطي: **السلطوية في التربية العربية**، العدد٣٦٢ لشهر إبريل ٢٠٠٩م، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.